رواية

أرواح نجسة

أحمد زكي

الطبعة الثانية

الصقر

رواية
أرواح نجسة
أحمد زكي





رواية



ارواح نجسة
احمد زكي
الصقر للنشر والتوزيع



أرواح نجسة

فهرسة أثناء النشر/ إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية. إدارة الشئون الفنية

زكي؛ أحمد
أرواح نجسة: رواية/ أحمد زكي. - القاهرة: الصقر للنشر والتوزيع/ ط ١/ القاهرة: ٢٠١٧م.
٢٩٦ص؛ ١٤×٢٠سم
تدمـــــك:
رقم الإيداع:

دار النشر:	الصقر للنشر والتوزيع
عنوان الكتاب:	أرواح نجسة
الكاتب	أحمد زكي
رقم الطبعة:	الأولى
تاريخ الطبع:	٢٠١٧
المدير العام:	يوسف إبراهيم
مدير التوزيع	محمود عبده



الصقر للنشر والتوزيع
ت: 00201146688620 - 01117030612

E.mail: Elsakr1010@yahoo.com
www.facebook.com/elsakr1010



أرواح نجسة

(رواية)

أحمد زكي



2017







زوجتى العزيزة..

شيماء

ليس معـنى أنى كتبت روايـة رعب أنى اسـتلهمتها منك بما أنى أهديها إليك..

إطلاقًا..

لولاك ما تم شىء..

حقا لا كلمات تصف قدرك..

شكرًا جزيلًا ..





الجزء الأول

الجلسات


ساحر الكتب



تحذير ..

كل الأحداث الواردة هنا واقعية تمامًا ..

بما فيها قصص الجان والهلاوس وغيرها ..

كما أنها دموية جدًّا ..

بالفعل يوجد هنا الكثير من الدماء والبشاعة..

ربما تجدها أكثر من اللازم..

ربما تجد أني بالغت وأن كل هذا هراء ..





الجلسة الأولى

(اتفضل يا أستاذ)..

قالتها تلك الممرضة الحسناء الجالسة خلف المكتب، وهى تشير إلى حجرة الطبيب مبتسمة..

كنت مترددًا للغاية، قمت وأنا أرتجف قليلًا بفعل التوتر.. طرقت الباب ثم دخلت الغرفة دون انتظار رد..

كانت حجرة الطبيب باردة قليلًا.. منخفضة الإضاءة.. على جانب منها يوجد سرير وثير، وعلى الجانب الآخر يوجد مكتب الطبيب، بحيث لا تراه إلا بعدما تدخل الغرفة...

كانت الغرفة مصممة بعناية؛ لكى تبعث فيك روح الطمأنينة والهدوء، مع لمسات بسيطة تساعد على ذلك، مثل تلك السجادة السميكة على الأرض، وتلك الرائحة العطرية فى الجو، لكنى مع ذلك كنت أشعر بالتوتر.. الكثير منه فى الواقع...

نهض الطبيب وصافحنى فى مودة، ثم طلب منى الجلوس..

سألنى ما إذا كنت أحب أن أشرب شيئًا..



رفضت شاكرًا.. مرت فترة من الصمت، وهو ينظر إلى وجهى متفرسًا فيه.. كانت عيناه ثاقبتين.. كأنهما كشافان قويان من وراء نظارته.. مرت لحظات بطيئة لم أدر فيها ماذا أقول، والعجيب أنه ظل صامتًا لثوانٍ..

أخذ الطبيب نفسًا قصيرًا، ثم سألنى:

-أهذه أول زيارة لك لطبيب نفسى؟

ابتلعت ريقى بصوت مسموع، وهززت رأسى، أن نعم..

- حسنًا جدًّا.. وما الذى دفعك لزيارة طبيب نفسى؟

ابتسمت ابتسامة خفيفة أحاول بها طرد بعض التوتر عن نفسى، وأنا أقول له بصوت منخفض ومبحوح:

- أريد أن أتكلم مع أحد.. لا أستطيع الصمت أكثر من ذلك..

بدأ الاهتمام يغزو وجه الطبيب، وهو يسألنى:

- تتحدث عن ماذا بالضبط؟

نظرت إلى حافة المكتب وأنا أقول له:

- أريد أن أتأكد من شيء واحد قبل أن أتكلم.. القانون يمنعك من إفشاء أسرار مرضاك.. أليس كذلك؟

نظر إلىَّ الطبيب بابتسامة مشجعة، وقال:

- طبعًا، وإن أفشيت أسراره يتم إيقافى عن العمل للأبد.. اطمئن تمامًا من هذه الناحية.

ابتلعت ريقى للمرة الثانية، وقلت:

- حسنًا.. أنا لا أعرف كيف أبدأ، ولكن...أنا..



أنا قتلت..

نظر إلىَّ الطبيب مندهشًا، وتراجع قليلًا وهو يسأل:

- قتلت من؟

- لا أدرى بالضبط...

- تعنى قتلت شخصًا ما فى حادث مثلًا؟

هززت رأسى ببطء نافيًا ذلك، ثم قلت:

- كلما نمت، أشعر بثقل حول جسدى.. وكأنى نائم تحت الماء، ثم أحلم بنفسى سائرًا فى مكان ما.. الغريب أنه لا يبدو كالحلم، فأنا فى هذه الأحلام أرى كل شىء بمنتهى الوضوح.. وفى كل مرة أقتل شخصًا مختلفًا.. وأحيانًا عدة أشخاص، وبعدما أنتهى منهم مباشرة أستيقظ من نومى.. عادة أكون مرهقًا متعبًا.. ويداى مخضبتان بالدماء.. وأحيانًا أجد أجزاء من الحلم معى على السرير..

نظر الطبيب إلىَّ عاقدًا حاجبيه فى اهتمام، ثم سألنى:

- هل تأكدت أنها دماء؟ أو هل تأكدت من أنها ليست دماءك الخاصة؟

- بالطبع.. تستطيع فحص جسدى كاملًا، ولن تجد فيه خدشًا واحدًا.. كما أنى أعيش وحدى بعد طلاقى، ولا يوجد أحد فى المنزل غيرى.. كما أن كمية الدماء أكبر بكثير مما يمكن أن يخرج منى.. دماء ناتجة عن ذبح رجل لو كنت تفهم قصدى..

- وهل تعرف أحدًا من الضحايا؟

- لا.. لكنى رأيت صورة أحدهم بالصدفة ضمن المفقودين فى الجريدة..

- كم مرة تكرر هذا الأمر معك؟



ابتسمت وقلت:

توقفت عن العد منذ زمن.. الأمر يتكرر شهريًا مرتين أو أكثر منذ أكثر من عشرين عامًا..

تراجع الطبيب فى كرسيه وهو ينظر إلىّ مفكرًا، ثم قال:

- الواقع أن حالتك هذه لها الكثير من التفسيرات، لكنى لن أستطيع التشخيص قبل أن تحكى لى عن بعض هذه الأحلام.. كما أريد أن أعرف.. هل مررت بتجربة ما قبل هذه الأحلام كنت فيها فى حالة غير طبيعية من الخوف أو التوتر أو القلق المستمر؟

ابتسمت مرة أخرى، وقد بدأت فى الاسترخاء قائلًا: الكثير أيها الطبيب.. الكثير..

- حسنًا جدًا.. أريد معرفة بعضها.. ولنبدأ من بداية الأحلام..

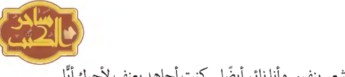
- حسنًا.. المرة الأولى.. لست أتذكر جيدًا، ولكن..

حسبما أذكر.. المرة الأولى عندما كنت طفلًا صغيرًا.. حوالى سبع أو ثمانى سنين...

كنت نائمًا بعمق فى حجرة والدتى.. كان أبى ينام فى حجرة منفصلة عن حجرة والدتى، وكانت والدتى نائمة على سرير مجاور لسريرى.. كما قلت كنت مستغرقًا فى النوم، ثم فجأة استيقظت..

كنت أرى كل شىء من حولى، ولكن من دون أن أفتح عينى..

وانتبهت إلى أنى أرى جسدى.. وأرى جسد أمى أيضًا.. وكانت تتحرك فى نومها، وتغير من وضعية نومها.. كنت أرى الحجرة كلها من السقف.. كنت كأنى أحلق فى الحجرة، وأرى كل تفاصيلها بوضوح..



الغريب أنى كنت أشعر بنفسى وأنا نائم أيضًا.. كنت أجاهد بعنف لأحرك أيًّا من أطرافى، لكن بلا جدوى.. أنتقل بإرادتى من يدى إلى قدمى إلى رأسى، ولكن كل أطرافى لا تستجيب..

كنت أشعر أن لى جسدين واعيين فى نفس اللحظة.. أشعر بكليهما معًا.. ظللت فى هذه الحالة برهة، ثم اختفى كل شىء من حولى..

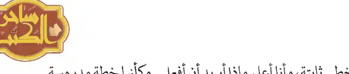
وجدت نفسى فجأة جالسًا فى حديقة جميلة، أمام منزل جميل من الطراز الذى نراه فى الأفلام الأجنبية، ويجلس جوارى شخص وسيم، ذو شعر أسود ناعم، وبشرة بيضاء، وقوام ممشوق.. كان ينظر إلىَّ باهتمام، ثم مد يده مبتسمًا بقطعة حلوى سوداء غريبة الشكل..

أخذت الحلوى مترددًا، فأشار إلىَّ أن أتناولها.. أخذت منها قضمة، كان طعمها غريبًا جدًّا.. تشعر فيها بالمرارة، لكنها لذيذة جدًّا.. وخفيفة جدًّا، تذوب فى فمك بمجرد قضمها...

بعدما انتهت قطعة الحلوى، كنت أشعر بإحساس غريب ينتابنى.. مزيج من القوة والغضب.. أعطانى الرجل الغريب سكينًا رفيعًا وطويلًا.. وأشار إلى المنزل..

نهضت، وأنا أشعر بالغضب.. غضب غير مبرر على الإطلاق.. قطعت الحديقة دون أن أنظر ورائى، فتحت باب المنزل، وصعدت السلم المواجه للباب، مشيت قليلًا فى الطابق الثانى إلى أن سمعت صوت ضحكات تخرج من حجرة ما.. توجهت إليها وفتحت الباب، فوجدت رجلًا وسيمًا بجوار امرأة حسناء راقدين على فراش يضحكان..

لم يكونا ينظران نحوى مطلقًا.. كانا مشغولين ببعضهما البعض..



تقدمت منهما بخطى ثابتة، وأنا أعلم ماذا أريد أن أفعل.. وكأنها خطة مدروسة في رأسي منذ أمد بعيد، والآن أنفذها..

رفعت السكين ببطء، وهويت بها على ظهر الرجل مرات عديدة..

صرخ الرجل، وتلوى بجوار المرأة التي أصابها الذهول، فلم تنطق بكلمة..
وقع الرجل على الأرض، وهو ينظر إليَّ بدهشة وألم غير مصدق...

قفزت فوق السرير، فوق المرأة، وطعنتها عدة مرات.. في رقبتها مباشرة.. بينما الرجل يصرخ بجواري بكلمات متلاحقة..

تومي..لا يا تومي.. لا تقتل أمك..لا يا تومي..

وحاول النهوض من على الأرض، ليمنعني من تمزيق عنقها، بينما كانت المرأة تنظر إليَّ بعينين دامعتين لا تعبران عن شيء.. يداها ترتفعان بحركات ضعيفة، وأنا أطعنها طعنات متلاحقة سريعة.. كنت في حركتي أقوى من المعتاد.. أسرع من المعتاد، وجسدي أكبر مما عهدته..

نهضت بسرعة من فوق المرأة التي يدعوها أمي، وابتعدت عنه وعنها قبل أن يمسكني، وأنا أعلم أن المرأة قد ماتت.. أطرافها تتحرك حركة عصبية خفيفة، لكني أيضًا كنت أعلم أنها آخر حركات جسدها قبل الموت...

تحامل الرجل ونهض من على الأرض، واستند بكلتا يديه على الفراش.. وعندما نظر لجثة المرأة أجهش بالبكاء، وصرخ صرخة عالية، واحتضنها..

كانت الفرصة سانحة حينها، فجريت وقفزت عليه من الخلف، وأولجت السكين في عنقه.. أطلق الرجل حشرجة عالية، ونظر إليَّ نظرة مليئة بالدموع، ثم سقط على ظهره، وعيناه تدوران مفارقًا الحياة، وكانت الدماء تغرق سروالي ويدي وقميصي، لكني لم أهتم بذلك.

وقفت صامتًا قليلًا بلا أى مشاعر.. فقط أشعر بالرضا والرعب، وكأن لى شخصيتين مختلفتين.. شخصية سادية استمتعت بكل لحظة من المذبحة.. وشخصيتى الأساسية التى تشاهد كل ذلك برعب مكتوم..

تقدمت نحو جثة الرجل، وانتزعت السكين من رقبته، وذهبت للمطبخ، وغسلتها جيدًا؛ لأن الرجل الذى فى الحديقة لن يقبل استرجاعها ملوثة بدماء من قتلتهم، ثم خرجت للحديقة، حيث الوسيم ذو الشعر الأسود الناعم ينتظر فى الظلام..

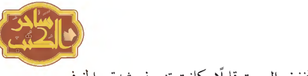
تقدمت منه، وأعطيته السكين.. ابتسم ابتسامة غريبة، وكأنه أب فخور بابنه وربت على رأسى، ومد يده ووضعها على عينى يغمضهما فى حنان.. ثم استيقظت على فراشى..

فتحت عينى منتفضًا بلا صوت.. كنت أشعر بقلبى ينتفض من خوف وذعر شديد.. نهضت بسرعة، لأنام بجوار أمى وأنا أنتفض من الفزع، فاحتضنتنى هى برفق، ونامت.. ثم استيقظت على صراخ أمى..

قمت لأجد الفراش وملابس أمى وملابسى عليها آثار دماء.. ولك أن تخمن دماء من هذه.. بالطبع دماء الرجل والمرأة اللذين قتلتهما فى حلمى..

وعندما حاولت أمى معرفة مصدر الدماء، لم تستطع، وكان التفسير الوحيد لديها هى (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) خاصة وأنها كانت تحلم بكابوس سيئ فى نفس الوقت..

وظل منزلنا لأيام كثيرة بعدها لا ينقطع فيه البخور، ولا القرآن الكريم بصوت عالٍ ليلًا ونهارًا، حتى أنى لم أكن أستطيع النوم من الصوت إلا عندما أكون مجهدًا بشدة فقط..



وعندما أطلب من أمى أن تخفض الصوت قليلًا، كانت تنهرنى بشدة، والخوف فى عينيها، ثم تذهب وترفع الصوت أكثر..

لم يتكـرر ذلـك الحادث لفترة طويلة.. ليس بسـبب بخور أمـى، ولا الأدعية والقرآن الكريم، ولكن لسبب آخر، ستعرفه بنفسك لاحقًا..

تلك كانت المرة الأولى..

نهض الطبيب من كرسيه، ودار حول المكتب، ليجلس أمامى، وقال فى صوت هادئ:

- أنت قلت إن الأب فى الحلم ناداك باسـم (تومى).. وطبعًا هذا ليس اسمك.. فمن (تومى) هذا؟

- لسـت أدرى.. هذه الأحلام التى تراودنى أعطتنى أسماء كثيرة.. وشخصيات لسـت أعرف عنها شـيئًا.. كل حلم كان بشـخصية مختلفة وشكل مختلف عن بقية الأحلام..

- وهل يتغير شكلك أو عمرك كل حلم؟

- أو هل يتكرر حلم مرتين قط ؟

- نعم.. يتغير شـكلى كثيرًا.. بل أحيانًا أشـعر بنفسى وقد أصبحت امرأة.. ولا أتذكر أنى حلمت نفس الحلم مرتين أبدًا..

- سـؤال آخر.. الأحلام عادة تسـير فى اتجاه واحـد.. بمعنى أنك تشـاهد الحلم وكأنك تشاهد فيلمًا سينمائيًّا لا يمكنك تغيير أحداثه.. فهل تملك إرادة مستقلة فى حلمك؟

- نعـم.. الحلم يكون واضحًا جدًّا وكأنه واقـع.. ليس كالأحلام، بل واقع من نـوع خاص.. واقـع غريـب أمامك فيه دوافع مختلفة للقتـل.. نعم عندى إرادة



حرة، لكنى أستمتع بالأحداث مع ذلك.. وأثناء الحلم تكون إرادتى الحرة هى القتل.. ومع ذلك يتواجد داخلى الشخص الأصلى الكاره لكل هذا العنف.. ولا أستطيع تغيير شيء.. لكن بعد استيقاظى من النوم أشعر بالرعب والتقزز مما حدث.. خاصة مع الآثار الدموية التى أجدها..

- حسنًا.. لكل شيء تفسير، وبعد عدة جلسات أخرى سيكون من السهل تفسير حالتك، ووضع علاج مناسب لها، و...

قاطعته، بإشارة من إصبعى قائلًا:

لحظة واحدة يا دكتور.. أنا لا أريد علاجًا.. وأنا لست بمريض.. قلت لك فى البداية: أنا أريد من يسمعنى.. فقط.. أنا أدفع ثمن كشفك الباهظ لأتكلم.. ربما أريد مساعدتك فى وقت لاحق.. لكنى الآن فقط أريد أن أحكى ما حدث لى.. بلا مقاطعة.. بلا علاج.. بلا تفسير.. أنا أعرف ما أمر به، وأفهم ما أريده تمامًا.. أنا أريد أن أتكلم.. فقط..

كان الطبيب ينظر إلىّ صامتًا بلا انفعال، ثم قال:

- حسنًا.. ما دام الأمر كذلك، فأنا أرحب بك فى أى وقت.. ولكن عندى سؤال واحد قبل أن تنتهى جلستنا..

ابتسمت من طريقته المهذبة فى طردى، ثم قلت له:

- على الرحب والسعة.. تفضل..

- هل تشعر بالراحة بعدما حكيت قصتك؟

- لا تستطيع أن تتصور يا دكتور.. صدقنى لا تستطيع أن تتصور.. هذه أول مرة أتكلم فيها مع أحد منذ سنين..

- حسنًا.. أراك قريبًا..

نهضت، وأنا أشعر بهدوء كبير، متجهًا نحو الباب، وفتحته، وأنا أنظر للطبيب قائلًا: احترس.. اهتم بنفسك يا دكتور..

وأغلقت الباب فى هدوء قبل أن يرد.

□□□





تحذير ..

كل ما ورد هنا من أحداث حقيقى تمامًا مثلى ومثلك..

لم أتدخل إلا فى السرد فحسب..

لكن قديمًا قالوا: (اللى يخاف من العفريت يطلعله)..

لذلك أرجوك..

مهما حدث حولك من ظواهر غريبة..

لا تخف..





الجلسة الثانية

(اتفضل يا أستاذ)..

قالتها تلك الممرضة الحسناء.. كنت أجلس منتظرًا دورى فى صمت.. فى المعتاد تكون العيادة خالية، لكن فى هذا اليوم كان يوجد مريض واحد بالداخل..

نهضت شاكرًا إياها، وطرقت باب حجرة الطبيب بهدوء، ثم دخلت دون انتظار إجابة..

- مرحبًا بك.. قالها الطبيب بابتسامة خفيفة، ثم أشار إلى الأريكة الوثيرة لأتمدد عليها، وهو ينهض من مقعده و يقترب منى..

تمددت على الأريكة بهدوء، ونظرت إليه مبتسمًا، وقلت:

- كيف حالك يا دكتور؟

ضحك الطبيب، وجلس جوارى قائلًا:

- الحمد لله.. كيف حالك أنت؟

- بخير.. ولكن قبل أن نبدأ، أريد أن أعرف هل تعرضت لموقف غريب أو حلم يبدو كالواقع؟



بدت الدهشة على وجه الطبيب، وهو يقول:

لا لم يحدث.. لماذا تسأل؟

أطلقت زفرة من صدرى قائلًا:

- حسنًا.. ربما يبدو الأمر غريبًا، لكن فى عدة مرات سابقة عندما يضيق صدرى وأحاول التحدث مع أى شخص.. تكون النتيجة مرور من أحكى لهم بتجارب مخيفة.. تجارب شيطانية لو كنت تفهم قصدى..

- هل يمكننى أن أسمع أمثلة؟

- لا توجد أمثلة كثيرة على ذلك.. عدة مواقف فقط؛ لأنى كنت أبتعد فورًا عن الشخص الذى أحكى له بمجرد معرفتى بما يحدث.. فمثلًا:

كان لى صديق.. يسكن بجوارى وهو صديق عمرى.. رجل محترم على قدر من الأخلاق والتدين.. حاولت ذات مرة ونحن جالسان فى المقهى أن أتكلم معه حول ما يحدث لى.. لكنى لم أستطع.. بدأت حكاية كابوس من كوابيسى ثم توقفت.. كنت خائفًا..

المهم.. فى نفس الليلة التى كنت أحاول فيها الحديث معه حدث التالى:

كان معتادًا أن يجلس كل يوم قبل الفجر يستمع إلى إذاعة القرآن الكريم مع والدته بعد وفاة والده، ثم ينزل ليصلى بعد سماع الأذان فى المسجد القريب..

وفى هذه الليلة كان واقفًا قبل الفجر مع أخيه يتحادثان فى الشرفة حول أمر ما.. فسمع صوت صفير هواء جواره من أعلى لأسفل، وكأن شيئًا ثقيلًا يسقط ويسحب معه الهواء، ثم صوت ارتطام عنيف على أسفلت الشارع.. مد عنقه ونظر لأسفل.. وجد جارته الشابة ذات العشرين عامًا ملقاة على الأسفلت تحدق لأعلى، وجسدها كله يتحرك ويتشنج.. كان واضحًا من شكل يديها وقدميها أنهما مكسورتان..

كانت هذه الفتاة مصابة بنوع غريب من الجنون.. حالة عقلية غير مستقرة.. والبعض كان يعتقد أنها ممسوسة، لو كنت تصدق مثل هذا الكلام..

كانت تعيش مع عائلتها في الدور السابع، وهو كان في الرابع.. هبط السلالم جريًا مع أخيه ليجدها غارقة في بركة من دمائها..

لم تمت..

كان رأسها مفتوحًا.. وكان جزء من مخها ظاهرًا..

ومع ذلك كانت عيناها تدوران، وتحاول أن تحرك رأسها..

عيناها.. لم ينس قط هاتين العينين.. الدماء تملأ بياض العينين، وهي تنظر إليه نظرة جعلت جسده كله يرتجف..

حاولت التكلم.. كل ما خرج منها صوت غرغرة الدماء في حلقها..

اتصل أخوه بالإسعاف.. وعلى غير المعتاد جاءت سيارة الإسعاف بسرعة وحملوها إلى المستشفى.. لكن كانت (حالة منتهية) كما قال المسعفون..

وفي الصباح.. كانت الدماء شديدة الوضوح واللمعان على الطريق..

دماء طازجة وكأنها لم تتجلط..

بجوار العمارة كان يوجد محل مستلزمات بناء.. ألقى صاحب المحل على الدماء جوالًا كاملًا من الرمال ليمتص الدماء.. لم يجرؤ أحد على غسل الدماء.. كان الناس يعرفون أنها ممسوسة أو مجنونة، وفي كلتا الحالتين أصبح لمس دمائها محرمًا على الكل..

ولكن حدث شيء غريب وغير منطقي بالمرة..

الدماء ظهرت فوق الرمال.. وكأن أحدًا صب الدماء فوقها..



أصاب الناس الذعر أمام هذا المشهد..

لكـن صديقى هذا نـزل وجمع الرمال الدامية فى جـوال وألقاها بعيدًا، ثم ترك الشمس لتبخر وتجفف ما تبقى من أثر الدماء..

أهل الفتاة لم يقيموا بعمل سرادق للعزاء، واكتفوا بتقبل العزاء فى شقتهم..

وفى اليوم التـالى وقبل صلاة الفجر، كان صديقى يجلس مع والدته كالعادة فى انتظار الأذان حين سمع صوت عواء..

عواء غريب جدًّا لا يشبه عواء الكلاب المعتاد..

نهـض من جوار أمه التى لم تنتبـه لما حدث، ودخل إلى الشرفة ليلقى نظرة على مصدر الصوت..

وقعـت عيناه على مشـهد زلزل كيانه بالكامل.. حتى أنه أمسـك بالحافة جيدًا حتى لا يقسط أرضًا..

فى مكان سـقوط الفتاة اسـتلقى كلب على ظهره، وأطرافه الأربعة مفرودة فى الأربع جهات.. وبطنه دامية مشقوقة من رقبته إلى نهاية جسده..

ويحرك رأسه و يعوى.. ثم نظر لأعلى.. تجاه صديقى..

انتفض بشدة مع نظرة الكلب نحوه..

فى هذه اللحظة ارتفع صوت الأذان.. واختفى الكلب..

مع اسـتمرار الأذان شك فى أنه كان يهذى.. لا بد أن منظر الفتاة أثر على عقله بشكل ما.. لا بد أنها هلاوس..

كان مستعدًّا للصلاة، فنزل ليصلى كالعادة فى المسجد القريب..

وهـو ينزل على السـلم كان قلبه يرتجـف.. يتمنى ألا يجد شـيئًا بانتظاره، وهو خارج من منزله.. أخذ يتلو بشفاه مرتجفة ما يحفظ من آيات وأذكار..



خرج من البناية..

لا شيء..

نظـر بوجل إلى بقعة الدماء المتجمدة في قلب الشـارع الطويل الفارغ، وظلام السماء في هذه الساعة، وإضاءة المصابيح المتناثرة.. وفجأة وجد الكلب أمامه يحدق فيه مباشرة ورأسه مقلوبة في وضع مخيف.. ويعوى بصوت عالٍ..

انتفض جسده ووقفت كل شعرة في جسده..

جرى صديقى إلى المسجد.. وأخذ ينتفض وينتفض..

وبعد الصلاة التى لا يدرى كيف أداها، اتصل بأخيه الذى كان نائمًا..

أخذ يتصل ويتصل ويتصل.. إلى أن رد..

رجاه أن يأتى ليأخذه من المسجد..

وعندما عادا معًا إلى المنزل حكى صديقى ما رآه لأخيه..

كان أخـوه عقلانيًّا جدًّا.. وكان لا يصدق مثل هـذه الحكايات أبدًا.. لم يعلق على حكاية صديقى، وإن بدت على وجهه علامات عدم التصديق..

انتظـر لليـوم التالى، وأيقظ أخـاه قبل الفجـر.. ووقفا معًـا في الشرفة يرمقان الشارع الخاوى في الظلام.. في صمت..

وفجأة ارتفع صوت العواء مرة أخرى.. عواء غريب كئيب طويل وحزين..

ومخيف..

نظـرا نحو مصدر الصـوت، ووجدا الكلب الغريب ممدًّا جسـده مكان جثة الفتاة..

ويحدق فيهما..



واختفى مع صوت الأذان..

فى هذه المرة لم يقوَ على النزول.. لم يجرؤ..

لم يدر صديقى وأخوه ماذا يفعلان.. كان الرعب يستولى عليهما بالكامل فى هذا الوقت..

وكان هذا اليوم هو صباح الجمعة..

فانتظرا حتى جاء موعد صلاة الجمعة.. وبعد الصلاة جلس صديقى وأخوه مع إمام المسجد وحكيا له كل ما حدث..

كان رد هذا الشيخ غريبًا نوعًا ما..

قال: لا تخف.. إنه شيطان..

ورد صديقى: لا أخاف لأنه شيطان.. شيء يدعو للاطمئنان بالفعل..

قال الشيخ: قف بجواره واذكر الله تعالى سيختفى ولن يعود..

كان واضحًا أن الرجل نفسه لا يدرى ماذا يفعل؟.. كان خائفًا هو الآخر..

ترجى صديقى الشيخ أن يأتى معه، ويفعل ما يجب فعله فى هذه المواقف..

لكن الشيخ رد عليه قائلًا: الشيطان ضعيف ما دمت قويًّا بالله.. لا تخف وواجهه باسم الله تعالى وسيهرب ولن يعود..

بمعنى آخر تهرب الشيخ من هذه المواجهة..

طبعًا لم يفعل صديقى شيئًا من ذلك..

كان الموقف أكبر منه.. أكبر من قدرته على التحمل..

كان فقط يتمتم بما يحفظ من آيات الله تعالى كلما سمع العواء، وانقطع عن النزول للصلاة فى هذه الأيام..



واستمر ظهور الكلب أسبوعًا كاملًا ثم توقف فجأة..

اختفى الكلب ولم يظهر مرة أخرى..

لكن كلما عبر هذا الشارع يجد شعر ساعده ينتصب خوفًا..

■ ■ ■

هـذه مرة من إحدى المرات التي جربـت أن أحكي لصديق جزءًا من تجاربي.. طبعًـا أنـا عرفت هذه التفاصيـل لاحقًا، عندما حكى لي الحكايـة كاملة ونحن جالسان على المقهى المعتاد.. ما رأيك في هذه الأحداث؟

كان الطبيب يستمع إليَّ باهتمام، ويدون أشياء من حين لآخر في مدونة صغيرة كانت معه.. وعندما وجهت إليه السؤال، ترك القلم ونهض واقفًا وهو يقول:

- تفسـير بسـيط جدًّا.. ربمـا يجب أن تعـرف أن لكل إنسـان مخاوفه الخاصة، ولـكل مجتمع كامل مخاوفه الخاصـة، بمعنى أن الغربي مثلًا قـد يعتقد في وجود الوحـوش الغريبـة التي تنتزع الأحشـاء بوحشـية وبلا هدف، كما يخشـون القتلة المتسلسلين الذين يتلذذون بتعذيب الضحية قبل إنهاء حياتها، لكن هذه المخاوف لا تثير انتباه العقل الشرقي الذي لم يعتد وجود مثل هذه الأشياء..

المخاوف المصرية لا تتعدى الخوف من الجن والعفاريت والظواهر الغامضة.. وعلى ذلك فإنهم ينسـبون إليها الكثـير والكثير من الأمور التي تحدث حولهم، والتي يعجزون عن تفسيرها..

يعـني هذه القصـة من الممكن أن تكـون قد حدثت فعلًا.. ولكـن الأكيد أن خيـال صديقك لعـب دورًا مهمًّا في ترتيب وتقديم القصـة لك في نفس الوقت الـذي كنت تعاني أنت فيـه من أحلام وظواهر غريبـة، فتضافر هذا مع ذاك ليقدم لك شيئًا غريبًا ليس له أساس من الصحة، ولا وجود في الواقع..



اعتدلت فى مكانى وسألته:

- يا دكتور: أنت لا تعتقد فى وجود الجن.. أليس كذلك؟

ابتسم وهو يحرك رأسه يمينًا و يسارًا علامة على النفى..

قلت له:

- ولكن الجن مذكورون فى القرآن الكريم، وفى الإنجيل ذكر الأرواح النجسة.. فكيف تنكر أنت ذلك؟

قال الطبيب: حسنًا.. أنت شخص متفتح العقلية، ولست من المتشددين حسبما أرى.. لذلك يمكننى أن أخبرك بوجهة نظر معينة تقول: إن الإيمان نسبى، بمعنى أنك تظل تبحث طوال حياتك عن شيء مناسب لتؤمن به، ثم يتوقف بحثك.. بالنسبة لى أنا أحب البراهين العلمية والإثباتات المنطقية.. فقط..

أرجو أن تكون قد فهمتنى..

- أنت ملحد؟

- ليس بالمعنى المفهوم.. أنا فقط متشكك جدًا، ربما لم أجد من يقنعنى للغاية بأفكاره.. سأخبرك بقصة صغيرة أنهى بها لقاءنا اليوم..

ابتسمت من طريقته اللطيفة فى طردى كالمرة السابقة، وهو يقول:

كانت أمى تعيش معى فى المنزل قبل وفاتها، وذات يوم بعد الفجر بقليل استيقظت أمى على صوت شيء ما ينبش تحت سريرها..(خرفشة) كما يقال.. نهضت أمى وشعرت بالفزع الشديد.. أخذت تبسمل وتستعيذ ولا شيء يتغير.. فقط كلما علا صوتها علا صوت الـ(خرفشة) هذه.. زادت ضربات قلبها، وانهمر العرق على جبينها، كان الجو حارًا قائظًا ذلك اليوم..



نظـرت أمي إلى البلكونة المفتوحة، وهي تتخيل أن شـيطانًا أو ماردًا دخل منها إلى المنزل..

أخذ صوتها يعلو بالقرآن والأدعية، وصوت الـ(خرفشة) يعلو و يزداد..

وفجأة صمت وهدأ كل شيء..

لا (خرفشة)..

صمتت أمي قليلًا، ثم نهضت من على سريرها وسارت خطوات قليلة ..

لا شيء..

صمت تام..

جلســت على الكنبة المقابلة لهــا، وهي تحمد ربها على انتهـاء ذلك الخطر غير المفهـوم.. وامتدت يدهــا لتتناول زجاجة الماء لتشرب، فـإذا بالصوت يبدأ من جديد من تحت الكنبة التي تجلس عليها..

هنا نهضت صارخة واندفعت تجرى من حجرتها..

اسـتيقظت طبعًا من نومى مفزوعًا، وجريت نحو حجرتها لأفهم ماذا هناك.. إن أبي مــات منــذ زمــن، فلا سـبب للصراخ هكــذا إلا مصيبــة.. خرجت من حجــرتى لأجدها تخرج مــن حجرتها بخطـى سريعة مضطربة، لا تتناســب مع سـنين عمرها التي تجاوزت الخامســة والسـتين، لأجدهــا تلهث وتحكى عن (العفريت) الذى ظهر لها في الحجرة..

دخلت الحجرة لأتفقدها.. لا شيء، ولكن هناك صوت خروشـة يأتى من تحت الكنبة.. بكل بساطة انحنيت لأرى سبب الصوت، فإذا بها حمامة..

حمامة صغيرة مذعورة محشورة تحت الكنبة، تحاول الخروج أو الطيران..



ويبدو أن هناك شيئًا ما أصاب جناحها، فأخذت تحاول تلك المحاولات الخرقاء للخروج من تحت الكنبة..

طبعًا كان الصوت فى نظر أمى عبارة عن مارد من الجن يحاول إيذاءها..

ضحكت من القصة.. نهضت من مكانى وشكرته، ثم خرجت بهدوء، وأغلقت ورائى الباب.

■ ■ ■

لاحقًا فى نفس الليلة:

طرقت السكرتيرة الحسناء باب الطبيب، ودلفت إليه تطلب الإذن فى الخروج مبكرًا اليوم، كان وجهها مصفرًا على غير العادة..

سألها الطبيب عن سبب شحوب وجهها، والخوف الذى يبدو ظاهرًا على محياها..

ترددت الفتاة قليلًا، ثم قالت:

المريض الذى غادر الآن يخيفنى حقًّا.. فى المرة السابقة كنت أشعر أن المكان أظلم قليلًا عندما دلف إليه.. وأحسست بقشعريرة غريبة طوال فترة انتظاره.. وجوده عموما مقبض جدًّا..

اليوم، وقع منه هذه الخاتم الغريب عندما كان فى غرفة الانتظار..

ومدت يدها إلى الطبيب بالخاتم..

مد الطبيب يده يلتقط الخاتم، وأخذ يتفحصه.. كان خاتمًا ذهبيًّا، أو من معدن يشبه الذهب، عليه نقش غريب لا يمكن تمييزه، يبدو كأنه نوع من الكتابة..



استطردت المرضة قائلة: عندما وجدته وضعته بجواري إلى أن ينهي الجلسة..

لكن.. كنت.. كنت أشعر أن الخاتم يتحرك دون أن يلمسه أحد.. يرتجف.. وكلما نظرت إليه أجده ساكنًا هادئًا.. لكني أسمع صوت المعدن وهو يتحرك على زجاج المكتب.. المكان غارق في الصمت، وأي صوت مهما كان ضئيلًا يبدو واضحًا جدًّا..

وعندما خرج المريض من عندك أسرع إلى الباب وهو ينظر إلى الأرض، ناديت عليه فلم يجبني، وخرج مباشرة من العيادة..

نهضت وراءه اعتقادًا مني أنه لم يسمعني، كنت وراءه مباشرة.. بعده مباشرة يا دكتور بفارق عدة ثوان، فلم أجده..

وجدت قطًّا أسود ضخمًا جالسًا أمام العيادة ينظر إليَّ بهدوء بعينين صفراوين مخيفتين..

أغلقت الباب وعدت إلى مكاني، وأنا أشعر بكل ذرة في كياني ترتجف خوفًا..

هز الطبيب رأسه في إشفاق، وهو يقول:

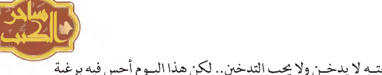
يبدو أن لدينا مريضة جديدة هنا.. إن العمل في ازدهار..

عمومًا تستطيعين أخذ الإذن والخروج، ولنا جلسة معًا فيما بعد..

■ ■ ■

بعد عدة أيام في منزل الطبيب:

كان الوقت فجرًا، والطبيب يجلس في شرفة منزله يدخن سيجارًا، وينظر أمامه في شرود.. كان خائفًا من النوم..



كان بطبيعته لا يدخن ولا يحب التدخين.. لكن هذا اليوم أحس فيه برغبة عارمة فى جذب عدة أنفاس من هذا السيجار الفاخر..

نظر إلى حيث تغفو زوجته.. كانت نائمة فى سلام، تكاد تصدر قرقرة كطفل وليد مطمئن.. وأخذ يفكر..

كان لا يخاف شيئًا.. عمله مع المرضى النفسيين قضى على كل مخاوفه تمامًا..

ولكن.. ذلك الحلم الغريب الذى يراوده مؤخرًا لا ينفك يسبب له الرعب والفزع.. والغريب أنه لا يدرى سببًا لذلك..

حلم واحد يتكرر عدة أيام متتالية، وكأنه شريط فيديو يعاد كل يوم..

وبنفس التفاصيل..

كان يحلم بأنه يسير وحيدًا فى قلب الظلام خارج قصر مظلم، ومع ذلك يرى الموجودات من حوله وكأنها تشع بإضاءة حمراء خافتة، تبدو وكأنها تصدر ذاتيًّا من قلب كل الموجودات التى من حوله..

يسير عدة خطوات بلا هدف فى قلب الظلام تجاه الغابة القريبة، فجأة وبدون سبب يلتفت خلفه ليجد ذلك الرجل يحدق فيه بتركيز.. وكأنه كان يسير وراءه بصمت طوال الوقت.. هنا يشعر برعب هائل، ويتجمد جسده تمامًا، ولا يستطيع حراكًا.. يتقدم منه الرجل بهدوء.. كان الرجل كما وصفه ذلك المريض من قبل..

وسيمًا..

طويلًا..

وقوى الجسد..

ذا شعر أسود لامع..



ويرتدى ملابس سوداء..

هو يتذكر هذا الوصف جيدًا..

حتى فى أثناء الحلم يتذكر أنه سمع هذا الوصف من مريضه..

يتقدم منه الرجل ببطء خطوتين..

هناك رائحة كريهة تحيط به..

وهو لا يستطيع التحرك.. جسده متجمد تمامًا، وكأنما فقد السيطرة عليه..

يرفع الرجل يده بشيء أسود ويقدمه له.. لكنه لا يستطيع الحركة..

جسده قرر فجأة ألا يطيع عقله..

يحاول الهروب..

الصراخ..

تحريك قدم..

تحريك يد..

لا شيء يستجيب..

يخفض الرجل صاحب السواد يده، ثم يبتسم ويطير فى الهواء ببطء..

وبصوت عميق يتردد حوله فى كل مكان يسمع صوت ذى السواد وهو يقول:

ابتعد عنه..

ابتعد عنه..

ابتعد عنه..

هنا يستعيد السيطرة على جسده دفعة واحدة، فينتفض جسمه فى الحلم ويجرى مسرعًا إلى قلب الظلام، وقلبه يدق بسرعة شديدة..

لا يـرى جيدًا.. فجأة يجد نفسـه يسـقط من فـوق جرف عالٍ جدًّا.. يسـقط ويسقط.. نحو حفرة كبيرة مليئة بالديدان..

ثم يستيقظ، وقلبه يكاد ينفجر من فرط سرعة دقاته..

المشكلة بالنسبة إليه أن الشعور بالخوف لم يعد مألوفًا منذ أمد بعيد..

كان فى قرارة نفسه لا يؤمن بشىء..

كان يخفـى ذلـك؛ لأنه يعلم مصيره إذا علم أحد بذلـك فى مجتمع متعصب.. لم يكن يصدق فى وجود الله..

وبالتالى لا يؤمن بوجود الملائكة ولا الشياطين..

كان يسخر من ذلك فى قرارة نفسه..

والنتيجة أنه كان يبحث عن سبب منطقى لكل شىء يصادفه فى حياته..

وغالبًا ما يجده..

كان لا يخاف إلا من الأشياء المادية البحتة..

المرض..

الفقر..

السجن..

الفشل..

الموت..

لذلك ظل طوال حياته يفعل ما فى وسعه ليتجنب كل ذلك..

لم يكن قد أخبر أحدًا بإلحاده من قبل.. ولا حتى زوجته..

عدا ذلك المريض الذى يحلم أنه قاتل.. وكم شـعر بالدهشة من نفسه لذلك!..



هـو يعلـم جيـدًا أنه لا ينبغـى للطبيـب النفسى مشـاركة المريـض معلوماته الشخصية..

الغريـب أنه وجد نفسـه مدفوعًا برغبة عارمة لا تقـاوم للحديث معه بصورة شبه حميمية..

ولكن..

أن يحلم بما أخبره به المريض..

هذه علامة غير صحية على الإطلاق..

كان مصدر خوفه وقلقه ليس من الحلم الغريب..

بل إنه ربما يكون قد أصابه مرض ما من جراء تعامله مع المرضى العقليين..

ربما يكون قد تأثر بهم بشكل أو بآخر..

ربما يحتاج لإجازة يبتعد فيها عن كل هؤلاء المجانين قليلًا، حتى يستعيد توازنه النفسى..

نظـر إلى الأفق البعيد الذى بدأ يتلون بلون الشـفق، وهو يتذكر أحداثًا مرت منذ عشر سنوات أو يزيد..

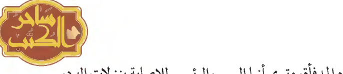
تذكر أنه كان قد توقف عن الخوف، وعن الإيمان منذ وفاة أمه..

كانت الوفاة قاسية جدًّا عليه..

كان جالسًا فى منزله منهمكًا فى تحضير رسالة الماجستير..

وكان منهمكًا فى العمل..

والجـو شـتوى بـارد، وأمـه العجـوز فى الحجرة المجـاورة نائمـة أمـام المدفأة الكهربائية، التى ابتاعها لها خصيصًا..



كانت أمه تكره هذه المدفأة، وترى أنها السبب الرئيسى للإصابة بنزلات البرد، والتهاب الحلق، وكل ما له علاقة بأوجاع العظام..

لكـن الجـو كان بـاردًا حقًّا ذلك اليـوم، وكانـت الأم قد خرجـت حديثًا من المستشفى بعدما أتمت عملية جراحية فى ركبتها..

وبينما كان منهمكًا فى رسالته شم رائحة غريبة كأن هناك ورقًا يحترق..

لكن مع انهماكه فيما يصنع، لم يعر الأمر اهتمامًا..

انتبه فجأة على صوت صراخ أمه، نظر خلفه فرأى نارًا فى غرفتها، وحدث كل شيء بسرعة.. فجأة انكسر الشـباك القريب، كان يسـكن فى الطابق الأرضى، دخل أناس حجرته وأمسكوا به..

هنا انتفض وصرخ، وهو يحاول التملص ممن أمسـكه ليدخل لإنقاذ أمه، بينما صراخ أمه يتعالى، تهتف باسمه وتتوسل إليه ألا يتركها..

أخرجه الناس من الشـباك، بينما تعالت صرخات الأم المسـكينة فى حجرتها، وانهـار هو فى الخـارج، وقلبه يتمزق ويتهـاوى، ودموعه تغـرق وجهه، وظل يدعو الله أن تنجو أمه مما حدث..

ظل يدعـو ويصرخ ويدعو ويصرخ، ويحاول التملص ممن يمسـكه ويصرخ ويدعو..

إلى أن جاء الإطفائيون.. والمسعفون.. فقط ليحملوا أمه إلى المشرحة..

وكانـت النتيجـة أن.. أصابته صدمة عصبيـة عنيفة، دخل عـلى إثرها إحدى المصحات النفسية..

خرج منها شخصًا مختلفًا..

لا يؤمن بشيء..



ولا يخاف من شيء..

كانت تجربة قاسية يندر أن يتحملها أحد، لكنه استطاع إكمال حياته بعدها بشكل ما..

بعد خروجه من المصحة بفترة بدأ يعاود دراسته بكل قوته، فأنهى رسالته، وبينما كان يحضر للدكتوراه تزوج..

كان يخفى أمر عدم إيمانه هذا، وخضع لما يتطلبه أمر الزواج من أمور وعادات عقائدية، فقط لأنه لم يحتمل وحدته القاسية..

وصب اهتمامه وحبه على زوجته.. عائلته الوحيدة بعد أمه..

عند هذا الحد أفاق من تأملاته على ملمس يد حانيه تحيط به من الخلف.. وصوت زوجته الحنون، وهى تقول له:

- ألم تنم بعد؟

قبل يديها، وأزاحهما عنه، ونهض من مقعده ،وهو يقول مبتسمًا:

يبدو أننى شربت الكثير من القهوة اليوم، لم أستطع النوم..

عندى العديد من الحالات النفسية التى تحتاج منى إلى تركيز شديد.. التفكير فيها يرهقنى بشدة..

اقتربت منه زوجته فى دلال، وطوقت عنقه فى حب، وهى تقول:

أنت تتعب كثيرًا.. لا بد لك من الراحة إن لبدنك عليك حقًّا..

حبيبى لا أريد أن أجدك تتجول فى الصالة والحلة على رأسك..

تسلل عطرها إلى رأسه، وهو يضحك من قولها، فانحنى يحملها، ويسير بها إلى فراشهما، وهو يقول:



حبيبتى.. أحبك..

سنأخذ إجازة قريبًا، ونسافر فيها معًا إلى أى مكان تختاريه..

همست فى أذنه: مكانى الذى أريده أنا موجودة فيه الآن بالفعل..

وضعها على طرف السرير، ثم قال لها: سأحضر عصيرًا من الثلاجة، وآتى إليك.. ما رأيك؟

ضحكت زوجته، وهى تتمدد أمامه على السرير دون أن تتكلم..

دخل الطبيب إلى المطبخ ليعد العصير، ثم دخل إلى الحمام ليغسل وجهه سريعًا قبل الدخول لزوجته..

عندما رفع رأسه إلى المرآة وجد انعكاسًا للرجل الذى يرتدى الأسود ينظر إليه من الجانب الآخر فى غضب..

انعقد لسانه وهو يحدق فى انعكاس المرآة..

إنه لا يهذى..

بل هو يهذى..

مستحيل..

لا يوجد شىء كهذا..

ظل جامدًا مكانه للحظات، ثم اسود كل شىء فى عينيه، وسقط فاقدًا للوعى فى وسط الحمام..

□□□



تحذير ..

هذه الأحداث بالكامل أحداث حقيقية..

كما أن الأحداث القادمة دموية فعلا لا تناسب ذوى المشاعر المرهفة..

ولا تناسب ذوى المشاعر القاسية أيضًا..

فى الواقع هذه الأحداث لا تناسب أى مشاعر على الإطلاق..

كما يجب أن أنوه إلى أن قصص الجان والهلاوس الواردة حقيقية تمامًا..

وهم يحبون من يقرأ عنهم ..

صدقنى .. فإذا أكملت القراءة فهذا شأنك وحدك ..





الجلسة الثالثة

كنت جالسًـا منتظرًا دورى فى موعدى الأسـبوعى مع الطبيب، حين لاحظت أن الممرضة الحسناء تتحاشى نظراتى، وتمضغ اللادن بعنف زائد..

كان وجهها ينم عن توتر بالغ تجاهد لتغطيه تحت قناع من الثبات الزائف..

أتراها شعرت بشىء؟!

ابتسـمت، وأشـحت بوجهى بعيـدًا بانتظار دخـولى للطبيـب.. لم يكن أحد بالداخل، وعلى الرغم من ذلك فقد انتظرت فترة قبل الدخول..

(اتفضل)..

قالتها بصوت مبحوح، وهى تجاهد لتبتسم، مشيرة نحو حجرة الطبيب..

نهضت من مقعدى شاكرًا إياها، ومررت بجوارها ببطء..

كانـت تجاهد لتبدو طبيعيـة.. لا بأس، لقد اعتدت هذا الإحسـاس من زمن، خاصـة لـدى النـاس المفرطى الحساسـية، هـم دائمًـا لا يشـعرون بارتياح فى وجودى..

طرقت الباب، ثم دلفت إلى حجرة الطبيب بهدوء..



وجدت الطبيب جالسًا خلف مكتبه كالعادة، وإن لم يكن على ما يرام هو الآخر..

ألقيت عليه السلام، فرد سلامى فى بشاشة، واصطناع..

هذا طبيب محترف يخفى بداخله آلاف الأشياء التى يمكن أن تؤثر على عمله، لكنه يدفنها دفنًا فى أعماق روحه..

كأى طبيب نفسى يجيد إخفاء عواطفه تمامًا..

كان يرتدى ملابس أنيقة، متضمخًا بالعطر، حليق الذقن..

افتقدت اليوم لمسته البسيطة المريحة للنفس..

كان كمن يحاول إزالة توتر نفسه بهذه العناية المبالغ فيها..

وبينما أفكر فى هذه الخواطر كنت أبتسم فى قرارة نفسى.. فأنا مريض نفسى يحلل نفسية طبيبه النفسى، قبل جلسة التحليل النفسى..

قلت له متسائلًا:

- عذرًا على التطفل يا دكتور، لكنك لا تبدو على ما يرام.. أعرف أنه سؤال غريب، لكن هل حدث لك شىء له علاقة بما أرويه لك؟

ضحك فى مرح مصطنع، وقال:

- ماذا؟ هل ستلعب أنت دور الطبيب اليوم؟

ابتسمت من خواطرى السابقة، وقلت له:

- لا بالطبع، ولكنى أسألك من باب الاطمئنان..

أنا آتى إليك لأسباب شخصية جدًّا، وأعتقد أنك الوحيد الذى لا يمكن أن يصاب بمكروه نتيجة ما أحكيه، على عكس من كل من حكيت لهم قبلًا..



قال لى وهو يشيح بنظره بعيدًا عنى:

لا تشغل بالك بى.. أنا أعيش حياة رائعة، ولا أمر بأى مشاكل من أى نوع.. والآن.. ماذا ستحكى لى اليوم؟

كان الطبيب يكذب.. يكذب وبشدة.. أنا متأكد من ذلك.. لن يكون الأول..

ولا الأخير..

نهضت من مكانى أمام مكتبه، وذهبت إلى حيث يوجد السرير الوثير..

استلقيت عليه، وأغمضت عينى، وبدأت أحكى مباشرة..

دون حتى أن أنتظر مجيء الطبيب..

■ ■ ■

هذه المرة كنت فى قرية مصرية..

قرية مصرية جدًّا لو صح التعبير..

نباتات الذرة العالية تتمايل مع نسمات الهواء الباردة..

واللون الذهبى من بعيد ينبئ عن وجود سنابل القمح..

وما دار فى ذهنى وقتها هو: هل ينمو القمح وقت نمو الذرة؟

هذا الحلم بالذات من أقوى الأحلام التى مررت بها.. حتى كأنى أحكى ذكريات وليست مجرد أحلام..

أخذت نفسًا عميقًا معبقًا برائحة الروث.. لكنه منعش على الرغم من ذلك.. نظرت جوراى لأجد الرجل الذى يرتدى السواد واقفًا بالقرب منى، ينظر نحوى فى هدوء، وهواء الريف يعبث بشعره وملابسه..



توجهت ببطء إلى حيث يقف.. وكأنما استدعانى بشكل ما..

فى هذه المرة كنت أحس أنى رجل طويل وقوى، لكن عقلى ليس على ما يرام.. أشعر به مشوشًا ضبابيًا لا يعمل كما اعتدت عليه..

أعطانى ذو السواد سكينًا أسود طويلًا شديد الحدة..

كنت قد رأيت هذا السكين عدة مرات من قبل..

أشار إلى ثلاثة منازل متجاورة.. أومأت برأسى أن نعم، ثم توجهت إلى أول منزل..

كانت تقف أمام المنزل سيارة سوداء صغيرة، لم أر مثلها من قبل، خرج منها رجل قصير يرتدى نظارة طبية، ويحمل حقيبة صغيرة مربعة الشكل، وكأنها صندوق وليست مجرد حقيبة عادية..

لم أعره اهتمامًا، بل شعرت نحوه بشيء من الرهبة؛ لأنى عرفت أنه ينتمى للرجل الذى يرتدى السواد..

وعلى الرغم من أن الوقت كان عصرًا، إلا أن سكان المنزل الأول كانوا نائمين.. كنت أعرف ذلك دون أن يخبرنى أحد.. لم يوجد مصدر لمعلوماتى هنا.. لكن.. ضباب ثقيل يحيط بعقلى.. لا أستطيع التفكير.. أنا أعرف وأتصرف فقط..

وبهدوء صعدت أمام هذا الرجل القصير إلى الطابق الأعلى الذى ينام فيه أغلب أفراد المنزل.. دخلت إلى أول حجرة، كان بها ملاكان نائمين فى هدوء.. لا بأس..

جررت السكين بهدوء على رقبة أولهما..

استيقظ الصغير فزعًا وألمًا، وأمسك رقبته التى يتفجر منها الدماء، بينما كنت أمرر السكين على رقبة الثانى بسرعة عدة مرات، لم يستطعا حتى الصراخ، ووقفت أشاهدهما ينتفضان على سريرهما انتفاضة الموت، والذعر يملأ



عيونهـما الصغيرة التى يخفت فيهـا بريق الحياة تدريجيًّا.. بينـما الدماء الفائرة تغمر كل شىء..

كان شعورًا غريبًا جدًّا وقتها..

ما بين الذعر من هـذا الذى أفعله، والمنظر المروع للطفلين المذبوحين أمامى، وبين البلادة وعدم الاكتراث لشىء..

من جديد يراودنى إحساس وجود شخصين مختلفين تحت جلدى..

أشعر بهما معًا..

كان ورائى الرجـل ذو الحقيبـة، تحـرك إلى الجانب الآخر من الفـراش، وراح ينتـزع بالمبضع أعينهما بدقة وهدوء جراح، حتى قبل أن يهمد جسـدهما تمامًا ويسـلما الروح، ثم باحتراف اقتطـع من العين بين يديه ما يبـدو أنه القرنية، وألقى بقية العين على الأرض..

ولفت نظرى شىء.. الطفل الأول كان ينزف فقط.. يبدو مصدومًا ولا يستطيع الحركة، لكن أطرافه كلها تتشنج بالألم.. عيناه التى تفتحان وتغلقان وتنظران نحونـا.. يداه التى تدفع الطبيـب بوهن بعيدًا عنه.. عينـه اليسرى التى تنغلق وتدور بجنون أثناء انتزاع عينه الأخرى..

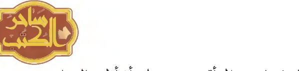
لم يمنعه كل ذلك من انتزاع وقطع ما يريده، ويضعه فى تلك الحقيبة التى معه..

حتى همد الجسدان أو كادا، ونحن نخرج من الحجرة للحجرة المجاورة..

الحجرة المجاورة كان فيها الأبوان نائمين أيضًا..

حسنًا..

ليس القتل صعبًا لهذه الدرجة، أضف إلى ذلك أن السكين كان حادًّا فعلًا.. كان إحساس الذعر داخلى قد بدأ فى التراجع، وإحساس البلادة يسيطر علىَّ بقوة..



نظر الرجل للزوجين، وأمرنى بفصل عنق المرأة عن جسدها، وأن أطعن الرجل فى قلبه، وعدم ذبحه، ثم قطع الأعضاء التناسلية لهما..

بـدأت فى تنفيـذ مهمتى فى نوع من التقـزز.. طعنت الرجل، ثـم فصلت عنق المرأة بقوة واحتراف.. ثم بدأت المهمة المقززة بالنسبة لى وقتها..

بدأت أقتطع ما أراده من الرجل الذى لم يكن قد أسلم روحه بعد، ثم أكملت مهمتـى مـن زوجته، وخرجت من الحجـرة تاركًا إياه يتلـوى، ويضع يدًا على عورتـه، ويـدًا على صدره، وعينـاه معلقتان بزوجته.. يبكى.. ويلفظ أنفاسـه الأخـيرة، بينما رأس زوجته ملقى على السرير ينظر لنا فاتحًا فمه فى ذهول غير مصدق لما حدث لها..

أمـا الحجرة الأخـيرة فى المنزل الريفى فلم يكن بهـا إلا خادمة عجوز من أهل البيت، أمرنى بقتلها فقط، دون أى شىء آخر..

دون كلام دخلت وانهلت عليها طعنًا سريعًا.. ربما كان لديه شىء من الآدمية والرحمة بهذه العجوز رغم كل شىء..

خرجنا من المنزل الأول، وأعطى الحقيبة لشخص يرتدى بذلة سوداء، يقف على باب المنزل منتظرًا، وكأنه حارس خاص ليبعد أعين الفضوليين الذين - وللعجب - لم يتواجـد منهـم أحد، وكأن القرية مـات كل من فيها.. وأخـذ منه حقيبة أخرى مشابهة لكن أكبر قليلًا من الأولى، ثم توجهنا بهدوء إلى المنزل الثانى..

وما حدث فى المنزل الثانى هو نفس السيناريو تقريبًا..

أيضًا كان الكل نائمًا، على ما يبدو أن هذا النوم لم يكن طبيعيًّا..

يبدو أنهم معدون بشكل ما لهذه المجزرة..

اللافـت للنظر أن نومهم لم يكن عميقًا للغاية؛ إذ إنهم كانوا يسـتيقظون فور البدء فى عملية قتلهم..



باختصـار دون ذكر تفاصيـل كثيرة تم قتل كل من فى المنـزل ذبحًا، عدا فتاة مسكينة واحدة..

أمرنى الرجـل بتقييدها فى الفراش جيدًا أثناء نومها، بينما وضع هو لاصقًا على فمها الصغير..

بالطبع اسـتيقظت الفتـاة أثناء تقييدها، لكنى كنت قيـدت يديها بالفعل، ولم تستطع مقاومة القوة القاهرة التى كنت أقيد بها قدميها..

أخذت تتلوى فى فراشها غير قادرة على فعل شىء، وهى تهمهم همهمات متوسلة غير مفهومة، وعيناها متسعتان على آخرهما من الرعب..

وقف الرجل بجوارها، وأخرج مقصًا قطع به رداءها بسرعة من الأسفل لأعلى كاشفًا جسدها كله أمامها..

ثم أخرج الرجل مبضعًا طبيًّا، وبهدوء شديد شق بطنها وهى حية..

انتفض جسـدها من الألم الشنيع، وبرزت عروق رقبتها، وهى تحاول الصراخ بلا جدوى..

وتشـنج جسـدها تمامًا من فرط الألم، عندما فتح الرجـل بطنها بجهاز خاص يستخدم فى العمليات الجراحية ليبقى الجرح مفتوحًا..

مد يديه داخل جسدها ليسـتخرج شيئًا ما بهدوء.. وبينما كانت الفتاة تحاول الصراخ والتوسل والتلوى بوهن، كانت عيناها تنهمر بدموع الألم أنهارًا..

اسـتخرج هـذا الجراح منهـا ما يبدو أنـه الكبـد، ووضعه بعنايـة فى حقيبته الكبـيرة.. ثم عاد ليسـتخرج كليتيها واحدة تلو الأخـرى، ووضعها فى عناية داخل حقيبته الكبيرة، ثم أغلقها..

أخـذ يرمـق الفتاة بهدوء وهـى تموت.. عيناها تـدور وتنظر لأشـياء لا نراها



وهى تسلم الروح رويدًا رويدًا.. كان ينظر وكأنما يبحث فيها عن شيء آخر يصلح لأخذه..

خرجنا من المنزل الثانى، وسلم الحقيبة لنفس الرجل، بينما كنت أنا كالآلة لا أشعر بشيء..

تبلد تام هذه المرة..

لا مشاعر على الإطلاق..

ركب الرجل السيارة، وأمرنى أن أكمل وحدى فى المنزل الثالث..

أمرنى أن أمرح وحدى فيه هذه المرة.. بشرط أن أقتطع الأعضاء التناسلية لكل من أقتلهم دون استثناء، وأجمعهم معى لإخفائهم بعيدًا..

ومع ابتعاد السيارة دلفت للمنزل الثالث.. قتلت كل من فيه.. كانوا نائمين أيضًا.. وأيضًا ذبحتهم وطعنتهم دون إحساس.. كأنى فى عمل روتينى أتعجل لإنهائه..

مشكلتى كانت فى اقتطاع الأعضاء التناسلية لهؤلاء..

كنت أضعهم فى جيبى تمهيدًا لدفنهم بعيدًا..

الغريب أن هذا العمل هو الوحيد الذى كان يثير تقززى وسط كل هذه الأحداث..

كنت أذبحهم وأطعنهم، ثم أقتطع ما أريد اقتطاعه سريعًا، وأترك الضحية تعانى سكرات الموت وسط بركة الدماء، لأنتهى ممن يليها.. كنت بدأت أشعر بالملل، أريد الانتهاء من كل ذلك سريعًا..

بعد انتهائى من كل ذلك، وقبل خروجى من المنزل، دخلت إلى مطبخ المنزل لأغسل سكينى جيدًا، فلست أحب تسليمه ملطخًا بالدماء..



عندمـا خرجت من المنزل الثالـث وجدت الرجل ذا السـواد فى مكانه يتطلع نحو الأفق البعيد..

عندما رآنى قادمًا إليه من قلب الحقل، أحسست أنه كان يرمقنى فى فخر..

اقتربـت منـه فى وجـل، ومـددت يدى إليـه بالسـكين، وأنا أطأطـئ رأسى فى خشوع..

تناول منى السـكين، ثم مد يده يطعمنى تلك الحلوى السـوداء المرة، التى تتوق لها نفسى مرة بعد مرة..

ثم استيقظت من النوم..

هل تعلم ماذا وجدت بجوارى على الفراش؟

أعضاء تناسلية طازجة تنز منها الدماء..

بالطبع لك أن تتخيل ذعرى وفزعى وتقززى من هذا الذى وجدته..

لم أدر ماذا أفعل..

وقفت لبرهة أرمق المشهد، ثم هرعت إلى الحمام؛ لأفرغ كل ما فى بطنى، ثم حملت الملاءة بما حوت وكورتها حول بعضها، وأحرقتها لاحقًا على سطح العمارة..

■ ■ ■

فتحت عينى بعدما أنهيت حلمى، لأجد الطبيب ينظر إلىَّ فى اهتمام، بينما يبدو على وجهه تعبير ما، لا أدرى كنهه، وقال لى:

هذه الأحداث ليست غريبة علىَّ.. أشعر كأنى سمعتها من قبل..

قلت له:

- نعـم.. بعدها بيومـين قرأت عن مجنون اقتحم ثلاثة منـازل فى الصعيد، وقتل



كل مـن كانوا هناك من رجال أو نسـاء أو أطفـال.. قتل اثنى عشر روحًا دون رحمة، وخلال أقل من ساعتين..

قال الطبيب فى دهشة:

- أنت تتحدث عن مذبحة بنى مزار !!

ابتسمت وقلت: نعم..

نهض الطبيب من جوارى.. لاحظت أنه لم يكن يدون شيئًا هذه المرة..

قال لى وهو يتوجه إلى مكتبه:

هـذا الحلم لا يدل عـلى شيء خارق أو غير مألوف.. ممكن جـدًّا أن تكون قد سـمعت عن الحادثة فترسـخت داخلك، ثم حلمت بها بعد ذلك، ومع قليل من ألعاب العقل نسيت أنك سمعت عنها أولًا، ثم حلمت بها ثانيًا، فأصبح الترتيب المنطقى بالنسـبة إليك أنك شـاهدتها فى نومك أولًا، ثم قـرأت عنها ثانيًا.. هل تفهم ما أعنيه؟

اعتدلت فى جلستى، وقلت للطبيب:

حسنًا، لكن أريد منك تفسيرًا لما ستسمعه منى الآن..

حدق فىَّ الطبيب، وهو يتساءل: وماذا سأسمع؟

قلت له:

- ولكن وقتى اليوم قد..

قاطعنى فى عصبية قائلًا:

- دعـك مـن الوقت.. ليس عندى غـيرك اليوم.. ولا بأس أن أجلـس معك وقتًا إضافيًّا.. اعتبره هدية منى..



هززت كتفى، ثم قمت من على السرير الوثير، وسرت نحو مكتبه، وجلست أمامه.. وبدأت أتحدث..

■ ■ ■

قلت له:

ذات مرة كنت جالسًا مع جار لى نتحدث فى أحوال البلاد، وتطرق بنا الحديث إلى ما يحدث من أحداث دموية فى مصر، وكنت أنا راغبًا بشدة فى الحديث عن أحلامى.. كانت تجثم على صدرى ولا أجد لها متنفسًا، فحكيت له حلمًا بشكل عابر..

دمجت فى الحديث حلمًا وحكيت عنه، لكن دون ذكر أنى حلمت بشيء من ذلك.. كنت أسيطر على نفسى بالكاد وأنا أحكى له تفاصيل المذبحة التى قمت بها فى حلمى.. ورويدًا رويدًا شعرت بالراحة.. أخيرًا تحدثت ولو بشكل غير مباشر..

بعدها بعدة أيام سمعت أنه ذهب ليقيم عند والدته فى المهندسين، تعجبت من ذلك؛ لأنى أعلم جيدًا أنه لا يحب ترك منزله أبدًا.. حتى عندما كانت زوجته تبيت خارج البيت، كان يأتى هو ليبيت وحده فى المنزل..

المهم.. لم أقابله إلا بعدها بشهر..

ظل شهرًا كاملًا لا أعرف عنه شيء.. ولا يعرف أحد عنه شيء..

عندما سألته عن أحواله، أخبرنى أنه تعرض لتجربة مفزعة كادت تودى بحياته..

قلت له إنى سأمر عليك ليلًا؛ لأطمئن عليك، وأعرف ما حدث لك بالتفصيل.

وكنت أنوى أن أسجل له حديثه.. وهى عادة بدأتها منذ فترة.. أسجل لأصدقائى خفية من هاتفى المحمول ما حدث لهم، وما يحكونه لى من تجارب غريبة..



أعلم أن هذا عملًا غير أخلاقى، لكنى من حين لآخر كنت بحاجة إلى سماع ما يؤكد لى أنى لست متوهمًا..

وقد جمعت عددًا لا بأس به من هذه التسجيلات..

ثم أخرجت هاتفى ووضعته أمام الطبيب على المكتب..

نظر إليه نظرة لا تحمل أى معنى.. نظرة خاوية..

استكملت كلامى قائلًا:

- معى هذا التسجيل الآن.. هل ترغب فى سماعه؟ ولربما أعطيتنى رأيًا علميًّا رصينًا يتوافق مع معطياتك العلمية..

رغمًا عنى خرجت منى العبارة السابقة بنبرة ساخرة.. لكنه لم يعلق.. أو لم يهتم.. فقط أشار إلىَّ أن أبدأ عرض المقطع الصوتى الخاص بصديقى، وهو يومئ برأسه إيجابًا.. وبدأنا نستمع معًا...

■ ■ ■

صوت طرقات على باب.. يليها بلحظات صوت باب ينفتح..

صوت غليظ يقول: أهلًا.. اتفضل.. اتفضل..

ثم صوت باب يغلق بهدوء..

اتفضل..

ادخل ادخل.. لا يوجد أحد بالشقة.. كيف حالك؟ وكيف تمضى حياتك؟ وكيف... إلخ..

(حوالى عشر دقائق من الثرثرة الفارغة التى نبدأ بها الكلام عندما نزور أحدًا..) ثم سؤال:

- احك لى ما حدث بالتفصيل..



الصوت العليظ يزفر الهواء، ثم يقول:

- الموضوع بدأ عندما كنت مع صديق لى طلب منى أن أذهب معه لتصليح شيء ما فى سيارته..

كنت وقتها وحيدًا؛ لأن زوجتى والأولاد كانوا فى الريف يزورون أقاربها.. المهم، كان هذا الميكانيكى فى منطقة المنيل..

أوقف صديقى السيارة فى مكان مظلم نوعًا ما بجوار منزل قديم نصف متهدم، وطلب منى الانتظار برهة فى السيارة ريثما يسأل عن شيء ما فى محل على الجهة المقابلة من الشارع..

بعد نزوله بثوان أحسست وكأن الجو من حولى يزداد قتامة.. والجو نفسه يزداد برودة.. ثم سمعت بجوارى مواء قط..

مواء بشع كأبشع ما يكون المواء..

نظرت من نافذة السيارة فإذا بقط أسود كبير، ذى عينين صفراوين كبيرتين جالس على الأسفلت، وينظر إلىَّ مباشرة..

نظرة عميقة صاحبها مواء طويل.. نظرة قبيحة مخيفة اخترقت عقلى مباشرة.. نظرة جعلت أحشائى تتقلص رعبًا..

ولا أدرى لماذا ظننت أنه ملك الموت.. وأنى سأموت الآن..

أصابنى خوف هائل.. تجمدت فى مكانى للحظات، وصوت المواء يتعالى فى أذنى..

ويتعالى..

ويتعالى..



وأنا أسير لهاتين العينين المخيفتين.. ثم اختفى بغتة..

ملك الموت..

سأموت..

هبطت من سيارة صديقى، ولم أنتظر عودته.. لم أكن فى وعيى..

تركت سيارته كما هى مفتوحة، ومضيت مسرعًا فى طريقى..

مشاعر غريبة تجتاحنى..

حزن..

ألم..

خوف وفزع شديدان..

سأموت الآن..

سأموت الآن..

إلى أين أذهب؟..

بيت أمى..

أموت جوار أمى وأبى..

أوقفت سيارة أجرة، وأعطيت الرجل العنوان بالتفصيل، حتى رقم الشقة..
كان الرجل متعجبًا من ذلك.. فهل سيوصلنى إلى باب الشقة؟

لاحظت تعجبه، فأخبرته أنى مريض بالسكر، وربما فاجأتنى الغيبوبة.. ثم أعطيته خمسين جنيهًا.. لا بأس من التبذير قليلًا.. فأنا سأموت الآن على كل حال..

نظرت من باب السيارة ونحن سائران فى قلب الليل.. الشوارع مظلمة، وقليل من الناس يسيرون فى هذه المنطقة تحديدًا..



فإذا مفاجأة مفزعة أخرى بانتظارى..

كل الناس الذين يسيرون فى الشارع يحملون وجوه موتى..

عمى..

خالى..

حماى..

صديقى..

كل الموتى الذين عرفتهم فى حياتى يحدقون نحوى بوجوه ميتة متسعة العينين..

خلف نافذة السيارة.. كل المارة فى الشارع موتى..

أطلقت صيحة ذعر، وأغمضت عينى ودفنت رأسى فى يدى، ثم نظرت نحو السائق لأرجوه أن يسرع..

فوجدت شخصًا ميتًا بجوارى يقود السيارة.. وجه أبيض شاحب كئيب يراقب الطريق خلف المقود.. وجه ميت..

وتجمدت أنا من الخوف..

ضربات قلبى أسمعها فى أذنى..

ولحسن حظى كنا قد وصلنا..

توقفت السيارة أمام منزلى، فهبطت منها وأنا أرتجف.. لست أذكر كيف صعدت إلى منزلى، ولا كيف دخلت إلى شقة أبى وأمى..؟!

أذكر فقط المشهد التالى:

أمى التى تصنع طعامًا ما أمامى تعده لغداء الغد، وأنا أمامها أنظر إليها أملأ عينى منها قبل أن أموت..



أموت؟

ليس مناسبًا أن أموت أمام أمى..

نهضت، ودخلت حجرتى لأموت هناك وحيدًا..

بالطبع لم أمت..

كل ما حدث أننى عافيت الطعام تمامًا..

أعنى تمامًا تمامًا..

ولمدة ثلاثة أسابيع كاملة..

لا يقبل جسدى إلا الماء فقط.. وبكميات قليلة جدًّا، أما الطعام فلا يتجاوز فمى قط.. وكأن حلقى مسدود بالأسمنت..

وكشف علىَّ فى المنزل عدة أطباء، كما ذهبت إلى ثلاثة مستشفيات..

ولكن.. لا شىء..

لا يوجد سبب واحد لما أمر به من ترك للطعام..

الأطباء قالوا لى إنه مرض نفسى بالتأكيد..

وظللت هكذا.. لا آكل.. كل يوم أنتظر الموت.. كل ساعة فى اليوم، وكل دقيقة فى الساعة.. ثلاثة أسابيع..

ثم كان أبى يومًا يصلى العصر فى المسجد، وبعد الصلاة وجد نفسه يبكى.. لم يعد يتحمل ما يحدث لى فبكى..

جاءه إمام المسجد، وكان يعرفه، وأخذ يهدئه، ويسأله عما هناك..

لم يعتد رواد المسجد منه هذه الضعف..

أخبره أبى بكل شىء، وإمام المسجد ينصت تمامًا له..



وعندما انتهى أبي من الحكى، طلب منه الإمام أن يرانى..

تردد أبي قليلًا ثم وافق.. لن يخسر شيئًا على كل حال..

وفعلًا جاء مع أبي ليرانى..

وما إن رأيته، حتى وجدت نفسى أصرخ، وأنقض عليه وأصيح:

- ماذا تريد منى؟ ماذا تريد؟

ثم أهدأ، ولا أجد تفسيرًا لتصرفى الغريب، خاصة وأنى لا أعرف هذا الرجل من قبل.. ثم أجد نفسى أمسك بتلابيبه مرة أخرى وأصرخ فى وجهه مرة أخرى، ثم أتركه مذهولًا..

طلب الإمام من أبي ترك الحجرة والخروج، وتركنا بمفردنا..

أمسك يدى اليمنى بيسراه، ووضع يده اليمنى على جبينى، وأخذ يتلو آيات من القرآن الكريم، ويرتعد..

ثم بكى..

بكى بكاء لم أر مثله من قبل، حتى أنى لم أعد أميز من تلاوته شيئًا.. أحسست أن دقائق معدودة مرت علىَّ فى هذا الحال، بينما أخبرنى والدى فيما بعد أننا أمضينا أكثر من ساعة معًا..

عندما خرجنا بعد هذه الجلسة كانت وجوه الموجودين غريبة.. صفراء ممتقعة.. يبدو على وجوههم الخوف..

وفيما بعد حكى لى أخى - وكان حاضرًا بالصدفة - بعض الأشياء.. مثل أنهم رأوا وهج نيران يندلع من تحت باب الحجرة..

ومثل صراخ النساء العالى الذى صدر من قلب الغرفة..



ومثل ذلك الزئير الذى لم ينقطع لحظة..

ومثل ذلك النباح الذى استمر من أول الجلسة إلى نهايتها.. وكل حين يشتد ويزيد ويكثر.. الغريب أنه صادر من (المنور) المظلم الخالى..

بعدما انتهى الشيخ من تلاوته، طلب منى الاغتسال، وعدم ترك الصلاة، أو التهاون بها أبدًا بعد ذلك..

ولما سألته تفسيرًا ابتسم، وقال:

- ببساطة أنت كنت بعيدًا عن ربنا.. اقترب منه أكثر، ولن يصيبك مكروه بعد ذلك أبدًا..

أول ما قلته بعد خروجى من الحجرة: أنا جائع.. ألا يوجد طعام فى هذا البيت؟

أرأيت يا صديقى ما حدث لى؟

■ ■ ■

هنا أغلقت التسجيل الصوتى، ونظرت للطبيب قائلًا:

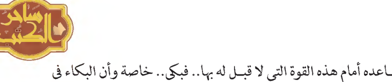
والآن، ما رأى العلم النفسى فيما حدث لصديقى هذا؟

ابتسم الطبيب، وتراجع كعادته فى مقعده، وشبك أصابعه، ثم قال:

- هذه لعبة إيحاءات نفسية.. ترسبات من الحكايات الخرافية، أدت إلى كل ما حدث له..

فى الموروثات الثقافية القط الأسود ليس إلا شيطانًا، أى أن يعتقد أنه حتمًا تعرض لمس شيطانى.. وهو فى قرارة عقله يعلم أنه لا شفاء من هذا المس إلا عن طريق الشيخ فقط..

أما بكاء الشيخ، فيعود لشدة إيمانه بما يفعله، وشدة رغبته فى مساعدة قوة



عليا تساعده أمام هذه القوة التى لا قبل له بها.. فبكى.. خاصة وأن البكاء فى معتقده الدينى دليل قوة وليس دليل ضعف، كما أنه وسيلة ممتازة لإخراج توتره وخوفه مما سيلاقيه..

ببساطة الموضوع كله لعبة نفسية معقدة، يستطيع علاجها أى طبيب نفسى مبتدئ..

نظرت نظرة متفحصة إلى الطبيب، وابتسمت ابتسامة الصبر على الطفل الصغير.. لم يعط تفسيرًا للنيران والصراخ والنباح.. تجاهل الحديث فيها عن عمد.. ولو سألته عنها لقال إنها أوهام..

وكان هو الآخر ينظر إلىَّ نظرة لم أدر معناها بالضبط..

نظرة قلقة مضطربة، يحاول صاحبها أن يبدو واثقًا من نفسه..

لم أتكلم أكثر، فقط نهضت من مقعدى، وتركت الغرفة فى هدوء معلنًا إنهاء جلستنا هذه المرة.. وقبل أن أخرج سألته:

- بالمناسبة يا دكتور.. لقد سقط منى خاتم هنا فى المرة السابقة..

نظر نحوى لثوان، ثم قال:

- ذلك الخاتم؟ نعم..إنه معى.. لم ندر من صاحبه فاحتفظت به.. سأحضره لك المرة القادمة..

أومأت برأسى فى تحية مقتضبة، ثم أغلقت الباب ورائى فى هدوء .

■ ■ ■

لاحقًا فى تلك الليلة:

فى منزل الطبيب:

بعد منتصف الليل بقليل، جلس الطبيب فى شرفة منزله الواسعة، متأملًا ذلك الخاتم العجيب الذى نسيه مريضه فى العيادة..



لم يكن يدرى سر غرابته، لكنه كان ذا ثقل معنوى لا شك فيه..

يشعر نحوه برهبة، أو نفور.. لا يدرى بالضبط..

كان عليه نقش غريب جدًا لم يستطع تمييزه، وإن كان يبدو كحرف هيروغليفى أو يونانى، ومن زاوية أخرى يبدو كعين القط أو الأسد.. كان نقشًا أسود غائرًا فى قلب المعدن، كأنه محروق داخل الخاتم..

خطر له أن يبعث بصورته إلى أحد أصدقائه بالخارج من المهتمين بهذه الترهات، ربما عرف عنه شيئًا..

قام بتصوير الخاتم، وأرسل لصديقه استفسارًا حوله، ثم قام ليعد لنفسه كوبًا من القهوة..

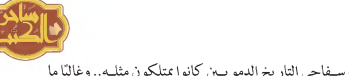
كانت زوجته عند والدتها هذه الليلة.. لم يذهب معها متحججًا بعمله..

كان بحاجة ماسة إلى الانفراد بنفسه، وكانت هذه فرصة مواتية لا تتكرر كثيرًا..

عاد بقهوته إلى الشرفة، وأمسك هاتفه وبدأ يطالع رد صديقه:

مرحبًا.. لم أعهد بك تصدق مثل هذه الأشياء.. على كل، هذه صورة خاتم (راؤول)، وهو خاتم من المفترض أن له قوة سحرية ما.. ليس سحرًا بالمعنى المفهوم، ولكنه نوع من القوى الغريبة لصاحبه تمكنه من فعل كل ما يريده وقتما شاء.. عن طريق تسخير الشياطين طبعًا، ولكن مقابل ثمن فادح من قرابين بشرية وكثير من الدماء..

وحسب الأسطورة، فهذا الخاتم لا يصنعه بشر، بل يتم إهداؤه من أحد كبار الشياطين للبشرى المنشود، وهى هدية لا يمكن رفضها، فبمجرد حصول البشرى عليه يصبح مزيجًا من خادم مطيع وسيد قوى لا يرفض له طلب..



المثير أن غالبية سفاحى التاريخ الدمويين كانوا يمتلكون مثله.. وغالبًا ما يضيع ويختفى تمامًا بعدما يموت صاحب الخاتم..

أما (راؤول) هذا، فهو أول شخص امتلك هذا الخاتم حسب الأساطير.. وقد صنعه له إبليس بنفسه.. وقتل هذا الشخص ما يقرب من مائة طفل إرضاء لشياطين الخاتم.. وكان يتجول فى أوروبا بأسرها يبحث عن أى طفل يمكن اختطافه.. طفل مشرد.. طفل يعمل فى حقل.. طفل غفل عنه أبواه، فيخطفه ويقتله ويأكل قلبه..

إلى أن تم الإمساك به متلبسًا بأكل قلب طفل فى أحد الأزقة.. وتم حرقه مباشرة دون محاكمة فى وسط البلدة، ويقال إنه كان يضحك أثناء حرقه، مدعيًا أنه الآن وسط أحبائه..

ومن أشهر السفاحين الذين امتلكوا الخاتم يومًا ما.. السفاح الفرنسى (جيل دى رى).. الذى قتل ما بين ثمانين إلى مائتى طفل..

كان هذا الرجل أحد القادة العسكريين فى جيش (جان دراك) إبان القرن الرابع عشر.. والذى كان يحارب الاحتلال الإنجليزى لبلاده..

كان يلجأ لإغراء الأطفال الفقراء بالملابس الفاخرة، أو الطعام والشراب الشهى.. بل كان يقيم للطفل حفلة لهو ومتعة داخل قلعته.. وبعد أن تغمر الطفل مشاعر النشوة والفرح، كان يأمر خادميه بحمله إلى غرفة معزولة فى أعلى قلعته، حيث يبدأ الهول..

كان «دى رى» يعلق ضحاياه الأطفال فى حبال متدلية من سقف الحجرة.. ثم يبدأ ممارسات جنسية شاذة عليهم..

وعندما يكتفى منه، يقطع قدمى ضحيته بالسكين.. ثم يفك قيوده ليقع على



الأرض منهكًا صارخًا باكيًا منتفضًا من الألم، ليبدأ فى قطع يديه بالسكين.. ثم يجلس فوق بطن الطفل ليتأمل فى وجهه، وهو يتعذب وينزف حتى الموت.. وكان ذلك المشهد يمثل قمة المتعة وذورة اللذة لديه..

الغريب أنه كان لا يكتفى بذلك.. بل ينتظر حتى يتأكد من موت الضحية تمامًا نتيجة النزف، ثم يفتح بطنه بسكينه الأثير ويخرج أحشاءه، ويقطع أعضاءه التناسلية، ليستخدمها فى طقوسه الغامضة التى لم يره أحد قط وهو ينفذها.. وفى النهاية يترك الجثة لمعاونيه ليحرقاها؛ كى يطمسا معالم الجريمة تمامًا..

العجيب أنه فضح أمره بنفسه.. فقد اختلف مع قس الكنيسة فى إحدى الصلوات، عندما قام وسط الصلاة يضحك ويصيح أن كل هذا خطأ وهراء.. وأن الله غير قادر على إيذائه.. وأنه قتل أطفالًا وعذبهم، ولم ينتقم الله منه؛ لأنه فى حماية الشيطان..

كان يتحدى الله فى بيته.. وأمام شعبه..

ثم اعترف بكل ما فعل فى محاكمة كبيرة، وتم إعدامه لاحقًا.. ويذكر أنه كان هادئًا جدًّا، ومتعجلًا لإعدامه.. بل طلب الإعدام حرقًا، ولكن القاضى أبى إلا أن تقطع رأسه بالبلطة، فتقبل ذلك فى نوع من التعالى..

طبعًا أنا لا أصدق فى وجود الخاتم، بل أعتقد أن ذلك كله نوع من الإسقاطات النفسية العنيفة، لما يرهبه الناس من عنف زائد..

على كل، هذا كل ما أعرفه عن هذا الموضوع.. أتمنى أن أكون أفدتك..

■ ■ ■

وضع الطبيب هاتفه جانبًا، وأخذ يفكر فى عمق..

ما دلالة ذلك؟



هل يتحول ذلك المريض تدريجيًّا إلى سفاح متلذذ بالدماء؟

لكن هذه الأمور غير معهودة فى مصر والشرق بصفة عامة.. لكن ربما قرأ أكثر مما ينبغى حول هذه المواضيع، فتأثر عقله الباطن بها، فبدأ يسعى لتحقيقها فى عالم الخيال عبر هذه الأحلام..

ولكن..

قد يتحول خياله إلى واقع فى وقت ما..

ربما بدأ يتجه إلى القتل عن غير وعى..

وربما أصيب بانفصام شخصية يمكنه من فعل ما يشتهيه عقله الباطن، دون حتى أن يدرى شيئًا من ذلك..

وبالطبع فى دولة لم تعهد وجود القتلة المتسلسلين الذين يقتلون بلا هدف.. القتلة هنا لهم أهداف مادية ملموسة.. سرقة.. رد اعتبار.. لكن سيكون من العسير تفسير حوادث القتل غير المبررة..

سيبدو هذا نوعًا من الأفلام الأجنبية عسيرة التصديق بالنسبة لمجتمعنا الشرقى..

المشكلة أنه لا يمكنك إلا الانتظار والاستماع له، محاولًا سبر أغواره أكثر، وامتصاص الطاقة السلبية بداخله، عسى أن يؤدى ذلك إلى علاجه..

تثاءب الطبيب، ونهض لينال قسطًا من النوم..

ألقى بنفسه على الفراش الوثير، وسرعان ما غاب فى نوم عميق..

فجأة وجد نفسه فى أغرب مكان يمكنه أن يتخيله..

اتسعت عيناه فى رعب وذهول..



ثم أخذ يفرك عينيه وهو يحدق فيما أمامه..

ومن أعماقه صدرت صرخة لم تتجاوز شفتيه قط..

■ ■ ■

كان الطبيب يشعر بالذهول.. ومن أعماقه صدر استنكار عنيف لما يراه حوله..

فرك عينيه، ثم رفع عينيه يرمق ما حوله..

كأنه على مشارف مقابر قديمة في بلاد أوروبية..

الجو بارد، والرؤية غير واضحة..

لا وجود للقمر في السماء..

ولا مصابيح تنير الطريق.. الرؤية باهتة جدًّا جدًّا..

ازداد توتر الطبيب مع تكاثف الظلام حوله.. كان يعلم تمامًا أنه يحلم..

ولكن كيف؟

لا يوجد حلم بهذا الوضوح أبدًا.. وأيضًا ما زال يملك القدرة على التفكير والتحليل المنطقي وكأنه مستيقظ تمامًا.. ولكنه كان على فراشه.. ثم انتقل إلى هنا فجأة..

شعر بالدوار..

سار بضع خطوات..

كان يشعر بالحيرة.. انتقل إلى هنا، ولا شيء يحدث..

ماذا يصنع؟

بعد بضع خطوات أخرى سمع أصواتًا من بعيد.. خلف سياج كثيف من الأشجار.

سار بحذر تجاه هذه الأصوات مخترقًا الأشجار..

ولأول مرة فى حياته منذ فترة شعر بالخوف.. لا يعلم ماذا يحدث.. لا يمكن أن يكون هذا حلمًا، ولا يمكن أن يكون هذا حقيقة..

لا يدرى كيف يستيقظ.. ولا يعلم أين يذهب..

حتى خرج من سياج الأشجار هذا.. خرج إلى ساحة دائرية عملاقة وسط الغابة.. واضح أنه تم تشذيبها بعناية من أجل غرض ما.. وكان هناك مجموعة من الناس يرتدون ملابس عصرية، ويجلسون جميعًا حول نار مخيم، وحولهم بعض الخيم القماشية، ويثرثرون فى مودة ومرح ..

ميز من بعيد بعض الكلمات الإنجليزية كما ينطقها البريطانيون..

ببطء وتردد تقدم منهم بخطى حائرة..

ببطء بدأ يدخل دائرة الضوء والدفء.. بمجرد اقترابه نهض أقربهم إليه وصاح فى مرح:

- ها هو قد جاء.. لِمَ تأخرت؟

نهض كل من هو موجود حول النار مرحبًا به فى حرارة، وكأنهم يعرفونه منذ أمد بعيد.. كان حائرًا..

ابتسم ابتسامة خفيفة مصافحًا من حوله فى هدوء متوتر..

- ماذا بك يا بيتر؟

- هل أنت مرهق أم ماذا؟!

- حسنًا.. هلم بنا نبدأ؛ لأن الليل قد انتصف، ولا ينبغى أن نتأخر أكثر من ذلك..

اتجه بعض الموجودين إلى شيء ضخم حوله بعض الأغطية القماشية، تعاون بعضهم فى نزع هذه الأغطية، ثم ساعدوا بعضهم على إقامته واقفًا وسط تهليل الجميع..



أخذ يدقق النظر فيما يراه.. ما هذا بالضبط؟

كان تمثالًا أسود ضخمًا قبيح المنظر، يتجاوز طوله الثلاثة أمتار، يبدو كمزيج من البومة والنمر أو الأسد والصقر.. لا يدرى بالضبط.. لكنه قبيح جدًا.. متقن الصنع جدًا.. مقبض جدًا..

وقف الجميع أمامه يضعون أشياء تحت قدمى.. هذا الصنم.

هنا وجد نفسه مدفوعًا أن يفعل مثلهم.. وبدون إرادة حقيقية وضع نفسه فى جيبه، فوجد لفافة صغيرة غريبة.. تقدم نحو الصنم.. انحنى أمامه ووضعها، ثم عاد صامتًا إلى مكانه صامتًا يراقب ما يحدث حوله..

همس له من يقف جواره..

- مرحى يا بيتر.. لم أتوقع أن تقتنع وتأتى.. من أى جزء حصلت على القربان؟

قربان؟!

قربان لمن بالضبط؟

رفع الطبيب يده اليسرى.. كان إصبعه الصغير مقطوعًا ومربوطًا بشاش أبيض عليه بقعة دم..

قال له جاره ضاحكًا:

- حسنًا فعلت.. لا بد أنك خدرت نفسك قبل قطعه.. أليس كذلك؟ هه؟

أومأ الطبيب برأسه موافقًا فى توتر.. وألم.. الآن فقط يشعر بألم فى موضع إصبعه المبتور..

ومن طرف الدائرة جاء رجل يرتدى عباءة سوداء كبيرة، ومعه رجلان آخران يسيران جواره فى صمت.. بينما تجمع الموجودون فى نصف دائرة أمام الصنم وساد الصمت إلا من طقطقة نار المخيم..



وقـف الرجل أمام الصنم، وخلفه الرجـلان الآخران، وبدأ يعلو صوت الرجل بتراتيل وترانيم غريبة..

رفع الكل يديه ليشبكوها، ونزلوا على الأرض جثيًا فى خشوع وصمت..

واستمرت الترانيم..

ثم نهـض الرجلان، وبهدوء أحضرا فتـاة مراهقة مقيـدة ومكممة من إحدى الخيام.. كانت المسـكينة مذعـورة، وتحاول الصراخ والتلـوى، لكن الرجلين اللذين أحضراها كانا ضخمين وقويين بما يكفى لتضيع كل محاولاتها هباء..

علقا الفتاة من قدميها على عامود خشبى يبدو وكأنه.. صليب مقلوب..

صرخ عقل الطبيب ذاهلًا.. عبدة شيطان..

هؤلاء عبدة شيطان..

وضـع أحد الرجال أسـفل رأسـها دلوًا أسـود كبـيرًا ممتلئًا حتى نصفه بسـائل آخر..

ثم تراجع نحو الكاهن الجاثم أمام الصنم وجثا خلفه..

هنا رفه الكاهن رأسه وهتف صائحًا:

«حبيبى وربى..

ملاكنا وقائدنا ومعلمنا..

مالك روحنا، وصانع بهجتنا..

لك قرباننا، عسى أن ترضى عنا..

ويفرح قلبك بنا..

باسمك نبدأ، وبنورك نعيش، ولك كل ما نفعل..



شرفنا بقدومك..

ونور عيوننا بنورك..»

هنا بدأ شيء غريب يحدث.. فوق الصنم تمامًا، بدأ نور أبيض ساطع يتكون.. وظهر في داخله ما يبدو كرجل جالس على عرش في الهواء واضعًا إحدى قدميه على الأخرى.. ونهض في الهواء هابطًا بهدوء إلى الأرض..

كانت العيون متعلقة به في فرح وخشوع، بينما جحظت عينا الفتاة من الرعب في وضعها المقلوب..

نظر الطبيب إليه مليًا في دهشة وفزع..

إنه الشخص الذى وصفه له مريضه، والذى ظهر له في مرآة الحمام..

إنه ذو السواد..

لامست قدماه الأرض، ودارت عيناه تتفقد كل أتباعه بهدوء.. عيناه السوداوان الكبيرتان تجول بينهم.. ثم توقف نظره عند الطبيب..

شعر كأن قلبه توقف عن الخفقان أمام النظرة المخيفة..

كان نفسه توقف..

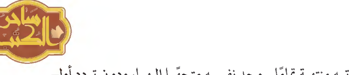
أطال النظر إليه للحظات، ثم أشار إليه بالنهوض..

نهض الطبيب بهدوء ورهبة وسط الأنظار المدهوشة حوله، ثم توجه إلى مرتدى السواد..

لم تكن له إرادة مستقلة.. كان يتحرك وكأنما يشاهد.. وكأن هناك شخصًا آخر يحتل جسده وتركه متفرجًا..

أعطاه سكينًا أسود حاميًا طويلًا.. يبدو هذا السكين مألوفًا بشكل ما..

أشار ذو السواد وهو يبتسم إلى الفتاة..



هنـا كانت إرادتـه منتهية تمامًا.. وجد نفسـه متجهًـا إليهـا، ودون تردد أولج السكين ببطء فى منتصف عنقها، ثم قطع عنقها تجاه الخارج..

كان السـكين سلسًا للغاية، أما الفتاة المسكينة، فدارت عيناها من الألم، وعاد ما تبقى من عنقها للوراء، بينما تدفق دمها على وجهها غزيرًا إلى الدلو..

أخذ أحد التابعين يقلب الدماء بما يحويه الدلو من سائل يبدو أنه خمر..

حتى توقف انهمار الدماء تمامًا.. وشردت عينا الفتاة فى نظرة أخيرة..

اصطـف الموجودون وراء بعضهم متوجهـين نحو الدلو، حيث كان معبودهم هذا يقف..

أخذ بيده بعضًا من الدماء، وسـقاها للأول، ثم سقى الثانى بيده، وهكذا إلى أن شربوا جميعًا..

كان الطبيب يراقب كل هذا، وهو غير قادر على النطق..

وقف متجمدًا بجوار الفتاة المصلوبة.. غير قادر على الحركة..

غير قادر على التحدث..

غير قادر على الإشاحة بنظره بعيدًا..

تذكـر كلام مريضـه حينما قـال له: لى جسـدان.. أحدهما يتـصرف بإرادته الخاصة، بيما أنا لا أستطيع التصرف..

لم يشرب معهم.. كان جسده يرتجف..

لا يريد أن يشرب..

لا يريد..

لا يريد..

لكن جسده كان يتصرف وحده..

تقدم من ذى السواد، وانحنى مقبلًا يده..ثم شرب من يديه..

أحس بطعم الدماء الصدئ ممزوجًا بالخمر يملأ فمه..

لم يستطع البلع..

أخذ يقاوم البلع ويحاول بصقه..

ويقاوم..

ويقاوم..

وفجأة اختفى كل شيء من حوله، واعتدل على فراشه صارخًا، ليفرغ كل هذه الدماء على ملاءته..

فى عالم الواقع..

□□□





الجلسة الرابعة

جلس الطبيب مرهقًا خلف مكتبه..

كان يبدو فى أسوأ حال ممكنة..

كان شاردًا يتأمل ذلك الخاتم الغريب..

وكان يحمل داخله صراعًا نفسيًّا هائلًا..

لم يعتقد قط وجود أى ظواهر غريبة فى حياته..

كل شيء يخضع لسلطان العلم.. ولا شيء بلا تفسير..

وتفسيره لما يمر به هو الجنون..

كان يخشى ذلك بشدة..

الجنون شيء مادى ملموس محسوس يقابله كل يوم، ويمكن أن يصاب به أى شخص بسهولة..

والدماء على فراشه؟

هناك حالات مسجلة كثيرة عن مرضى نفسيين خرج منهم دماء كثيرة من أعينهم وأنوفهم وآذانهم.. وقىء الدماء ليس ببعيد من ذلك..



الجسـد البـشرى يصدق ما يقدمه له عقله الباطن فقط، ثـم ينفذ عقله الواعى الأوامر باحترافية و إتقان..

لذلـك تنجح محاولات التنويم المغاطيـسى فى زرع الأوامر بصورة مبهرة؛ لأنها تزرع الأوامر فى العقل الباطن مباشرة..

وهذه هى المشكلة بالضبط..

لماذا اقتنع عقله بكل هذه السـخافات عن الشياطين، وما يحكيه ذلك المريض الغريب؟

لماذا تأثر به؟ لماذا؟

هل أصابه الجنون؟

كان يعلم أن من أصيب فى عقله، لن يشفى منه بصورة مطلقة قط..

فهل هذه هى النهاية؟

كاد عقله ينفجر من شدة التفكير، فطلب من سكرتيرته إعداد مشروب دافئ له..

فى هذا الحين كنت أنا جالسًا بانتظار دورى فى ردهة العيادة.. وعندما سمعت صوته يطلب من ممرضته المشروب، نهضت من مكانى وذهبت نحو مكتبه..

طرقت الباب ودخلت إليه مبتسمًا، ثم ألقيت عليه التحية:

- مساء الخير يا دكتور..

لم يرد على تحيتى فورًا.. كانت نظراته عدائية متجهمة..

لقد رأيت هذه النظرات من قبل.. عدة مرات..

والحقيقة أن الطبيب أصبح يكرهنى بشدة..

كان يتمنى عدم رؤيتى مرة أخرى..



كان يكرهني ولا يعرف السبب، والآن أسبب له قلقًا وألمًا نفسيًّا لا شك فيه..

جلســت أمامه بهدوء.. نظراته لم تتغير.. قررت أن أغير مكاني، فنهضت، ثم تمددت على السرير الوثير الموضوع هناك..

لم يتحرك الطبيب من جلسته..ظل ينظر نحوي، وهو على مكتبه للحظات..

بعد هنيهة سألني:

- ماذا ستحكي لي اليوم؟

قلت له:

- عندي الكثير والكثير.. أتريد سـماع حلم، أم مشكلة لأحد أصدقائي الذين تضرروا بسبب قربي منهم؟

قلت المقطع الأخير ببطء مقصود..

رد عليَّ بنبرة هادئة، لا تخلو من العصبية:

- احك ما شئت.. أنت هنا لتحكي، وأنا هنا لأسمع..

قلت له:

- هل أنت على ما يرام؟ من جديد أرجو ألا تخفي عني شيئًا.. لو حدث لك شيء غريب فأرجو أن تصارحني به..

قال الطبيب بهدوء.. بذل جهدًا حقيقيًّا ليخرج نبراته متزنة:

- كل شيء على ما يرام.. لا تقلق..

يمكنك أن تحكي حلمًا من أحلامك، ثم تتكلم عن أصدقائك لو شئت..

قلت له:

- حسنًا.. كما تحب..

هذه المرة كنت فى غابة سوداء.. أسير فيها على غير هدى، وفجأة سمعت صوتًا لأنـاس حول مخيم، فقررت التوجه إليهم، فإذا بهم يجلسـون حول نار المخيم، ورحبوا بي بحفاوة، ودعاني أحدهم قائلًا: أخيرًا جئت يا بيتر.. وجلست معهم حول النار، ثم حدث شيء غريـب..

توقفت عن الحكى ونظرت للطبيب.. كانت عيناه متسعتين على آخرهما، وشفته السفلى ترتجف قليلًا..

وبصوت مبحوح مرتعش سألني بنبرة كالبكاء:

- هل كان هناك قربان بشرى فى حلمك هذا؟

ابتسمت واعتدلت فى جلستى قائلًا:

- نعم.. كما رأيته أنت فى حلمك بالضبط..

■ ■ ■

حدق الطبيب فى وجهى دون أن ينبس ببنت شفة..

ملامح وجهه تنبئ عن ارتياع وفزع..

كان عقله مشتتًا بشدة..

كل ما يحدث الآن يتنافى تمامًا مع كل ما يصدقه..

كل ما رفضه خلال حياته يتجسد الآن أمام عينيه..

ظللـت أنظر إليه ريثما يهـدأ انفعاله قليـلًا، وأخذت أتأمل وجهه الشـاحب المرتجف..

قطرات العرق تتجمع وتلمع فوق جبهته رويدًا رويدًا..

الآن هو يشك.. بعد قليل سيصدق..



قال الطبيب فى بطء:

- حسنًا.. ما هذا بالضبط ؟

كيف تفعل ذلك؟

كيف تعرف حلمى؟

أهذا نوع من توارد الخواطر مثلًا؟

ابتسمت وقلت:

- أما زلت لا تصدق؟

ألا تعرف الشيطان؟

ألا تعرفه؟

إنه يعرفك.. ويريدك..

- حسنًا.. تمهل قليلًا..

هذا تخريف بين..

لا يوجد شيء اسمه الشيطان..

تنهدت تنهيدة عميقة، ثم نظرت إليه نظرة طويلة.. ونهضت من مكانى وسرت إليه، ثم مددت يدى والتقطت خاتمى من على سطح مكتبه، ونظرت إليه طويلًا، ثم قلت له:

- أنت لا تريد أن تصدق.. لذلك..

فجأة قمت وأمسكت يده بشدة، ونظرت فى عينيه مباشرة، وفتحت فمى على اتساعه وصحت بأعلى صوتى..

فى الخارج سمعت الممرضة الصرخة العالية، وسقط قلبها بين قدميها،



فنهضت مسرعة لترى ماذا حدث.. ودون استئذان فتحت الباب هاتفة باسم الطبيب..

لكنها لم تجد الطبيب.. ولا المريض..

كانت الحجرة خالية تمامًا..

وكأنما لم يدخلها أحد اليوم..

قط..

■ ■ ■

لاحقًا فى منزل زوجة الطبيب..

كانت الزوجة تشعر بانقباض غريب..

هناك شيء يحدث مع زوجها.. لا تدرى ما هو بالضبط.. لكنه شيء مقبض..

مخيف..

وشرير..

منذ تلك الليلة عندما فقد وعيه أمام الحمام..

بمجرد أن أفاق كان شخصًا آخر تمامًا..

لم يعد يأكل أو يشرب أو يضحك..

كان يتظاهر بذلك كله.. فقط يتظاهر..

كانت تفكر فى ذلك، وهى ممددة على السرير قبيل نومها.. ثم شعرت بالفراش يغوص بها رويدًا رويدًا لتذهب فى نوم عميق..

هلاوس ما قبل النوم، وتلك الخيالات التى تنتاب المقبل على النوم ..

ثم لم تعد فى حجرتها..



كانت تحلم حلمًا غريبًا جدًّا..

أغرب ما فيه أنها كانت تعلم يقينًا أنها تحلم..

رأت نفسها تسير فى طريق طويل خالٍ من المارة، وقد اصطفت أعمدة الإنارة على الجانبين.. كان كل شيء واضحًا، وكأنما ليست فى حلم..

نظرت إلى ساعة يدها.. تجاوزت الواحدة صباحًا بقليل..

هى لا تدرى أين هى؟.. ولكن المنظر العام يوحى بأنها وسط المقابر..

تلك المبانى القصيرة ذات الطابق الواحد تصطف وسط الظلام على الجانبين..

ماذا جاء بها إلى هذا المكان؟

يسيطر عليها شعور طاغٍ بالخوف، وينتابها شعور قوى أن تحاول الخروج من هذا المكان سريعًا..

هبت نسمة هواء شديدة البرودة على وجهها.. يبدو أنها فى شهر ديسمبر.. كيف ذلك؟ لقد نامت فى الصيف..

أحست بلسعة الهواء على وجهها وأطرافها، حتى إنها اضطرت إلى إحكام ردائها حول جسدها المرتجف، عسى أن تتقى بعضًا من هذا البرد الشديد..

قررت أن تجد فى سيرها عسى أن تصل لمنزلها سريعًا.. كان الطريق فارغًا تمامًا، ولا أثر لأى نوع من أنواع المواصلات القريبة، ولا حتى صوت سيارة تمر من بعيد..

أسرعت فى مشيها.. لم تكن تسمع سوى وقع أقدامها هى.. وحيدة..

انتبهت إلى أن الضباب يزداد كثافة من حولها.. ومع ازدياده بدأ تأثير مصابيح الطريق فى الخفوت..



تزايد إحساسها بالوحشة..

والخوف..

والوحدة..

حاولت أن تزيد من سرعتها جاهدة، لتهرب من الظلام الذى بدأ يطبق عليها..

وهنا..

تناهى إلى أذنيها وقع أقدام يأتى من ورائها..

وقع أقدام رجولية ثقيلة حازمة..

وكأنه ضابط يسير فى حزم..

أجفلت عندما سمعت صوت الأقدام، لكنها التفتت وراءها تبحث عن السائر.. ربما كان القادم يستطيع مساعدتها بشكل ما.. لكنها لم تر أحدًا.. لعل الضباب الكثيف يحجب عنها الرؤية..

أطرقت السمع.. وقع الخطوات قريب.. لكن الطريق خالٍ.. بدأ الخوف يضرب قلبها بعنف.. أصابها الهلع، ولم تعد تدرى ماذا تفعل..

أخذت تفكر.. هل تتمهل لتطلب منه المساعدة، أم تسرع لتهرب من هذا القادم الذى يسير وحده ليلًا..

قررت أن تتمهل.. اقترب وقع الأقدام أكثر حتى كأنه وراءها تمامًا..

حانت منها التفاتة للخلف فلم تجد أحدًا.. ما هذا؟

إن وقع الأقدام خلفها مباشرة لا يزيد بأى حال من الأحوال عن مترين..

توقفت عن السير، وتوقف وقع الأقدام..



نبـض قلبهـا بالخوف مرة أخرى.. حتـى رأت الضباب من حولهـا وكأنه يتخذ أشكالًا مخيفة، وخيالات مرعبة..

حاولـت أن تجمـع شـتات أعصابهـا، وأن تنفض هـذا الخوف عنهـا.. وبدأت تستأنف سيرها..

فجأة جاء وقع الأقدام من جديد.. من أمامها هذه المرة..

تبلدت أفكارها..

كيف انتقلت الخطوات إلى الأمام؟

كيف تجاوزها دون أن تراه أو تسمعه؟ ما هذا؟

أخذت تبحث عن تفسير منطقى، وجسدها يرتجف من وطأة البرد..

ربما مر العابر من بعيد..

الطريق واسـع على كل حال.. وربما صادف جـزءًا غير ممهد اختفى فيه وقع أقدامه.. نعم.. لا بد أن هذا هو ما حدث..

حسـنًا.. ربما لـو أسرعت قليـلًا للحقت بـه، وعندئـذٍ تقرر هـل تطلب منه المساعدة أم لا؟..

أسرعـت فى مشـيتها تتابع وقع الأقـدام الذى لم ينقطع.. خيـل إليها أنها ترى صاحـب وقع الأقدام أمامها فى قلب الضبـاب.. خيل إليها أنه طويل أكثر مما ينبغى، ويسـير بطريقة عجيبة.. لكنها عزت ذلك إلى الضباب.. لا بد أن ذلك من تأثير الضباب..

حاولت زيادة سرعتها، لكنها لم تلحق قط بصاحب وقع الأقدام..

بدأ الخوف ينهش قلبها من جديد.. أخذت تلهث من المجهود المبذول.. شعرت



بحبات العرق الباردة على جبينها على الرغم من برودة الجو.. تشعر بصدرها يؤلمها من فرط المجهود والتوتر..

لم تستطع مواصل الهرولة هكذا.. بدأت تتمهل، وتناهى إلى مسامعها صوت الخطوات الثقيلة وهى تتلاشى بعيدًا..

وقفت قليلًا تسترد أنفاسها المتقطعة، وتهدئ قليلًا من روعها..

فجأة سمعت صوت طفل يستنجد و يصرخ..

صوت ضعيف بعيد..

أرهفت السمع.. هل تتخيل؟

جاء الصوت مرة أخرى.. مكتومًا هذه المرة، وكأن هناك من يضع يده على فم طفل يستغيث..

كان عسير عليها معرفة مصدر الصوت فى هذا الضباب.. وكأن حاسة السمع أصابها عطب ما مع ضعف الرؤية..

كان الصوت المكتوم يأتى من كل مكان حولها..

أخذت تركز قليلًا..

يبدو أنه يأتى من هذا الطريق الجانبى..

مشت بخطوات مترددة، وعلى الرغم من خوفها دلفت إلى بداية الشارع الجانبى ووقفت بعد عدة خطوات..

لثوانٍ ساد صمت مطبق..

لم تكن تدرى هل أخطأت السمع..

بينما هى تفكر فى ذلك أتاها صوت شخصين يتعاركان.. ثم رأت ظل رجل يعدو مبتعدًا، ووراءه ظل قصير يعدو خلفه..



صاحت بهما أن أن ينتظراها، وانطلقت تعدو وراءهما..

وجود الطفل طمأنها إلى حد ما.. لكن الشبحين اختفيا فى الضباب..

وقفت للحظات تلهث..

لا صوت..

لا شيء..

حسنًا.. لا مفر..

قررت أن تعود أدراجها لتسير فى الطريق الرئيسى كما كانت..

عادت أدراجها، وبعد بضع خطوات وجدت جدارًا يسد الطريق الذى جاءت منه.. وقفت تنظر له بدهشة..

لا بد أنها أخطأت طريقها فى الضباب..

مع أن الطريق كان مستقيمًا دون تعريجة واحدة.. لكن لا تفسير آخر..

من أين أتى الجدار لو لم تكن قد ضلت طريقها إذًا؟

أكيد أنها لم تنتبه، وحادت عن الطريق يمينًا أو يسارًا..

هذا هو التفسير المنطقى المقبول.. والوحيد..

عادت مرة أخرى فى نفس الطريق متمهلة..

كانت خطواتها غير ثابتة..

قدمها تؤلمها من المشى ومن البرد..

الحيرة تعصف بها..

أين هى؟

وما الاتجاه الصحيح للخروج؟



لم تعد واثقة كيف يجب عليها أن تسير..

لاحظت أن الطريق بدأ يضيق رويدًا رويدًا..

ولم تعد أعمدة الإضاءة تعمل بكفاءة..

كما كان بعضها مطفأ..

بقع سوداء من الظلام فى قلب الضباب المعتم..

ولا صوت إلا وقع قدميها..

الغريب والمرعب أن المنازل كلها مظلمة..

لا ضوء من أى نوع فى أى منزل..

فجـأة جاء مواء قطة من جوارها.. انتفضت وانقبض قلبها أكثر.. وزاد فزعها مما حولها..

وجدت طريقًا جانبيًّا خيل إليها أنه يؤدى للطريق الرئيسى..

ليس لديها ما تخسره، فدلفت إليه..

شعرت أن المكان ما زال يضيق تدريجيًّا كلما تقدمت..

أحست باختناق.. البيوت تقترب من بعضها، ولو استمر الطريق على ذلك فلن يكون هناك مكان للعبور..

قررت العودة والبحث عن طريق آخر..

استدارت للعودة، وبعد بضع خطوات وجدت أمامها فى قلب الضباب جدارًا حجريًّا يسد الطريق !!

نفس الجدار الكئيب..

وقفت مذهولة..



لا مجال للشك هذه المرة..

أحست بقبضة الرعب القاسية تعتصر قلبها..

لم تستطع حتى أن تلمسه للتأكد من وجوده..

لقد مرت من هذا الطريق منذ دقيقة واحدة، وكان الطريق خاليًا..

أى عبث شيطانى هذا؟

أخذت تتمتم بآيات قرآنية، وأخذ قلبها ينبض بعنف، وكأنما يريد الخروج من صدرها..

استدارت وعادت أدراجها لتكمل الطريق إلى نهايته..

خطر على بالها أن تطرق أحد المنازل تطلب المساعدة..

لكن الساعة تجاوزت الثانية صباحًا..

من سيفتح الباب فى هذا الوقت والجو لشخص غريب؟

استمرت فى مشيها، ولم يبدُ لهذا الطريق نهاية..

ظلت تسير محتضنة نفسها لتقى نفسها من البرد العنيف..

فكرت للحظات أن تعود بحثًا عن طريق، لكنها خافت أن تنظر وراءها لتجد ذلك الجدار الشيطانى بانتظارها..

كان لديها شعور قوى أن هناك شخصًا ما يتبعها..

بل هى روح شيطانية..

وتريد بها شرًا..

أخذت تتمتم من جديد بما تحفظ من آيات قرآنية، وأسرعت دون قصد فى مشيتها..



فجأة اخترق مسامعها صوت ضحكة نسائية خافتة..

صرخت المرأة من الذعر..

وقفت تلهث وتلملم شتات نفسها وتهدئ أعصابها الملتهبة.. وتعيد السمع..

لا شيء..

لا صوت..

صمت مطبق..

هل سمعت الضحكة أم أنه خيالها العليل؟

ثم جاءها صوت الضحكة الماجنة بجوارها تمامًا..

تكاد تشعر بلفح أنفاس صاحبتها..

انطلقت تعدو هربًا وذعرًا..

يجب الهروب من صاحبة هذه الضحكة بأي ثمن..

سمعت صوت خطوات تعدو وراءها..

زاد رعبها..

زادت سرعتها لأقصى ما تستطيع..

ثم ارتطت بعنف بالجدار الحجرى أمامها !!

وقعت على ظهرها، وشعرت ببرودة الأسفلت من تحتها تخترق عظامها مباشرة..

نهضت ببطء من سقطتها، وشعرت بدوار عنيف يكتنف رأسها، وأذناها تصفران بشدة..

تحسست رأسها..

رأسها مبلل بالدماء..



وتشعر بالماء الدافئ يسيل ببطء على جانب وجهها..

وبينما هى واقفة أمام الجدار سمعت فجأة بجوارها ضحكات ماجنة.. ساخرة.. شيطانية..

جوارها كان يوجد زقاق صغير، فدلفت فيه مباشرة دون تفكير..

كانت تشعر وكأن وعيها يتسرب منها..

بذلت مجهودًا جبارًا لتحافظ على وعيها وأعصابها..

لكنها تشعر بالدوار والحيرة والضياع التام..

لا تدرى كيف تسير ولا إلى أين تذهب؟..

كانت تخشى أن تجد ذلك الجدار مرة أخرى فى أى طريق تسير فيه..

وبينما هى واقفة مكانها هذه المرة تناهى إلى مسامعها خطوات رجل يسير من أمامها..

خطوات تبدو بشرية جدًّا وطبيعية..

دون وعى منها صرخت فيه أن يتوقف كى يساعدها..

لكن صوت أقدام الرجل تحول لعدو سريع..

لعل الرجل أصابه الرعب أيضًا..

طبعًا وسط الظلام والضباب لا يمكن أن تثق فى صوت امرأة تصرخ..

سرعان ما ساد الصمت المطبق مرة أخرى..

لا صوت إلا صوت نهنهة ضعيفة صادرة منها..

ليتها لم تصرخ..

ليتها لم تفزعه..



ليتها سارت وراءه فحسب، وربما خرجت من هذه المتاهة..

انهمرت دموعها غزيرة، وتناوبتها شتى الأحاسيس السلبية من يأس وخيبة أمل ورعب..

وشعور طاغ بالضياع..

ووسط كل ذلك قالت لنفسها ليس هذا حلمًا..

إنه واقع شديد الوضوح والقسوة..

كيف جاءت إلى هنا؟

كانت تشعر أن طاقتها قد نفدت منها، وأنها لن تستطيع المضي أكثر من ذلك..

على الرغم منها أجبرت قدميها على التحرك..

جرت ساقيها جرًّا..

تعثرت عدة مرات، لكنها ما انفكت تسير..

ثم شعرت شعورًا غريبًا..

شعرت أنها خرجت من هذه الأزقة الشيطانية..

كان الضباب كثيفًا، لكن لا شك أنها خرجت..

سرعة الهواء وشدته..

تيارات عنيفة تضرب وجهها ويديها بقسوة باردة..

كان الهواء محملًا برائحة غريبة.. وكأنها رائحة صدأ.. أو حقول..

بدأت تتقدم بخطى مرتجفة، ثم سمعت خطوات مرة أخرى أمامها..

لم تهتم كثيرًا هذه المرة، ولم تكن حتى قادرة على الاهتمام..



بلغ بها الإعياء مبلغًا كبيرًا..

هل هناك من يعبث بها؟ فليفعل ما يريد أن يفعله.. سلطان التعب بسط نفوذه على جسدها.. لم تعد قادرة على شيء..

أخذت الرياح تعوى من حولها، وفجأة لمس شيء ما كتفها.. بقوة..

صرخت وقفزت مبتعدة، ونظرت وراءها.. ما الذى لمسها؟

إنه جذع شجرة يتحرك مع الرياح..

ولتزداد الأمور سوءًا سطع البرق ثم دوى هزيم الرعد..

وبدأ مطر خفيف فى الانهمار ليغسل دموعها عن وجهها..

لم تستطع السير أو الوقوف أكثر من ذلك..

تهالكت جالسة تحت الشجرة حتى تستعيد بعضًا من طاقتها، وعقلها لا ينفك يسألها سؤالًا واحدًا.. ماذا جاء بى إلى هنا؟

تتابع وميض البرق مثيرًا أمامها شتى أنواع الخيالات المفزعة.. وفجأة أدركت أين هى..

هذه شواهد قبور..

جوارها شاهد قبر..

وهى تجلس فوق قبر..

شهقت ونظرت لأعلى تهرب بنظرها عما حولها.. رأت أغصان الشجرة تمتد نحوها، وكأنما هى أصابع طويلة تبغى الإمساك بوجهها..

شعرت بها تلمس وجهها بالفعل..

هنا نهضت لتعدو مبتعدة تحت المطر..



بين القبور..

صوت عواء الرياح..

وميض البرق..

خدش الأشجار لوجهها..

لا ينقصها إلا بعض الموتى وأشباحهم..

ومن يدرى.. ربما كانوا هم من يتسلون بها من البداية..

شعرت بعضلاتها تئن، لكنها لم توقف..

لن تتوقف هنا الآن..

شعرت بشيء يقفز من بين قدميها..

صرخت وأكملت عدوها، ثم سقطت على الأرض..

صدرها يكاد ينفجر من فرط المجهود، والدماء تغرق وجهها و يديها وقدميها..

شعرت بالدنيا تلف بها، ولكنها لم تفقد الوعى..

الغريب أنها لم تفقد الوعى..

أخذت عيناها تدوران فى الظلام.. شاهدت من بعيد نورًا..

نور..

بلا شك نور..

ذهب عنها الروع للحظات وأفسح مكانًا للأمل..

من يوجد فى هذا المكان؟

أكيد هو حارس القبور..

لا بأس..



على الأقل هو مكان له سقف وصحبة بشرية..

أخذت تقـترب منه بما تبقى لها من إرادة.. كان صادرًا من نافذة صغيرة، لذلك المنزل الوحيد بين المقابر..

كانت حجرة صغيرة غير مكتملة البناء..

اقتربت منها رويدًا رويدًا..

الإنهاك يقتلها..

بدأ يظهر لعينيها نار موقدة في مجموعة من الأخشاب..

ويجلس هناك أغرب رجل يمكن أن يجلس في ذلك الوقت..

رجل شديد الأناقة، يرتدي حلة سوداء كاملة..

أسود الشعر..

أسود العينين..

وينظر لها بثبات وهو يبتسم..

أشار لها أن تقدمي..

لم تستطع مقاومة تأثير العينين الغريبتين..

كانتا واسعتين بشكل لافت..

مرعبتان.. لكن جميلتان..

تقدمت بخطى مرتجفة، وجلست جوار النار..

دفء..

يا الله..

ما أجمل الدفء!..



مد يده بكوب أسود فيه سائل دافئ.. ما هو؟

لا تدرى، لكنه دافئ وكفى..

ليكن ما يكون.. ستشربه.. أخذت تشرب بنهم..

طعمه غريب جدًا..

مر وحلو فى نفس الوقت..

لكن مع كل رشفة تشعر بحاجتها للمزيد..

لم تكن نظرت للرجل مليًا منذ دخولها..

رفعت عيناها إليه.. ما هذا؟

الرجل ذو السواد هذا..

إنه يجلس على لا شىء..

على الهواء..

اتسعت عيناها رعبًا..

فتحت فمها لتصرخ، لكنه فى لحظة كان قد وضع يده ذات الأظافر السوداء على فمها، ويحدق بعينين ناريتين إلى عينيها مباشرة..

خيل إليها أنها تحدق إلى جزء من الجحيم..

هل توجد نار سوداء؟

فجأة مد يده داخل فمها.. داخل جوفها مباشرة..

اتسعت عيناها.. ذراعه فى حلقها..

يده داخلها حتى مرفقه..

شعرت بيده تتحسس قلبها فى جشع..



يا للألم..

يجب أن تفقد وعيها..

يجب..

لكنها تشعر بكل شيء..

شعرت بالدماء تخرج من جانب فمها، ويده تخرج بعنف من جوفها، وهو يضحك بصوت عالٍ..

نهضت بذعر, من مكانها في قلب المقابر، لتسقط من على سريرها في حجرة نومها.. مبللة قميص نومها بدمائها.. أخذت تصرخ وتصرخ، ثم أغشى عليها أخيرًا..

بينما شخص ما ينادي عليها من الخارج..

ومع بقايا وعيها المتسرب سمعت صوت أحدهم يكسر باب غرفتها..

ثم غابت عن الدنيا تمامًا..

□□□



تحذير ..

هذه القصص حقيقية..

قصص حقيقية عاشها أصحابها لحظة بلحظة..

قصص حقيقية، قد تحدث لك..

بعضها حدث لى شخصيًا ، وبعضها حدث لأصدقائى..

أقاربى.. أناس تربطهم بى علاقات شخصية جلسوا وحكوا..

لكن.. هل تأمن ألا يحدث هذا لك أنت شخصيًا ؟

هل تستطيع الهرب؟

هل أنت لا تصدق؟

نصيحة منى..

من الأفضل لك ألا تصدق..

ربما تركوك وشأنك فيما بعد..

فكما أخبرتك أنهم يأتون دومًا وراء من يحب مثل هذه الأشياء..





الجلسة الخامسة

أفاق الطبيب من غفوة لم يدر متى نامها..

اعتدل فى مكانه..

كانت تعتريه الدهشة..

ماذا حدث؟

كان جالسًا فى عيادته مع هذا المريض، وفجأة تظلم الدنيا ليفيق ويجد نفسه هنا..

هنا؟

ما هذا المكان؟

أخذ ينظر حوله.. لم يكن يرى شيئًا على الإطلاق خارج دائرة ضوء تحيط به..

كان ممددًا على كرسى يشبه كراسى أطباء الأسنان، وجواره كرسى جلدى، وفوقه مصباح معلق فى الفراغ يضىء بلون أبيض كئيب، وما بعد ذلك هو الظلام..

ظلام مطبق من كل جانب..

حتى كأنه جالس فى فضاء أسود لا نجوم فيه..



وفجأة أتاه صوتى هادئًا:

- مرحبًا بك يا دكتور..

فتح عينيه على اتساعهما وهو يرانى أدخل دائرة الضوء..

حاول أن يقول أى شيء.. لكن الكلمات احتبست فى حلقه..

أكملت حديثى قائلًا:

أعتذر بالطبع على طريقة إحضارى لك هنا.. لكن كان يجب ألا تفكر فى شيء.. من الأفضل أن تكون جاهلًا باللحظة القادمة..

أخذت نفسًا عميقًا، ثم استطردت:

- أحيانًا يكون الجهل خير وسيلة للحماية..

ساد الصمت قليلًا وسط الفراغ.. كان صدى صوتى يرن من بعيد.. ثم قال الطبيب فى توتر متلعثم:

- وأين أنا؟

لماذا أحضرتنى هنا؟

بل كيف فعلت ذلك؟

وماذا تريد بالضبط؟

قلت له فى هدوء جاد:

- اسمعنى جيدًا.. كل شيء ستعرفه فى حينه.. ربما بعدما نتخذ معًا بعض الإجراءات..

- معًا..إجراءات؟

- نعم.. معًا.. نحن فى مكان معزول عن العالم.. ولا يوجد مخلوق يستطيع معرفة ما يدور هنا..



مكان سرى..

خفى..

مكان لا وجود مادى له، ولن تستطيع تصديق وجوده.. الآن على الأقل..

حدق فى وجهى ذاهلًا، ثم تلفت حوله فى بطء.. سألنى فى صوت مرتجف:

- أين أنا؟

تجاهلت سؤاله، وأنا أكمل حديثى فى صرامة:

- سبب وجودنا هنا بسيط جدًّا.. سأحكى لك كل شىء..

سأفسر كل شىء..

لكن.. باستماعك لى تكون قد دخلت طريقًا لا فكاك منه.. ولا عودة منه..

دعنى أخبرك شيئًا.. أنت فى هذا الطريق بالفعل.. اسمك مدون فيه.. الفرق أنك تدخله الآن باختيارك، قبل أن تجد نفسك فيه هائمًا دون أن تستطيع فعل شىء..

ساد الصمت مرة أخرى.. أخذت أنظر إليه، وهو يحدق فى الفراغ من حولنا..

ازدرد لعابه الجاف.. وقال بصوت مبحوح:

- ما هذه الطلاسم.. لا أفهم شيئًا من كلامك..

اقتربت منه أكثر، ثم قلت له ببطء:

- لكى تفهم عليك أن تختار.. إما أن تفهم منى الآن كل شىء، ولن يكون بوسعك الرجوع بعد ذلك..

أو تختار ألا تفهم.. وبعد لحظات ستجد نفسك فى عيادتك كما كنت.. ولن ترانى مرة أخرى..



جلست بجواره على المقعد الجلدى، وأكملت حديثى:

- اسمع.. الأمور تزداد سوءًا.. وأنا فى خطر مخيف، لا أدرى ماذا سأفعل فيه.. وأنت أيضًا فى خطر.. وربما كل من له علاقة بك فى خطر أيضًا..

قال فى خوف متردد:

- تقصد.. زوجتى؟ لا علاقة لى بأحد غيرها فى الدنيا..

- بالطبع هى فى خطر أيضًا..

يبدأ بكابوس..

وينتهى بكابوس..

يبدأ بكابوس فى النوم.. وينتهى بكابوس حقيقى لا فكاك منه..

ملت بجسدى نحوه، ناظرًا فى عينيه مباشرة، وهمست:

- والآن..أرجوك.. ما قرارك؟

كان الطبيب فى حالة غير مسبوقة من الرعب.. يده اليمنى ترتجف، ووجهه شاحب، وعيناه زائغتان.. لم يكن يستوعب ما يحدث بالضبط.. نظر نحوى وسألنى:

- أنت تهددنى؟

قلت فى صبر:

- لا.. لست أهددك.. ولماذا أهددك أصلًا؟

اعتبر حديثى معك مجرد تحذير.. هناك شر محدق بك وبأحبائك وكل من له تعامل معك.. فإما أن تسمعنى وتفهم كل شيء وتكون عونًا لى، وإما أن تنسى الأمر وتعود لعيادتك.. قرارك؟



ظل صامتًا للحظات.. كان رأسه يدور..

هو لا يرغب فى أن يسمع أى شىء.. بل هو زاهد فى ذلك أشد الزهد.. لكن الموضوع أقوى منه..

هو متأكد يقينًا أن هناك شيئًا شريرًا يترصد به، لكنه يرفض ذلك فى الوقت نفسه..

عقله الملحد يرفض فى إصرار، بينما كل شىء يدل على العكس..

نظر إلىَّ فى صمت للحظات.. ثم أومأ برأسه إيجابًا قائلًا:

سأسمع.. ولنترك ما بعد ذلك فى حينه..

ابتسمت وقلت له:

- حسنًا فعلت.. استرخ فى مقعدك، فإن حديثى سيطول..

وبدأت أحكى..

وشرد عقلى فى تلك الأحداث القديمة..

■ ■ ■

سأخبرك ولن تصدق..

لن تصدق حتى تكون أنت نفسك هدفًا لقوى الشر..

وقتها لن تتوقف عند حاجز التصديق فحسب..

ربما انهارت أعصابك..

عندما تدرك أن قوى الشر تستهدفك.. حينما يحيط بك الشيطان من كل جانب.. وقتها فقط تصدق..

حينما ترى الشر مجردًا كما هو..



تراه وتتعامل معه.. ويتعامل معك.. طوال العمر.. وبعد العمر..

حينما تدرك ذلك كله.. من فضلك لا تسألني عن أعصابك..

قديمًا داهمتني الأحلام.. مئات من الأحلام العنيفة.. وكثيرًا ما كنت أستيقظ لأجد تذكارات دموية من أحلامي حولي.. الغريب أني كنت أحلم بحوادث حقيقة.. وبأدق التفاصيل.. وكل أحلامي حول قتلة يتلذذون بتعذيب ضحاياهم..

ثم قتلهم..

منهم من عرفته وقرأت قصته أو سمعت عنه بشكل ما، ومنهم من لم أعرفه قط.. لم أكن أحلم أحلامًا عادية.. بل أحلامًا شديدة النقاء والوضوح..

تجربة كاملة..

وكان هذا هو سري الصغير طوال حياتي..

سر مخفي رغمًا عني..

فكلما حادثت أحدًا أصابه الشيطان بلمسته..

كما قلت لك من قبل..

وانغمست في العمل؛ كي أنسى ما يحدث لي..

تزوجت لفترة قصيرة ثم..

استيقظت من نومي يومًا ما بعد أحد هذه الأحلام، ويداي وفمي مخضبان بالدماء.. كنت أحلم برجل يتلذذ بأكل قلوب ضحاياه بعدما ينتزعها من صدورهم وهي تنبض.. يأكلها أمامهم وهم يفارقون حياتهم..

نهضت من سريري سريعًا لأغسل كل هذه الآثار الدموية عندما دوت صرخة زوجتي.. المسكينة استيقظت لتجد قلبًا بشريًا ينز دمًا بجوارها في الفراش..



هرعـت إليهـا لأطمئن دون حتى أن أغتسـل مما بي.. رأتني المسـكينة فأخذت تصرخ وتصرخ..

احتضنتها وهي تقاوم في عنف.. أخذت تقاوم.. وتقاوم.. حتى حطمت رقبتها في لحظة.. أمسكت رأسها وأدرته في عنف.. وتركتها لتسقط..

لست أدري كيف؟!..

لست أدري لماذا؟!..

فجـأة وجـدت نفسي أرمـق جثة راقـدة عـلى ظهرها، ومـا زال رأسـها ينظر للأعلى..

انهرت جالسًا أرمق الجثة.. زوجتي..

أول جريمة قتل في حياتي..

لا وقت للعواطف.. يجب أن أداري جريمتي..

حملتهـا إلى الحـمام لأبـدأ مهمة شـاقة أمامـي.. تركتها في حوض الاسـتحمام، ودخلت إلى المطبخ لأحضر كل السـكاكين الموجودة، وعدت إلى الحمام، فلم أجدها !!

التفت ورائي لأرتطم بعينيها أمامي مباشرة..

صدرت مني صرخة ذعر وأنا أراها أمامي.. أرى ظهرها، وفوقه رأسها ينظر إليَّ نظرة كلها حقد وشر..

ثم تهاوت على الأرض..

جثة.. وقفت أرمقها وأرتجف.. ما يحدث الآن ليس طبيعيًّا أبدًا..

تقدمت خطوة نحوها ليبدأ الفزع..



تشنج جسدها كله، وأخذ يتلوى على الأرض، وحلقها يصدر حشرجات مخيفة.. وتضحك..

عيناها معلقتان بي.. وتتشنج في وضع مستحيل.. ثم تنهض..

وتبدأ السير نحوى.. تسير بظهرها..

ثم تسقط على الأرض، وتزحف نحوى وهى تتشنج..

تصدر أصواتًا مخيفة..

تتحشرج..

ثم تقف وتسير بظهرها نحوى..

وأنا أرتجف.. حتى دوت منى صرخة عالية، وانهرت فاقدًا للوعى..

استيقظت فى الصباح على فراشي، ونور الشمس الجميل يغرق الحجرة..

يبدو أنه كان كابوسًا مخيفًا.. نظرت جوارى لأجد زوجتى تحدق نحوى بعينين ميتتين..

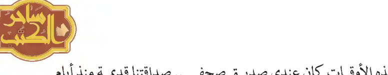
ذهول..

بكاء..

أهلها..

عزاء..

ثم انغمست أكثر فى عملى.. والغريب أنى كنت رجلًا عقلانيًّا تمامًا.. لا أصدق إلا ما أراه فقط.. ما أره هو الحقيقة، وما تصنعه يداى حقيقة، وكل شيء بعد ذلك وهم.. خيال.. أحيانًا كان كل شيء يمتزج فى عقلى.. لا أعرف متى تنتهى الحقائق، ومتى يعلن الوهم عن كامل سطوته ونفوذه..



- فـي هـذه الأوقـات كان عندى صديـق صحفـى.. صداقتنا قديمـة منذ أيام الكلية.. ثم فرقتنا الأيام، و إن كنا على تواصل طفيف..

كان صحفى حوادث.. يجمع الحوادث و يصوغها بشـكل أدبى، ثم ينشرها فى الجريـدة.. بينما يأخذ بعـض القضايا الكبيرة المثيرة لنفسـه، فيصنع منها كتابًا مثيرًا.. بأحداث حقيقة ولمسات أدبية..

كان بطبيعـة عملـه معتـادًا علـى زيارة المحاكـم، وربما الاطـلاع على بعض التحقيقات أيضًا.. ثم يعود لمنزله و يبدأ السحر.. يمزج كل هذا بأسلوب رائع، منتجًـا قصصًا مذهلـة من وجهات نظر غير معقولـة.. حتى إن إحدى قصصه ذات مرة غيرت مسار قضية بعدما تم الحكم فيها بشهور..

ذات مرة قال لى كلامًا غريبًا لا أنساه.. قال لى إننا مختارون.. تم اختيارنا منذ الأزل لنقـوم بأدوارنا بعنايـة.. منذ أن كنا نطفة فى رحـم أمهاتنا.. الشر يأتى ليلقى بنطفته مع نطفة الرجل فى رحم المرأة.. فيولد الإنسان..

وجزء من الإنسـان يحمل صفات شـيطان.. بل يكون ابنًا بارًّا للشـيطان , وله دور فى حياته..

سيأتيه الشيطان حتمًا..

و يطلب منه شيئًا..

شيئًا كبيرًا أو حقيرًا..

وسيفعله..

حتمًا سيفعله..

وصفوة الشياطين يأتى منهم الصفوة..

يأتى شرهم على قدرهم..



أشر البشر على الإطلاق..

منهم السفاحون..

القتلة المتسلسلون..

وكل مرة يبدأ بالأحلام..

ثم تنكشف الحقائق عندما يراد لها أن تنكشف..

لم أناقش صديقى كثيرًا فيما قاله، وإن كنت أشعر بالدهشة..

هل يعلم شيئًا؟ كلامه موحٍ بشدة أنه يعلم، ولكن ربما كان كلام مؤلف يحاول أن يبدو غامضًا..

بعيدًا عن هذه المحادثة الغريبة، كان صديقى هذا يأخذ رأيى أحيانًا فى بعض ما كان يكتبه؛ باعتبارى قارئًا لن يخدعه أو يغشه..

كان يعلم أنى صريح، فلن أصيح انبهارًا أمامه بما يكتبه، ثم أسبه بعدما يرحل.. لذا كان نقدى موضوعيًّا..

إلى أن جاء ذلك اليوم.. وأنا أركن سيارتى بجوار العمل صباحًا لمحته واقفًا قرب المدخل.. كان شيئًا غريبًا، فلو كان يريدنى فلماذا لم يتصل بى؟

الأكيد أن شيئًا جللًا قد حدث.. فلم يكن يستيقظ مبكرًا إلا فى المصائب.. وككل الكتاب يجد متعته فى السهر ليلًا، ثم ينام مع شروق الشمس قليلًا قبل أن يذهب فى الظهيرة ليفعل ما يفعله..

ذهبت إليه، وأنا لا أخفى دهشتى.. ماذا حدث؟

قال لى فى توتر:

- هل يمكنك أن تأتى معى إلى منزلى؟



- الآن؟

- الآن..

تـرددت قليـلًا.. كان شـكله يبدو غريبًا جدًّا.. هالات سـوداء حـول عينيه، وشعر مشعث، وملابسه توحي بأنها لم تبدل منذ فترة..

لم يكن هذا معتادًا منه.. كان دومًا متأنقًا مهتمًّا بنفسـه وشكله؛ باعتباره على قدر من الشهرة..

قلت له.. حسنًا.. لا مشكلة.. هل يمكنك الانتظار لنهاية اليوم فعندى مشاغل كثيـ..

قاطعنى قائلًا فى توتر وهو زائغ العينين..

أرجوك.. هذه أول مرة أطلب منك شيئًا.. من فضلك.. عندى شيء مهم أريدك أن تراه..

تعجبت كثيرًا من لهفته و إصراره..ما الشيء الذى يجب أن أراه صباحًا هكذا؟

الصديـق الـذى يريـدك أن تترك عملـك ليريك شـيئًا غالبًا كـما قلت هو فى مصيبة.. مما يجعلنى مترددًا أكثر..

أخذت نفسًا عميقًا، وقلت له:

- ما هو؟

- لا أستطيع أن أخبرك.. يجب أن تأتى معى لتراه بنفسك..

وعلى قدر ما أحسســت بالضيق من هذا الأسلوب، إلا أن منظره العام وحالته السـيئة جعلانى أقـرر أن أذهب معـه.. وبينما أفكر وجدته يتوسـل بصوت مرتجف قائلًا:

- من فضلك.. أنا أخاف أن أدخل منزلى وحدى..



- حسنًا.. انتظرني دقيقة..

ودخلـت إلى محل عملي، وأخذت إذنًا سريعًا، ثـم خرجت إليه، وتوجهنا إلى منزله.. كان يقود سـيارته أمامي وأنا أتبعه بسـيارتي إلى حيث يعيش في ذلك الحي الراقي الهادئ الذي طالما حسدناه عليه..

ركنا سيارتينا ونزلنا أمام منزله.. ولم يفتني حالة الاضطراب التي كان عليها.. أحسست أنه لولا اضطراره لفر من هنا فورًا..

كان منزلـه هذا عبارة عن فيـلا صغيرة أنيقة مكونة مـن طابقين، وكان يعيش فيها وحده، بعد رحيل والديه عن حياته.. ولا يدخلها سواه إلا البواب الريفي وزوجته لعتنيا بشئون المنزل..

لم يكـن صديقـي هـذا قد تزوج قـط، ولم يكن لـه إخوة.. لكنه لم يشـعر بالوحدة قط.. عمله أبقاه بعيدًا عن الوحدة..

وقفنا أمام باب الفيلا.. كانت يداه ترتجفان بشدة وهو يفتح الباب..

دلفنا إلى المنزل..

أول مـا لاحظته تلك الرائحة.. رائحة عفنة تكتنف المكان، وكأنه مليء ببقايا عضوية متحللة.. شعرت بالتقزز، وهو يقتادني إلى غرفة مكتبه..

كان مكتبـه فوضويًّا للغاية.. مليئًا بكتب متزاحمة لم يقرأ فيها حرفًا.. كانت نوعًـا من الديكور باهظ الثمن فقط.. شيء يكمل صورة الكاتب المرموق في ذهنه.. كانت الأتربة الرقيقة تغطي أغلب مواضع الحجرة إلا موضع جلوسـه وعمله.. لم يكن يسمح للبواب وزوجته بالدخول لهنا على ما يبدو..

التـف صديقي حول المكتب، وأحضر مفكرة صغـيرة، ولوح بها أمام وجهي، وقال في شحوب:



- هل تذكر هذه؟

نظرت إليها مدققًا وهى فى يده.. تبدو مألوفة ولكن..

- هل جئت بى إلى هنا لترينى هذه المفكرة؟ يبدو أن الوحدة أثرت على عقلك يا صديقى..

لم يهتم بسخريتى، و إنما قال لى بصوت مرتجف:

من فضلك أمسك بالمفكرة، وافتحها كيفما اتفق واقرأ ما فيها..

كنت هنا فى منزله على أى حال ولن أخسر شيئًا لو جربت ، فكتمت غيظى من هذا التصرف..

التقطت المفكرة وانتقيت كرسيًا وثيرًا غصت فيه، ثم فتحتها عشوائيًّا وبدأت أقرأ..

كان وصفًا دقيقًا لوجه رجل مذكور أنه قاتل.. نعم نعم تذكرتها فأنا صاحب هذا الوصف.. ولكن هذا الخط ليس خطى.. لا بد أن صديقى نقله مرة أخرى بخطه.. ولكنى ما زلت لا أذكر المفكرة.. لا بد أنه كان يقصد الوصف وليس المفكرة..

يبدأ وصفى بعمر الرجل الذى لا يمكن تحديده على وجه الدقة.. فتجاعيد وجهه توحى بعدة أعمار.. قد يكون فى الثلاثينيات أو الأربعينيات أو الخمسينيات.. ولكن تكوينه الجسدى يوحى بأنه فى أواخر الثلاثينيات..

ثم استطرت فى وصف دقيق لكل شىء فى وجه هذا الرجل.. وعلى الرغم من أنى كاتب هذا الوصف، فإنى لا أذكر كيف كتبت ذلك.. وصف مفصل دقيق..

بداية من وجهه الشاحب النحيف.. فكه الذى يشبه المثلث.. الوجنتان العظميتان البارزتان.. فمه الضيق ذو الشفتين الرفيعتين القاسيتين.. حتى

كأنه بلا شـفتين على الإطلاق.. مجرد شـق فى الوجه.. أنفه الطويل المعقوف كأنه منقار.. حاجباه الرفيعان المقوسـان.. جبهته العريضة الكبيرة.. والشعر الخفيف المتناثر فوق رأسه.. أذناه الصغيرتان.. ثم وصف لتجاعيد جانبى فمه.. وأخيرًا وصف لعينيه الواسـعتين ذواتى النظرة الثاقبة الحادة.. نظرة ميتة تشـبه نظرات الضوارى.. نظرة لها تأثير مغناطيسى لا تستطيع الفكاك منه..

كنـت أتذكر الوجه وأنا أقـرأ هذا الوصف.. ومما لاحظتـه أن كتابة الوصف اسـتغرق صفحة كاملة من أولها لآخرها، دون أى علامات ترقيم بخط صغير منمق..

أنهيت قراءتى لها، وقلت له:

حسـنًا.. فتحت المفكـرة فوجدت وصفًا كنت قد كتبته لـك منذ فترة.. أذكر الوصف وأذكر صاحب الوصف.. والآن ماذا؟

ظهر القلق أكثر على عينيه.. قال لى فى توتر ملهوف:

- ألم تلحظ شيئًا؟

- نعم.. ليس هذا خطى.. يبدو أنك نقلتها..

- ألم تلحظ شيئًا آخر؟

- فـى الحقيقـة.. هناك ملحوظة صغيرة.. لا أدرى مـا أهميتها، لكن القلم الذى كنـت تكتب به كان معطوبًا أوعلى وشـك أن يفرغ من حـبره.. أحيانًا كان الحبر ثقيلًا وأحيانًا كان الحبر خفيفًا جدًّا..

هتف فى حماس:

إذًا فقـد لاحظت ذلك.. افتح المفكرة مـرة أخرى من فضلك.. افتحها على أى صفحة.. عشوائيًّا..



كنت قد أغلقت المفكرة، ووضعتها جوارى على الكرسى الوثير، فلما طلب منى ذلك، تناولتها وفتحتها عشوائيًّا كما طلب.. فانفتحت على نفس الصفحة على الرغم من وجود صفحات كثيرة مكتوبة قبلها وبعدها..

أخبرته بذلك..إنها نفس الصفحة..

نهض صديقى من مقعده، وقال لى فى ترقب خائف:

الآن ابعـد الصفحة بامتداد ذراعك، وانظر إليها وقل لى ماذا ترى.. انظر إليها دون قراءة.. نظرة عامة..

فعلت كما طلب منى، وهنا كانت المفاجأة..

من قلب السـطور برز رسـم شـديد الدقة والروعة لهذا الوجه.. رسـم شديد الوضـوح والدقـة، حتى وكأنه صـورة فوتوغرافية زرقاء بلـون القلم.. وأبرز ما فيها العينان.. وكأنهما بارزتان تحدقان فيك مباشرة مخلفتان شـعورًا سـيئًا فى أحشائك..

يا للروعة..

كيف لم أنتبه لذلك عند قراءتى الأولى للصفحة؟

كيف لم أنتبه لبريق هاتين العينين الشريرتين؟

استغرقتنى الصورة تمامًا للحظات، ومن بعيد جاءنى صوت صديقى

- ها.. ماذا لاحظت..أخبرنى..

بدأت أتحدث بصوت منبهر قائلًا:

- يا للروعة.. أنت فنان حقيقى!..

أنا لم أر مثل ذلك فى حياتى قط من قبل..



إنه رائع.. كيف فعلت ذلك؟

- صف لى ما رأيته..

- أصف لك؟ ألا تعلم؟ إنه ذلك الرسـم الرائع.. رسـم يبرز من الورق مباشرة.. لم أكن أعرف أنك فنان.. كيف فعلتها؟

- أنا لم أفعل شيئًا.. المشكلة أنى لم أفعل شيئًا.. كل ما فعلته أنى نقلت وصفك فى مفكرتى؛ تمهيدًا لاسـتكمال كتابى عن هذا القاتـل، وعندما فتحتها لاحقًا وجدتها هكذا.. مثل هذا الرسـم يحتاج إلى رسـام محـترف يعكف عليه فترة.. لكنى كتبته فى عدة دقائق فقط..

تنهد صديقى بعنف، ثم أضاف:

وليس هذا فحسـب.. كلما تركت المفكرة مغلقة عدت لأجدها مفتوحة على هذه الصفحة.. جربـت أن أضع فوقها ثقل، ولكنى كنت أجد الثقل مطروحًا بعيدًا، والمفكرة مفتوحة، والعينان الشريرتان تحدقان فى وجهى..

- ربمـا كانت مجموعـة من المصادفات فقط.. هذه صورة رجل عادى وليسـت صورة شيطان مثلًا..

صاح فى عصبية:

- خطأ.. بل هو شـيطان.. رجل باع روحه للشيطان، فأصبح خادمًا وتابعًا له.. انتظر.. سأريك شيئًا..

تنـاول المفكرة من يدى، ووضعها أمام مروحة المكتب وهى مغلقة.. تطايرت الأوراق لتنفتح على صاحب الوجه القبيح وتثبت على ذلك..

قال صديقى فى يأس:

- أرأيت؟



قلت له فى توتر:

- ربما كان لذلك تفسير منطقى.. صفحة منتفخة أو أى شىء..

رد علىَّ وهو يجلس أمامى:

- التفسير المنطقى هو.. صاحب الصورة يريد العودة للحياة.. هذا عمل شيطانى يا صديقى.. استمع لما سأرويه لك..

■ ■ ■

قال صديقى:

أنت تعلم أنى أكتب قصصًا مستوحاة من الواقع.. أبحث فى الأقسام والمحاكم عما يناسبنى، ثم أقدمه فى صورة عمل أدبى..

منذ فترة تناثرت أخبار هذا القاتل.. كان يسمى نفسه (المأمور).. يقول إنه الحكيم الذى يخلص الناس من أمراضهم.. لم يفهم أحد شيئًا من وصفه لنفسه..

أنت تذكر محاكمته الأولى عندما طلبت منك أن تكتب وصفًا له، وأنا مسافر..

هذا الرجل قاتل محترف يؤجره الناس لقتل خصومهم.. مشكلة هذا الرجل أنه كان يهوى القتل..

يعشقه..

يشتهيه..

ويتلذذ به..

عدد من الشهود سمعوا صوته يضحك عند الإنهاء على حياة ضحيته..

استمتاعه بالقتل كان يفوق لديه أى لذة وأى متعة أخرى..

الغريب أن تاريخه الإجرامى بدأ عندما كان فى السابعة أو الثامنة من عمره عندما قتل رجلًا فى الشارع شاهده من شرفته يتشاجر مع أبيه..



هبط من منزله بسكين صغير واندس وسط المشاجرة, وأخذ يطعن الرجل فى بطنه حتى سقطت أحشاؤه، ثم أمسك بها بقوة ليجذبها مع جذب أبيه له.. ومع انهيار الأب كان الطفل يضحك وهو يرمق يديه المخضبتين بالدماء..

أخذه أبوه بعيدًا عن المكان، لكن البوليس استطاع القبض على الأب وابنه لاحقًا، وأودعوا الطفل إصلاحية، ووضعوه تحت رعاية نفسية مكثفة أثبتت أن الطفل مختل عقليًّا، وأنه يحتاج رعاية نفسية فائقة..

ظل فى الإصلاحية عدة سنوات لم يفعل فيها شيئًا، وأول ما فعله عندما خرج أن قتل أبيه؛ باعتباره السبب فيما حدث له..

لكن لم يتم اعتقاله لعدم ثبوت الأدلة..

وتعددت جرائمه بعد ذلك.. وكما كان يهوى القتل ويمارسه كشهوة ولذة، لم يترك قط أى أثر وراءه يدل عليه..

نهائيًّا..

كان ذا قوة نفسية قاهرة..

فكان الناس يعرفون جرائمه، ولا يجرؤ أحد على اتهامه أو حتى ذكر اسمه..

ولكن ذات مرة تجرأ أحد الناس، وذهب ليبلغ عنه بعدما شاهده يقتل جارته العجوز الثرية، غالبًا بإيعاز من أقاربها....

وجدوا هذا المسكين ممزقًا فيما بعد..

القاتل ربط أطرافه، وقطع كل مفصل بالسكين على حدة.. من أصابعه إلى كفه إلى مرفقه إلى كتفه، ثم ألقها جانبًا.. كان جسده عبارة عن كوم من الأشلاء البشرية المكومة فوق بعضها..

والأسوأ أن الطب الشرعى أثبت أن أغلبية ما حدث لهذا الرجل حدث له قبل قطع رأسه..



أي أنه فصل أعضاءه عضوًا عضوًا حتى مات من النزف والألم , ثم فصل رأسه..

وعندما تم إحضاره، كان معه ثلاثة شهود، كانوا برفقته طوال الليل عندما تم قتل الرجل.. بل وأقسموا على ذلك..

عدد ضحايا هذا الرجل يتراوح بين الثلاثين إلى الأربعين.. وربما الخمسين.. لا أحد يعرف على وجه التحديد، فهو لم يعترف بشيء قط، حتى تم إعدامه..

وأصبح الرجل أسطورة وسط المجرمين.. يتناقلون أخبار قسوته بينهم في انبهار و إجلال.. كيف كان يحب القتل.. وكيف تثيره رائحة الدم مثلما تثير أسماك القرش..

ذات مرة استأجره أحد الناس للتخلص من أحد خصومه.. دخل بيت الخصم ليلًا، وذبحه في فراشه.. وذبح زوجته بعد ذلك، ثم ذبح أولاده الثلاثة.. من بينهم طفل لا يتجاوز الأعوام الثلاثة..

وهكذا تنامت أسطورته.. عندما يستأجره أحد للقتل لا يوقفه شيء.. بل قيل عنه إنه عقد تحالفًا مع الشيطان.. أو إنه يعبد الشيطان، و يقتل الناس إرضاء للشيطان؛ مما جعل الشيطان ينعم عليه بقوة كبيرة تفوق قوى البشر، وأنعم عليه بحمايته..

أخيرًا نصبت له الشرطة كمينًا، واستطاعوا القبض عليه.. ولكن بعدما قتل ضابطًا وجنديين.. بالسكين..

وحتى في هذا الموقف كان يضحك..

وحضرت محاكمته النهائية لاحقًا..

كان يقف في قفص اتهامه هادئًا ساكنًا..

كنت أول مرة أراه فيها..



تشعر بهالة سوداء من حوله..

كان طويلًا..

عريض الكتفين بشكل غريب..

محنى الظهر قليلًا، وشـديد النحول، لدرجة أن ملابسـه كانت فضفاضة بشدة عند وسطة، على الرغم من ضيقها عليه عند الكتفين..

وكان هادئًا.. حتى بدأت المحكمة تستمع للشهود..

أصبح أشبه بالضبع الغاضب..

لا يكف عن الحركة..

والقرقرة الخافتة..

لا تدرى هل يضحك أم يزوم..

وأثناء ذلك يوزع نظراته النارية الحانقة الغاضبة على الكل..

وفى لحظة ما اصطدمت عيناه بعينى..

يا للهول!..

كم أحسست وقتها بالضعف وقلة الحيلة واليأس..

أحسست برغبته العارمة فى قتلى..

إنه يشتهى قتلى..

بصعوبة أبعدت نظرى عنه، ولم أستطع النظر إليه ثانية..

وكما كان متوقعًا منذ بداية المحاكمة.. تم إحالة أوراقه إلى فضيلة المفتى..

ومع النطق بالحكم ساد صمت غير متوقع..

ثم سمعنا صوته يتكلم للمرة الأولى..



«أنتم جميعًا موتى.. بموتى أتحرر.. لكم أتحرر..
ومن جهنم سأعود لكم.. هذا وعد..»

دخل الجنود لسحبه من قفصه بصعوبة، ثم انهالوا عليه بالضرب كى يتحرك..

بدا وكأنه غير مبال بضربات الجنود، وهو يبحث عن شيء ما بعينيه..

كان يبحث عنى..

وعندما وجدنى أشار نحوى وابتسم..

وقرأت على شفتيه ما ظننت أنه يقول:

انتظرنى.. أنا قادم إليك.. لن أتأخر..

لم أفهم وقتها ماذا يعنى..

كيف سيأتى من قلب السجن إلى؟

لكن رنين ضحكته ونظراته ظلت تطاردنى أيامًا طويلة بعد ذلك..

بدأت أهتم أكثر بقضية هذا الرجل.. تاريخ حياته ومسار قضيته..

على الرغم من كل شيء هو شخصية آسرة، ولم نصادف مثلها فى مصر من قبل..

أما المعلومات التى كنت أجمعها، فكانت كأنها تسعى نحوى وحدها..

سهولة غير طبيعية فى جمع البيانات..

وكأن كل شيء معد خصيصًا لى قبل أن أذهب لجمع المعلومات..

لم أجد عائقًا قط فى جمع أية معلومة.. لدرجة أنى فى خلال عدة أيام كان معى ما يلزمنى من معلومات.. ثم بدأت الكتابة عنه..

كنت أريد أن أتحدث عنه من وجهة نظره هو..



كأنه هو الراوى للكتاب..

ومنذ بدأت فى الكتابة كان كل شىء ميسرًا..

حظيت بهدوء لم أعهده من قبل..

لم يقاطعنى هاتف أو زائر..

لا يوجد أى نوع من أنوع الإزعاج بأى شكل..

لم ينقطع حبل أفكارى ولا مرة..

حتى وصلت إلى وصف الوجه..

وبعد هذا الوصف الذى نقلته مما كتبته أنت بدأت عزيمتى تفتر..

فكتبت بعده عدة صفحات بلا حماس..

جذوة الحماس المتقدة انهارت وذهبت..

ثم جاءنى خبر تنفيذ حكم الإعدام..

يومها استيقظت على رائحة عفنة تملأ المنزل..

نهضت من نومى منزعجًا، وظننت أنه ربما يكون هناك حيوان ميت فى الغرفة..

كان مصدر الرائحة حجرة المكتب..

عندما دلفت إلى مكتبى كانت المفكرة مفتوحة على المكتب..

وحدها..

وكل ما على المكتب متناثر على الأرض..

مفتوحة على الوجه الكريه..

كم كان مليئًا بالحياة وهو يطل على من بين السطور!..



خاصة عينيه اللامعتين..

عين مليئة بشهوة الدم..

وبعدها لم أكتب حرفًا واحدًا..

كلما فتحت المفكرة انفتحت على وجهه..

لو تركتها مغلقة تفتح على وجهه..

لو خبأتها فى الدرج أجد الدرج مفتوحًا، والمفكرة على المكتب مفتوحة على وجهه..

لـو وضعتها تحت الكتب وجدتها بجواره، وعيناه وسـط وجهه تحدقان نحوى من قلب السطور..

هناك شيء ما غير طبيعى يحدث..

لم أدر ماذا أفعل..

ظننت وقتها أن خيالى يعبث معى قليلًا..

نعم..

لا بد أنى جننت..

قررت أن أترك القصة قليلًا، وأشغل نفسى بشيء آخر مؤقتًا..

ربما تأثرت بهذا القاتل وقوته النفسية المريعة..

ربما كان أفضل حل أن أتناول موضوعًا آخر ريثما أهدأ قليلًا..

بدأت أعود لوتيرة حياتى القديمة..

أبحث فى جرائم قتل أخرى؛ عسى أن أجد فيها موضوعًا آخر يستحق الكتابة..

ومن داخلى كنت أعلم أنى لن أسـتطيع بـدء قصة دون الانتهاء من قصة هذا القاتل..



كما كنت أعلم يقينًا أنى لن أستكمل قصته أبدًا..

كنت أخشى رؤية المفكرة مرة أخرى..

لكن أثناء بحثى عن قصص أخرى صادفتنى رواية عجيبة جدًّا..

واقعة شهدها عدد كبير من الناس..

كانت هناك جلسة محاكمة، وبينما القاضى يتشاور مع زملائه حدث شىء غريب..

فجأة شخص نظر القاضى فى الفراغ.. وارتسمت الدهشة والرعب على وجهه.. ثم نهض من مقعده مسرعًا وهو يتراجع بظهره.. رفع يديه فى الهواء، وكأنما يحمى نفسه من عدو لا يراه أحد سواه..

وتوالت صرخاته واستنجاداته بمن حوله، لكنه كان فى شدة الرعب بحيث خرج كل كلامه مختلطًا، ولم يفهم منه أحد شيئًا..

ثم خارت قواه فجأة وسقط على ركبتيه، ثم تمدد على جانبه ميتًا..

ما قيل: إنه انفجار فى القلب..

ربما كان متوترًا، أو أجهد نفسه بحيث لم يتحمل قلبه المجهود..

ولكن أى كلام هذا؟

الرجل كان بصحة وعافية، يجلس فى محل عمله دون أى مجهود..

الغريب فى الأمر أن بعض من حضر قال إنه سمع صوتًا ضحك أثناء موته..

هل استنتجت شيئًا؟

بالضبط..هو نفسه القاضى الذى حكم على القاتل بالإعدام..

دارت رأسى عندما عرفت ذلك..

ما سيطر على تفكيرى هو شىء واحد..



لقد عاد..

وبصورة شيطانية..

كلماتى جعلته يعود..

كلماتى التى كتبتها كانت المعبر له إلى الدنيا..

لكن بعد قليل قلت إنى خيالى أكثر من اللازم..

لا يعود أحد من الموت..

لا بد أن هذا القاضى قد وافته المنية بصورة طبيعية..

وأكيد أنى لن أفهم أكثر من أطباء الطب الشرعى فى أسباب الموت..

هو رجل كبير على كل حال، وهؤلاء المسنون من الوارد أن يحدث لهم أى شىء..

استرحت لهذه الفكرة..

لم يعد..

حمدًا لله..

يومها استغرقت فى نوم عميق، مطمئنًا للفكرة التى توصلت إليها.. واستيقظت نشيطًا فى اليوم التالى، مبكرًا على غير عادتى لأجد خبرًا رهيبًا فى انتظارى..

مات وكيل النيابة.. وبنفس الطريقة..

هنا ارتعد كل جسدى..

لا شك هذه المرة..

وكيل النيابة شاب يافع..

لقد عاد..



اتخذت وقتها قرارًا عسيرًا..

سوف أمزق وأحرق كل شيء له علاقة بالقاتل..

كنت جالسًا في الصالة عندما اتخذت هذا القرار..

نهضت من مقعدي عازمًا على فعل ما أردت أن أفعله..

ثم وببطء بدأت تلك الرائحة العفنة تغزو الشقة..

رائحة القبور..

حتى أصبح التنفس عسيرًا، ففتحت النوافذ ليدخل ضوء الشمس والهواء النقي لينقيا الهواء من كل تلك العفونة..

هدأت الرائحة نوعًا ما في الشقة كلها..

بالطبع فيما عدا حجرة المكتب..

مصدر الرائحة..

مصدر الشرور..

على الرغم من أن ذلك يعتبر تحذيرًا واضحًا أن أبتعد عنه، فإني أمسكت الأوراق والمفكرة عازمًا على التخلص منهما..

وفجأة لم أعد أرى شيئًا..

أظلمت الدنيا من حولي بغتة، وكأن ضباب أسود يكتنف المكان..

أستطيع بالكاد رؤية الحواف الخارجية للأشياء..

ووسط ذلك رأيت عينين تلمعان وسط الظلام..

ثم التمع ما يبدو أنه نصل..

ارتفع في الهواء مقتربًا مني..



صوت ضحكة شريرة يرن فى الحجرة..

كنت متسمرًا فى مكانى لا أصدق ما يحدث..

وفجأة أحسست بألم حاد جدًا على صدرى..

وبقعة دماء تتسع على قميصى..

جريت بأسرع ما يمكن هربًا من هذا المجنون..

ارتطمت بشيء ما أسقطنى أرضًا على رأسى..

رأسى يدور بعنف، ويبدو أننى فقدت الوعى للحظات..

وعندما أفقت كان كل شيء كما هو تمامًا..

وكأن كل ما سبق كان مجرد وهم..

الأوراق فى مكانها..

صدرى سليم.. وقميصى نظيف..

نهضت مفكك الأوصال مشتت الفكر إلى حجرة نومى، ونزعت ملابسى أمام المرآة، وأخذت أتفحص جسدى..

يظهر على صدرى أثر جرح قديم..

أحسست أنه إنذار.. هذا مصيرى لو لم أدعه وشأنه..

خرجت وقتها هائمًا على وجهى..

ما بين هذا المقهى وذاك..

حائرًا لا أدرى ماذا أفعل بالضبط..

هذه قوة شيطانية قاتلة..

ولو مات أحد آخر فسأكون أنا السبب..



معى القاتل فى أوراقى..

يجب أن أتخلص منه.. لكن كيف أفعل ذلك؟

■ ■ ■

أنهى صديقى كلامه، وعم الصمت للحظات..

ثم قلت له متوترًا:

- حسنًا.. لو كانت حكايتك صحيحة، فلا مفر من التخلص من تلك الأوراق..
مع الوضع فى الاعتبار أن هذا القاتل ربما كان مرتبطًا بك أنت..

الغريب أننا جالسان فى حجرة المكتب، وأنت تروى ما حدث، ولم يحاول إيقافنا ولا مرة..

قال صديقى فى توتر متزايد:

- وماذا ستفعل؟ هل ستساعدنى أم ماذا؟

أخذت نفسًا عميقًا، ثم نهضت فجأة من مقعدى، وقلت له:

- أين كل الأوراق؟ بسرعة..

أشار نحو كومة ورق على طاولة صغيرة بجوار المكتب، فهرولت نحوها واختطفتها، وفى يدى الأخرى المفكرة..

ثم جريت نحو المطبخ حيث الموقد..

وأوقدت الموقد..

ثم اسودت الدنيا فجأة.. وكأنما ضباب أسود ثقيل احتل الفراغ فجأة..

تمامًا كما حكى لى صديقى..

ارتجف قلبى من الرعب.. لم أتوقع أن يكون استجابته بقوة وسرعة هكذا..

أسرعت ووضعت الأوراق على النار التى بدأت تحرق أطرافها ببطء..



فتحت كل فتحات النار، ونثرت عليها كلها الأوراق..

سمعت صوت صديقي يصرخ في رعب، نظرت لخلفي فرأيت الهول!..

من قلب الظلام رأيت شبحًا نحيفًا طويلًا يهوى بخنجره على صدر صديقي مرات ومرات..

وهو يضحك..

أخذ يطعن صديقي بسرعة لا تصدق، وكأنه يطعن قالب زبد..

ثم رفع عينيه اللامعتين نحوي وهو يقرقر..

كالضبع..

حاولت الهرب من المطبخ في هذا الظلام..

أسرعت خارجًا وأنا أحدق نحو حجرة المكتب.. كان ينهض من جوار الجثة..

وبدأ يتحرك ببطء نحوي..

تعثرت وسقطت على الأرض، ثم نهضت وجريت مبتعدًا..

أين الباب؟

أين الباب؟

ارتطمت ركبتي بمنضدة صغيرة، فوقعت مرة أخرى..

شعرت بشيء خلفي هذه المرة وأنا على الأرض..

التفت، فإذا بالقاتل فوقي يرمقني بعينين تتوهج فيهما النيران..

وكان غاضبًا بشدة..

فتح فمه على اتساعه ليصرخ في وجهي بعنف.. مستحيل.. لا يمكن أن يفتح أحد فمه بهذه الطريقة..



الرائحة الكريهة تهب بعنف..

رفع يده بالنصل المميت ليهوى به على صدرى..

أغمضت عينى بقوة متوقعًا ذلك الألم العنيف..

لكن..لا شيء.. لم يحدث شيء..

ساد الصمت فجأة..

فتحت عينى لأجد ذا السواد بنفسه متجسدًا أمامى..

فى الحقيقة هذه المرة..

اتسعت عيناى من الرعب.. دقات قلبى تزايدت إلى حد الجنون..

كان يقف بجوارالقاتل ممسكًا بيده التى فيها السكين بهدوء..

أما القاتل فكان يرتجف بجواره من الغضب.. من الغضب..

الظلام يتكاثف أكثر وأكثر..

وذو السواد واقف أمامى..

واقف بكامل قوته و بهائه وسطوته أمامى..

وتحت قدميهما جثة صديقى شاخصة البصر..

ومن بين يديه طار شيء نحوى..

خاتم ذهبى غريب الشكل واستقر فى راحتى..

رفعت عينى إليه فى دهشة.. ما هذا؟

استقر الجواب فى ذهنى مباشرة..

إنه خاتم راؤول.. خاتمك أيها التابع..



وبينما نحن كذلك تغيرت الموجودات من حولنا..

وجدت نفسى طائرًا فى قلب صحراء سوداء حالكة، تلمع من فوقى النجوم..

و أرمق جثة صديقى تحتى..

كان يقترب من بعيد عدة ذئاب..

ذئاب لم أر مثلها قط..

ذئاب ضخمة..

مشعرة..

ومخيفة..

وعيونها قطع من نار.. نار حقيقية تتوهج فى الظلام..

ارتفعت عقيرتها بالعواء ناظرة نحوى، ثم بدأت فى التهام جثة صديقى..

لم أكن أملك التحرك..

لا أستطيع حتى تحريك رقبتى أو عينى..

ثم حدث أسوأ شيء..

لم يكن ميتًا..

مع العضة الأولى انحنى صارخًا فى ألم، لكن الذئب وضع قدمه عليه ليكمل طعامه..

ثم بدأت الذئاب فى انتزاع قطع من لحمه.. وسط صراخه وتوسله..

وفجأة هتف باسمى وهو ينظر نحوى.. قبل أن ينتزع ذئب يده و يلتهمها فى جشع..

وساد الصمت إلا من زئير خفيف للحيوانات وهى تمضغ وتبلع وتزدرد..



وعندمـا أنهت وجبتها لم يكن تبقى إلا بضعة أشـلاء وعظام.. يزين المشـهد ضحكات شبح ذلك القاتل المجنون الذى كان جوارى طوال الوقت..

فجـأة اسـودت الدنيـا فى عينى لثـوان، وعندمـا فتحتهـا وجدت نفسـى على فراشى..

فى بيتى..

وأمامى يقف ذو السواد..

ومهمته تردد فى رأسى..

اقتل..

اقتل..

تلذذ بالقتل..

اقتل كثيرًا..

عذبهم ثم اقتلهم..

ولك الحماية..

والقوة..

اقتل..

ثم غبت عن الوعى تمامًا..

□□□



تحذير.. مرة أخرى..

يمكنك أن تعتقد أنها مجرد رواية رعب أخرى..
ويمكنك أن تعتقد أنها خيالات مريضة وحسب ..
لكنها حقيقية تمامًا..
كل شيء حقيقي تمامًا..
حكايات حقيقية، عاش أصحابها تفاصيلها المرعبة لحظة بلحظة..
المشكلة الكبرى أنك قد تتأثر بكل هذا الكلام..
ولهذا فأنا أخلي مسئوليتي بالكامل..
لو رأيت كابوسًا ثقيلا غريبا .. يد تمسك قدمك فتستيقظ مفزوعا ، أو تسقط نحو جهة مجهولة ، أو تسمع صراخا يملأ أذنيك قبل النوم..
لو أحسست بشيء يتحرك في الصالة..
لو ظهر لك ما لا تريده أن يظهر أبدًا..
أرجوك لا تلمني..
فقط تذكر أنك أنت الذي أصررت على إكمال القراءة..





□□□

أنهيت حكايتى وساد الصمت برهة..

ثم قال الطبيب بهدوء وبطء:

- حسنًا.. حكايتك على الرغم من ترابطها فإنها غير منطقية بالمرة..

علـى افتراض صحة القول بوجود شـيطانك هذا، فهـو لم يحم أحدًا من تابعيه من قبل..

كل السفاحين ماتوا أو قتلوا.. معنى ذلك أنه كاذب..

هذه نقطة..

ونقطة أخرى.. ما كل هذا العبث؟

لو كان قويًا كما يدعى، فلماذا لا يقتل من يريد قتلهم بنفسه؟

لا أستطيع تصور مخلوق كل عمله أن يقنع الناس بقتل بعضهم البعض..

ابتسمت ابتسامة انتصار.. فى قرارة نفسى أشعر بالانتصار..

بدأ يقتنع.. بدأ يتشكك فى إلحاده..

بدأت أجذبه نحوى..

رفعت عيناى إلى عينيه مباشرة وقلت:

- بالطبـع هـو كاذب.. كاذب فى كل شىء.. كاذب فى وعوده وحمايته وقوته.. كل شىء.. لكنـه بالفعل لا عمل له إلا دعـوة الناس لقتل بعضهم البعض.. هل تريد أن تعرف السبب؟

حسنًا.. استرخ فى مقعدك، واستمع..

□□□



الجلسة السادسة

منذ ملايين الملايين من السنين شاء الله أن يخلق الكون العظيم.. ووسط الكون الهائل خلق الله الأرض.. ذرة غبار كونى لا أهمية لها، ولا ترى فى قلب مجرة واحدة من مجرات الكون العملاق..

لكن كان للأرض شان غريب وسط الكون..

جذبت الأرض منذ نشأتها اهتمام المخلوقات التى خلقها الله تعالى.. فعلى الرغم من وجود كواكب كثيرة عليها الحياة.. فإن الأرض ظل لها دومًا وضع خاص..

كان الخالق سبحانه يهتم بها اهتمامًا خاصًّا..

اهتمامًا أحست به هذه المخلوقات بشدة..

والمخلوقات التى أتحدث عنها نوعان فقط، لكنهما مختلفان تمامًا..

هناك الملائكة..

مخلوقات جبارة..

أجسادهم ضخمة جدًّا..

قوتهم لا حدود لها..



شديدو القوة والجمال والبهاء..

بلغ من ضخامة أحدهم أن حجم ضرسه فقط يماثل حجم الكوكب..

أما أعدادهم.. فمئات البلايين..

لا حصر لهم..

يملئون الكون.. ولكنهم غير مرئيين..

وهؤلاء الملائكة لا يفعلون شيئًا فى الواقع إلا عبادة الله، وتنفيذ بعض المهمات التى يكلفون بها فى خضوع وسرعة وقوة واحتراف..

أقرب ما يكونون إلى جنود شديدى القوة والبأس..

كما كانت لهم صفات شـديدة الخصوصية، جعلتهـم موضع رهبة وخوف من المخلوقات الأخرى..

لا يأكلون..

ولا يشربون..

ولا ينامون..

ولا يتناسلون..

ولا يتزوجون..

ولا يصيبهم التعب..

ولا يتأثرون بأى شىء من حولهم..

ولا يموتون..

فقط يعبدون الله و ينفذون أوامره..

ليست لهم إرادة مستقلة لفعل شىء..



عباد مخلصون لله.. يستمدون منه قوتهم اللانهائية..

وهؤلاء الملائكة ليس عندهم علم..

وليس لديهم حاجة للتطور؛ لأن حياتهم ثابتة..

لا يحتاجون لأى شيء من أى نوع..

فقط متفرغون لعبادتهم وتنفيذ مهماتهم..

كما كانوا مخلوقين من النور..

أجسامهم مصنوعة من النور..

لست أدرى كيف، لكنهم أجساد مثلنا..

أجساد قوية عملاقة صلبة.. فقط هى مصنوعة من النور.. وهم يملكون القدرة على التحول إلى صورة البشر إن أرادوا، ولكن طبعًا يفعلون ذلك عندما يأمرهم الله بذلك فقط..

النوع الثانى من المخلوقات التى كانت موجودة هم الجن..

كانوا موجودين فى كل مكان فى الكون..

مشرذمين..

وعندما خلق الله تعالى تلك الأرض.. ساورهم الفضول حولها.. ترى ما سر الاهتمام بها؟

هبطت جماعة من الجن للأرض.. وجدها الجن أرضًا جميلة يستطيعون الحياة فيها فى سعادة، فاستوطنوا فيها..

وهؤلاء الجن لهم عقل مستقل..

مثلنا..



يأكلون ويشربون وينامون ويتناسلون..

ويموتون..

الفرق بينهم وبين الملائكة أنهم كانوا مصنوعين من النار..

أجسادهم مصنوعة من النار..

تحولوا من النار إلى شيء آخر..

ولهم القدرة على الاختفاء والظهور والتشكل..

وفي هذا الوقت كانت الحياة بدأت تدب على الأرض..

امتلأت بالحيوانات والبشر غير العاقلين..

هؤلاء البشر كانوا غير الإنسان الذى نعرفه الآن.. كانوا كائنات غير عاقلة على الإطلاق.. لا يفكرون إلا فى الطعام والشراب والتزاوج فقط.. وأحيانًا كانوا يقتلون بعضهم ويأكلون بعضهم..

بشر غير مكلفين..

لا يعبد الله عاقل فى الكون إلا الملائكة وبعض أفراد الجن.. ليس كلهم.. أيضًا مثل الإنسان الآن..

ولكن عشائر الجن دب بينهم الخلاف يومًا ما..

طبيعتهم النارية جعلت الخلاف والشقاق بينهم سهلًا جدًّا..

كان من أسباب هذه الخلافات بعض أشقياء الجن الذين كانوا يتسلون أحيانًا بالظهور للبشر وإخافتهم.. وأحيانًا دفع البشر لقتل بعضهم البعض أو قتل أنفسهم بحيل خبيثة ودموية لا تنتهى..

زعماء العشائر عامة لم يكونوا راضين عن مثل هذه الأفعال، فكانوا يحاولون



ردع الأشقياء بالقوة.. وأحيانًا تتداخل العشائر مع بعضها البعض، فيصيب أحد أفراد عشيرة ما فردًا من عشيرة أخرى.. فكانت النتيجة الحتمية هى اندلاع الحروب بين العشائر.. وأيضًا اندلعت الحرب بين بعض القبائل البشرية..

البشر الذين لا عقل لهم انصاعوا لأوامر سادتهم، وهجموا على بعضهم، وسط ضحكات الجن المستهزئة..

مع الوقت أصبحت الأرض مكانًا للقتال..

دائمًا هناك مكان عليه حرب..

وطبعًا الملائكة تشاهد هذا كله دون تدخل.. لم يأمرها الله بالتدخل فتتدخل..

ثم حدث شيء غريب..

فجأة انضم للملائكة أحد الجن..

هذا الجنى اتخذ لنفسه صورة جميلة جدًّا جدًّا تشبه صورة الملائكة.. وانضم للملائكة عن طريق العبادة..

كان يحب الشهرة والنفوذ.. ووقتها كانت الطريقة الوحيدة للشهرة هى العبادة..

فاجتهد جدًّا فى العبادة، وتعبد لله عبادة لم يفعلها جنى من قبل..

كان يحلم بالتحول لملاك من الملائكة..

كان يحلم بالخلود.. بالقوة اللانهائية..

كان يحلم أن يكون الجنى الذى تحول لملاك، ثم أصبح رئيسًا للملائكة لاحقًا..



والله طبعًا يعرف ما فى نفسه تمامًا..

ولحكمة ما عندما دعا هذا الجنى الله أن يرفعه إلى مصاف الملائكة، ولم يرفض الله طلبه..

وتحقق له ما كان يحلم به..

أصبح أشهر جنى فى الكون..

الآن تردد عشائر الجن اسم الجنى الذى ارتفع لمصاف الملائكة..

الآن تعلم الملائكة أمر ذلك الجنى الذى يعبد الله معهم..

الآن يعلم الكل اسمه..

إبليس..

لما ارتفع إلى مصاف الملائكة لم تدان فرحته فرحة..

لقد أصبح شهيرًا..

واجتهد أكثر وأكثر فى عبادته مع الملائكة.. وسمع ميحه من جن الأرض عندما ينزل إليهم على فترات متباعدة..

تمتلئ نفسه فرحًا وسعادة عندما يرى نظرات الجن المنبهرة..

عندما يرددون اسمه فى وجل وتقديس..

إبليس الملائكى..

إبليس الذى ارتفع لله.. يعبد الله عنده مع ملائكته..

ثم حدث شيء جديد..

علم الكل أن الله تعالى قرر إعمار الأرض..

وأن الذى سيعمرها هو أحد أهلها..



تعجبت الملائكة.. كيف ذلك؟

إن كل من يعيشون على الأرض يسفكون دماء بعضهم البعض..

القتل يحدث يوميًّا..

البشر يتقاتلون طوال الوقت.. بل وأحيانًا يأكلون بعضهم.. فكيف سيعمرون الأرض؟

أم سيعمرها أحد الجن؟

كيف وغالبيتهم شرير يقتلون بعضهم، ويقاتلون بعضهم، ويأمرون بقتل البشر، ويدفعون البشر للقتل..!!

رد الله تعالى على تشكك وعجب الملائكة بأن ليس لديهم العلم الكافي للحكم الآن..

وإبليس يراقب ولا يتدخل..

وإن كان بدأ يشعر بالضيق لانسحاب الأضواء بعيدًا عنه..

ثم كلف الله بعض الملائكة بالنزول للأرض، وطرد الجن إلى الأماكن الفارغة، تمهيدًا لتعمير الأرض من قبل الإنسان..

إنسان؟

لم يكن يعرف أحد ما هو الإنسان..

مخلوق جديد؟

على كل نزلت الملائكة بالسيوف، وطردت الجن إلى الجزر والصحارى..

من أجل الإنسان..

وخلق الله آدم..



أبو الإنسان..

ومنحه العقل..

ومنحه العلم..

ثم جاء وقت ظهور حكمة الله لخلقه أمام خلقه..

سأل الله تعالى الملائكة سؤالًا واحدًا.. ما أسماء هذه المخلوقات؟

نظرت الملائكة إلى المخلوقات فى الأرض.. لم يعرف الملائكة.. لم يعلمهم الله هذه الأسماء فلم يعرفوا شيئًا.. واعترفوا بجهلهم..

نفوسهم النقية الصافية ردت بالرد المباشر الجميل.. تسبيح للخالق، واعتراف بقصور علمهم..

طلب الله من المخلوق الجديد (آدم) أن يخبرهم بالأسماء..

فأخبرهم بها بكل بساطة..

علمه الله تعالى، فنطق بالعلم..

وأراد الله أن يعلم الملائكة الغاية من خلق آدم..

إنه صاحب العلم المفيد..

إنه من سيعمر الأرض بالعلم..

إنه من يستخدم عقله للخير والعبادة.. وللعلم..

ثم أمر الله الجمع الحاضر بالسجود لآدم..

سجود تكريم لعقله وعلمه..

كانت الأسماء التى تعلمها آدم بداية العلم..

أن يعرف ما هى هذه الأشياء حتى يستطيع استخدامها لتعمير الأرض..



أما إبليس..

فقد كان كان قلقًا..

متوجسًا..

لا يشعر بارتياح منذ ظهور آدم على الساحة..

كان يشعر بالغيرة..

لم يعد أحد يهتم به..

كان من داخله غاضبًا..

حانقًا..

يقول بينه وبين نفسه: من هذا المخلوق الجديد الذى سلبنى كل شهرتى فى لحظة؟

لم يتعب مثلى مئات السنين فى العبادة حتى يرتفع.. ظهر فنال كل شىء..

كان يحتقر آدم فى قرارة نفسه..

وكان يرى نفسه أفضل مخلوق..

النار التى اقتربت من النور..

فلما رأى الله تعالى يأمر جموع الملائكة وهو معهم..

مئات الملايين من الملائكة..

يأمرهم جميعًا أن يسجدوا لآدم..

اشتعلت نيران غيرة قلبه كأقوى ما يكون.. كان يريد أن يكون هذا السجود له..

هو الذى يستحق التكريم..

وكان مع الملائكة وقتها، فكان من الطبيعى أن يمتثل لما يمتثل له الملائكة..

لكنه انتفض غاضبًا، وصاح فى انفعال وهو يرتجف:



- لا.. لن أسجد لهذا الـ..طين..

أنا من النار، وهذا من الطين.. كيف تنحنى النار للطين؟

أنا أفضل منه..

أنا أحسن منه..

أنا خير منه..

لن أسجد لهذا الطين أبدًا..

كان الله تعالى يعلم ما فى نفس إبليس من التمرد..

و يعلم غيرته وفساد قلبه..

وأن كل ما يفعله ليس خالصًا لله..

حينئذ طرده الله من رحمته..

وطرده مـن عالم الملائكة أيضًا، نتيجه جرأته على اللـه تعالى، وكلامه أمامه بما لا يليق..

تعدى حدود أدبه.. وظن نفسه شيئًا فى ملكوت الله..

عندما تلقى الخبر بطرده وقف مذعورًا غاضبًا..وخائفًا..

كان يخشى الموت..

وكان معنى ما حدث هو أن.. يموت..

فرفع نظره للأعلى ودعا الله..

الغريـب أن إبليـس لم يدع اللـه بالرحمة أو المغفرة أو المسـامحة.. بل دعاه أن يطيل عمره إلى نهاية الكون.. إلى الأبد.. إلى أن يرى الكون نفسه يموت..

أن يكون خالدًا..



وأجابه الله إلى طلبه..

وما إن أجابه الله إلى طلبه حتى انفجر صائحًا صارخًا..

أقسم ألا يهدأ ولا يستقر حتى يحاول أن يهلك آدم وذريته كلها..

كان يعتبر آدم مسئولًا بشكل ما عما حدث له..

ونزل إبليس إلى الأرض قرب المكان الذى يعيش فيه آدم وزوجته..

وأخذ يفكـر بعدما هدأت ثورته قليلًا.. لقد تـسرع بالتأكيد.. لكن لم يكن هناك مجال للتراجع..

انتهى الأمر..

وكان غروره وكبرياؤه يمنعانه من طلب المغفرة من الله..

لكنه لم يحاول قط.. لماذا لم يحاول طلب رضا الله؟

أحس إحساسًا جديدًا مؤلمًا يستولى على قلبه..

شعر بالندم..

منذ قليل كان يحلق مع الملائكة.. والآن هو فى الأرض منبوذ ملعون..

يحترق قلبه..

وبكى..

مسح عينه فى دهشة، وهو يتأمل الدمعة النارية..

ثم أغلق عينيه وصرخ..

يا للألم.. أول مرة يشعر بالألم..

ارتجت الارض لبكائه وصراخه، واختبأت الحيوانات فى جحورها..

وعم الصمت إلا من صراخ إبليس..



لم يجرؤ أحد على الاقتراب منه..

أخذ يسير في الصحارى والغابات هائمًا، يصرخ بعلو صوته، ويصيح ويتوعد لآدم..

يقطع الأراضي كلها غاضبًا صارخًا.. وبدأ شكله الوسيم الجميل يتحول إلى شكل آخر.. شكل مرعب قاس قبيح أسود.. ما في قلبه ظهر على وجهه، ولم يعلم حتى رأى نفسه بالمصادفة في لجة ماء..

عندها شعر شعورًا آخر..

شعر بالفزع والرعب..

يعلم مصيره الآن..

مصيره ارتسم على وجهه..

أخذ يتأمل وجهه، وهو يصرخ صرخات هزت الأرض من حوله..

سقط على الأرض، وأخذ يبكي..

قطرات من نار تحدرت على وجهه ساقطة إلى الأرض..

كانت أول مرة يبكي..

وحتى هذا البكاء حمل آدم مسئوليته..

لولا آدم ما حدث ما حدث..

أخذ الحقد والغل يأكلان قلبه..

نهض من مكانه وسار مبتعدًا، حتى وصل لكهف مظلم، وأخذ يفكر..

لا بد من الانتقام..

فيما بعد عرف أن الله جعل لآدم وزوجته حديقة غناء جميلة يعيشان فيها..
يأكلان ويشربان ويعبدان الله مع الملائكة..



يأكلان من كل الشجر إلا شجرة واحدة..

إذًا سيثبت إبليس للكل أنهم كانوا مخطئين، وأن آدم يخطئ كما أخطأ إبليس..

وراوده الأمل.. ربما عفا الله عنه لو أخطأ آدم..

كان مغرورًا متكبرًا لدرجة أنه يريد أن يعفو عنه الله دون أن يحاول هو استغفاره..

استطاع دخول هذه الجنة التى جعلها الله لآدم وزوجته متخفيًا، ووجه جهوده لإغوائهما؛ ليأكلا من الشجرة التى حرمها الله..

بالفعل عصى آدم الله وأكل من الشجرة..

فرح إبليس أيما فرح..

نزل من هذه الجنة، وانتظرعقاب الله لآدم..

ثم كانت المفاجأة التى زلزلت كيانه..

عفا الله عن آدم..

بل علمه الله تعالى كلمات يطلب بها العفو والغفران..

تاب الله على آدم..

كان آدم بفطرته النقية يعلم أنه أخطأ، وطلب الصفح من الله..

فعل ما لم يفعله إبليس..

جن جنون إبليس.. انطلق من جديد يجرى فى الأرض يصرخ..

حتى توارت منه المخلوقات التى لا تخاف أحدًا..

حتى الذئاب التى تلتهم الجن رأت أنه من الخير لها ألا تخرج هذه الليلة..

عاد إلى كهفه فى الظلام.. جلس ينفث غضبه.. ثم برقت فى رأسه فكرة..

سأثبت للملائكة أنهم كانوا مخطئين..



كانوا يقولون إن البشر الذى يسفك الدماء لا يصلح لتعمير الأرض.. حسنًا..
لا بد من سفك الدماء..

أخذ ينتظر سنين، ويكيد لآدم مكائد كثيرة، حتى جعل الأخ يقتل أخاه..

شعر بنشوة الانتصار تسرى فى دمه، مع مرأى الدماء الزكية وهى تنسكب ببطء على الأرض..

الذعر فى عين القاتل..

لقد سفك ابن آدم الدم..

لقد أثبت للملائكة أنهم مخطئون..

ترك موقع الجريمة، وطار لمكان مرتفع ونظر تجاه السماء، وأخذ يصيح:

- لقد سفك الدم..

أرأيتم؟

لقد أخطأتم..

إنه لا يصلح..

أرأيتم؟

لكن لم يحدث شيء.. لم يرد عليه أحد..

كان يتوقع أن يرد عليه الله تعالى.. أو على الأقل يناصره بعض الملائكة.. لكن لم يحدث شيء..

لم يعره أحد اهتمامًا..

كان الكون كله يعلم شره، وأنه السبب فيما حدث..

لم يخطئ آدم من نفسه..



ولم يقتل الولد من نفسه..

لولا الشرير لما حدث شيء..

فلم يعره أحد اهتمامًا..

أكل الغل والحقد قلبه تمامًا..

أصيب بجنون الكراهية..

لم يعد فيه شيء إلا الكراهية المجنونة لآدم وذريته..

ثم ما كان منه إلا أن استخدم قوته وجمع الجن..

وأقنعهم أنه تحول لملاك فعلًا..

واستخدم قدرته المذهلة فى التحول والتشكل ليبهرهم بشكل جميل..

وسمى نفسه بأمير الضياء..

وأقنعهم أنه على حق..

وأن عليهم أن يثبتوا لله وللملائكة أن الإنسان مخلوق فاسد..

يفعل كل الموبقات..

ورويدًا رويدًا بسط سيطرته على عالم الجن..

هناك من رفضوا اتباعه فابتعدوا عنه.. لكن جموعًا كبيرة اتبعته..

كان تأثيره عليهم هائلًا..

كانوا يظنون أنه ملك من الملائكة وسقط من السماء..

وأخذ يحاول أن يقنعهم أنه يستطيع تحويلهم لملائكة أيضًا..

كان قويًا جدًا..



وحقيقة أنه لا يموت جعلت له مصداقية كبرى عند الجن..

كانوا يعلمون أن الملائكة وحدهم لا يموتون..

كان يعطى هبات كثيرة لكل من تسبب فى أذى للإنسان..

كان يريدها حربًا نفسية..

يريد أن يؤذى البشر أنفسهم..

فكان كل من يريد أن ترتفع مكانته عند إبليس يوحى للإنسان بشتى أنواع الشرور..

وكان إبليس يناكح كل يوم جنية..

يريد أكبر عدد من الذرية على الإطلاق..

أبناء وأتباع..

هؤلاء هم الأشر.. سموهم بالأبالسة نسبة لأبيهم..

وأشر هؤلاء الأبالسة وأعلاهم مكانة أولئك الذين يتسببون فى قتل الإنسان لأخيه..

الخطيئة الكبرى التى اعترضت الملائكة على وجود البشر بسببها..

القتل..

سفك الدماء..

الملائكة تظن أنه لن يكون هناك سفك دماء؟

إذًا فليكن هناك سفك دماء..

وانتشروا فى كل مكان..

ملئوا الأرض..



تسللوا رويدًا رويـدًا من أماكن تجمعاتهم في الجـزر والصحارى إلى أماكن وجود البشر..

يتسللون ويراقبون..

ويكيدون..

عندما تسير وحدك عائدًا إلى دارك.. وتشعر بشيء ما خلفك.. تلتفت فلا تجد أحدًا.. ولكنك تقسم أنك لست وحدك.. نعم.. إنه شيطان..

عندما تدخل بناية مظلمة المدخل فينقبض قلبك دون سـبب.. عندما يقشعـر بدنك وتنتفض.. إنه شيطان يحدق إليك أو يعبر جوارك..

عندمـا تصحـو مـن نومك قلقًـا منزعجًا.. تشـعر بأصـوات غريبـة حولك.. ضوضاء..

صرخات..

عدم راحة..

عندمـا تتأمل صورة عادية في منزلك، فتجدها مرعبة على غير العادة.. عيناها ليست عينيها..

الصور تحدق فيك..

تشعر بذلك وتلمسه.. لا تدرى ماذا تصنع فتهرب بعينيك بعيدًا..

عندما تريد النوم فتشعر بأنك تهوى..

صدرك يضيق..

تنتفض..

إنه شيطان..



انتشروا فى كل البيوت..

يعيشون فى الأركان والزوايا المظلمة..

ربما فى التماثيل والصور..

فى سقف منزلك..

حمام منزلك..

يحبون الليل..

يعشقون الأماكن التى تم فيها سفك الدماء..

لذلك يكثرون و يستوطنون فى الأماكن التى حدثت فيها جرائم قتل..

يستوطنون الشقق الخالية..

أساتذة الوهم..

ملوك الرعب..

يستطيعون قتلك و إيقاف قلبك بالرعب..

فقط بالرعب..

وأقرب كل هؤلاء إلى قلب إبليس ابن له لا يعرف أحد اسمه..

والغريب أن عمره طويل مثل عمر أبيه.. لا يعرف أحد سره..

كان البشر قد تعلموا السحر.. علمهم الجن السحر.. لكن البشر استخدموه للسيطرة على الجن.. والمفتاح الرئيسى لذلك هو اسم الجنى.. لذلك لم يعرف أحد قط اسم هذا الجنى الابن..

هذا الجنى الابن مسئول عن كل المذابح التى حدثت تقريبًا.. ينتقل من مكان لمكان ينشر الموت والتعذيب أينما حل.. وطريقته بسيطة جدًّا.. يدفع



بالأحلام إلى قلب الإنسـان حتى يسـيطر عليه تمامًا، وتمتلئ نفسه بالرغبة فى القتل ثم يتركه بشهوة مجنونة لا تنفد لسفك الدماء..

وكلما نجح مع واحد زادت قوته..

وزادت قدراته..

اصبح ينقل للعقول الجديدة خبرات كاملة..

ليسـت مجرد خيالات وأوهام.. بل ينقلك فـى الواقع إلى مذابحه المفضلة.. بل ويـترك لك تذكارًا من ذلك أيضًا.. يربى القتلة منذ صغرهم، وكأنما يربى أبناء مقربين له..

بالفعل يتعامل معك برفق..

يطعمك أحيانًا أشياء سوداء بيده..

ويعطيك سلاحًا تنفذ به جرائمك..

ولا فكاك من هذا الشـيطان بالذات.. إذا اختارك يظل معك إلى أن تموت.. أو تنتحر..

أو تتبعه..

أو تعبده..

وفى كل الحالات هو فائز..

ويعد روحك بالخلود..

وينعم عليك بقوى خارقة..

ولكن ممنوع عليك التحدث لأحد..

وإلا فالشياطين الملازمة لك تبدأ فى أذية أحبائك..



نقطة الضعف البشرية الوحيدة.. فقط يكفون عندما تصمت أنت..

هل فهمت الآن؟

■ ■ ■

ساد الصمت إلا من تردد أنفاس الطبيب الثقيلة..

كان زائغ العينين.. لا يدرى بم يعقب على كلامى؟!..

بعد فترة قصيرة قال:

- آسف.. لا أستطيع تصديق كلامك.. كل هذا هراء بالنسبة لى..

ثم نهض من مقعده، وقال وهو يبحث بعينيه وسط الظلام عن مخرج:

- أريد أن أرحل من فضلك..

قلت له:

- أنت بهذا تنقض الاتفاق.. قلت إنك ستكون معى..

صدقنى أنت بلا حماية.. و إن تركتنى فأنت وحدك تمامًا.. أنت تحتاجنى مثلما أحتاجك.. هؤلاء لا يخشون إلا الله الذى لا تؤمن أنت بوجوده.. صدقنى ستكون لعبة ظريفة بين مخالبهم..

- أريد أن أعود لمنزلى.. لا أصدق كل هذا الهراء.. أنت مجنون.. أنت تصدق أشياء غير حقيقة.. أنت تحتاج لعلاج مكثف.. فقط..

قلت له باقتضاب:

- حسنًا..أغلق عينيك..

قال فى توتر:

- لماذا؟ لن أغلق عينى..



- حسنًا.. لا تغلق عينيك..

ثـم لكمته بأقصى ما اسـتطعت من قـوة، فدارت عيناه فى ذهـول قبل أن يخر مغشيًا عليه...

■ ■ ■

كنت جالسًا أمام الطبيب حينما أفاق.. فتح عينيه ببطء، ثم اتسعتا بغتة، وهو يتحسس أثر الضربة على صدغه.. دارت عيناه وهو ما يزال يعانى آثار فقدان الوعى، وهو ينظر حوله قائلًا:

- أين أنا؟

قلت له فى هدوء:

- أنت فى عيادتك.. لقد أعدتك لعالم الواقع..

اعتدل فى ألم وهو يمسك بجانب رأسه قائلًا فى غضب:

لماذا فعلت ذلك؟

نهضت متثاقلًا من جلستى، ثم نظرت فى عينيه مباشرة قائلًا:

- اسمع يا دكتور.. لقد عرفت الكثير من الأشياء.. لا أستطيع تجاهل حقيقة أنك خدعتنى.. عرفت ما تريد أن تعرفه، ثم رفضت مسـاعدة نفسك ومساعدتى.. ولن أكشف لك أوراقًا أكثر من ذلك.. أين كنت.. هذا سر.. وكيف عدت من هناك.. سـيظل هذا سرًّا أيضًا.. ولك أن تعلم أنى لم أعد أثق بك.. إطلاقًا.. بل أنا نادم على كلامى معك.. بعد كل شىء ربما تستحق ما سوف يحدث لك..

القرار قرارك يا دكتور.. أنا لن أغلق الباب.. أنت لن تسـتطيع الوصول إلىَّ.. أنا سآتى إليك مرة أخيرة.. فإما أن تكون معى.. و إما..



وتركته ومشيت بخطوات متثاقلة نحو الباب.. وبينما أنا كذلك ناداني الطبيب بنبرات شبه متوسلة:

-لا أستطيع أن أصدقك.. لا أفهم.. لا أصدق.. كل هذه خزعبلات.. ماذا تريد منى؟ اتركنى وشأنى..

ابتسمت فى مرارة، وقلت له وأنا أغلق الباب:

- أريد منك أن تساعدنى فى قتله..

ثم أغلقت الباب فى هدوء..

■ ■ ■

كان ذهن الطبيب مشوشًا إلى أقصى درجة.. كل ما سمعه يفوق قدرته على التحمل.. تراجع بظهره على أريكته الوثيرة، وترك عقله يذوب فى اللاوعى.. أفاق فجأة على صوت هاتفه.. مد يده وأمسك الهاتف.. نظر إلى الشاشة.. إنها زوجته.. ضغط زر الإجابة، ثم اتسعت عيناه وهو يستمع إلى تلك المكالمة.. كانت منهارة تمامًا , وهى تحكى له عما أصابها، وتطلب منه أن يأتى ليكون بجوارها.. انحشرت كلماته فى حلقه.. مستحيل.. إنها صدفة حتمًا.. قال بصوت مبحوح بضع كلمات، لم يميز منها سوى سآتى فى الطريق..وطلب منها ابتلاع مهدئ ريثما يصل إليها..

أغلق الهاتف، وأخذ يفكر فى توتر.. ما معنى هذا؟ من غير المعقول وغير المنطقى أن تدخل زوجته إلى اللعبة.. إنها بعيدة عن كل هذا..

كان يريد جمع المعلومات.. كان يريد التأكد مما يسمعه.. لا بد أن يستمع إلى تجارب واقعية من أناس آخرين.. ومن خلال لهجاتهم سيعرف أيهم صادق وأيهم مؤلف كاذب؟.. ومن خلالهم يعرف الحقيقة.. وبهم يأخذ قراره..



نهض واتصل بممرضته.. قال لها أنه يريدها غدًا مبكـرًا.. عمل إضافى بأجر مضاعف..

ثم أغلق هاتفه، ولم يدر كيف فقد وعيه مرة أخرى..

بعد بضع ساعات استيقظ على صوت الممرضة تطرق باب حجرته فى العيادة.. نهض ببطء وفرك عينيه، ثم أذن لها بالدخول..

دخلت المرضة.. أصابتها الدهشة من منظر الطبيب.. لم تره بهذا المنظر قط، وهى التى تعمل عنده منذ وقت طويل..

طلب منها الجلوس قليلًا ريثما يغسل وجهه.. ثم عاد إليها ومنشفة نظيفة على يده.. تأملته للحظات.. لـو رأت هذا الذى أمامها فى الشارع لما عرفت أنه الطبيب.. شخص مرهق، مبعثر الثياب والشعر، وتحت عينيه سواد زاد من وضوحه الشحوب العام الذى اعترى وجه الطبيب..

ثم أين اختفى مع مريضه بالأمس؟

جلس أمامها وقال بصوت مرتجف قليلًا:

- سأطلب منك طلبًا سهلًا.. ولكن أريده على قدر كبير من الدقة.. أريد منك جمع عدد من الحكايات والخبرات الواقعية لأناس تثقين بهم، وتسجلين لى صوتهم وهم يحكون..

دون أن ينتبهوا..

افتحى زر التسجيل فى الهاتف واتركيه يعمل دون أن ينتبه أحد..

أريد تجارب شخصية خاضها هؤلاء مع الجن والعفاريت..

وأريد عددًا لا يقل عن عشرة بأى حال..



سأعطيكِ يومين تتمين فيهما جمع البيانات المطلوبة.. اتفقنا؟

كانت المسكينة تشعر بالذعر..

منذ قدوم ذلك الغريب، وهي لم تطمئن لحظة..

ثم يأتي الطبيب ليطلب منها هذا الطلب..

هذا الطلب بالذات..

أومأت برأسها إيجابًا، دون أن تنبس ببنت شفة..

ثم خطر خاطر على بال الطبيب..

قرر أن يحكي لها حلمه.. فلو ظهر شيئًا عليها مما ادعاه المريض خلال اليومين القادمين لكان دليلًا قويًا على صدقه..

وبالفعل..

حكى بطريقة سريعة وودية عن حلمه.. بينما الممرضة تسمع ولا تعقب.. تسمع , وفي قرارة نفسها تؤكد أنه آخر شهر لها..

إنها لا تستطيع العمل مع الجن والعفاريت.. يكفيها جدًا المجانين.. فلتقبض راتبها، وتهرب من كل هذا الفزع..

أخيرًا سمح لها بالانصراف، فانصرفت مرتبكة..

لحسن حظها أن ضوء النهار ينتشر في المكان؛ مما بعث الطمأنينة في نفسها قليلًا..

أما الطبيب فقد استعد ليذهب لزوجته.. وخطر خاطر في رأسه.. كيف استطاع النوم بينما قال لها سآتي فورًا؟..

نفض السؤال من رأسه واستعد للذهاب إليها..

■ ■ ■



عندما وصل لزوجته هاله ما رأى.. مستحيل حالة الانهيار هذه تكون نتيجة حلم.. هذه حالة انهيار عصبى نتيجة تعرض لضغط عنيف..

كانت جالسة على السرير وسط أهلها متدثرة بغطاء، وتمسك بين يديها شيئًا ما تشربه، وترتجف بلا انقطاع..

وعلى الرغم من الحالة التى هى فيها أحس بالغيرة..

أحس بأنه يحسدها..

للمرة الأولى منذ وفاة والدته كان يشعر بالوحشة..

بالألم..

يحتاج بشدة للجلوس وسط البشر..

الدفء البشرى..

بكل المشاعر التى تفيض بداخله احتضنها وبكى..

ثم أخذ ينشج بالبكاء، وجسده يرتجف داخل جسدها الضئيل..

كان يشعر بتجمع الهموم والمخاوف عليه مسددة ضربة قاصمة لقلبه..

وعندما فتح عينيه المغرورقتين بالدموع لم يكن يدرى من الذى يواسى من..

وكانت الغرفة خالية..

انسحب من كانوا فيها تاركين الزوجين وحدهما..

العجيب أن زوجته احتضنته، وأخذت تربت عليه وتهدئه..

تلاشى انهيارها تمامًا أمام انهيار زوجها..

أما هو فقد كان يشعر بالخوف يكتنفه ويضغط على قلبه..

يخاف أن يفقدها..



لم يهتم بأحد فى حياته قط إلا بها..

ولا يريد من الدنيا أحدًا إلا هى..

استكان فى صدر زوجته فترة طويلة دون كلام ..

أفاقا على صوت طرقات تدعوهما لتناول الطعام..

قاما واغتسلا، ثم جلسا وسط أهل زوجته..

كان يشعر بالقليل من الخجل وهو جالس وسطهم..

أخجلوه بكرمهم وعطفهم..

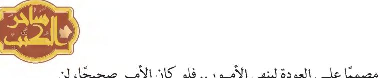
كان أهل الزوجة يرون مليًّا أن هناك شيئًا ما خطأ.. لكن لم يحاول أحد منهم فتح الموضوع قط.. كانوا يخشونه قليلًا باعتباره طبيبًا نفسيًّا.. فلا بد أنه مجنون بشكل أو بآخر.. فتركوه تمامًا وشأنه، بل وحاولوا إسعاده قدر الإمكان..

مكث يومين عند أهل زوجته.. شعر بالسعادة عندهم كما لم يشعر من قبل.. نسى كل شيء عن الظلام الذى عاش فيه خلال الفترة السابقة.. كان يشعر بهدوء نفسى عجيب.. ولاحظ أن القنوات الدينية نادرًا ما تغلق فى هذا المنزل..

الواقع أن بينه وبين نفسه اضطربت عقيدته الإلحادية قليلًا.. كل ما يحدث ينافى وبشدة إلحاده.. كان بطبعه شكاكًا يشك فى كل شيء.. لكنها المرة الأولى التى يشك فيها فى إلحاده..

انقضى اليومان سريعًا جدًّا، وحان وقت العودة لعيادته.. طلب من زوجته أن تمكث عند أهلها بضعة أيام أخرى ريثما ينتهى من بعض الأعمال.. وافقته بسهولة.. فلم تكن تتمنى المكوث وحدها فى شقتها الواسعة..

كان يشعر بالكآبة، وهو مضطر لترك كل هذا الهدوء النفسى، والعودة لعمله المقبض..



لكنـه كان مصممًا علـى العودة لينهى الأمـور.. فلو كان الأمـر صحيحًا، لن تتركه الشياطين وشأنه أبدًا..

ولن يستطيع الهرب فى أى بقعة من بقاع الأرض..

وعلـى الرغم مـن ذلك فعند عودته إلى العيادة كان يشـعر أنه غسـل قلبه من مخاوفـه وأحزانـه وضعفـه، وأصبـح قـادرًا علـى مواجهـة أى شىء يقف فى طريقه..

■ ■ ■

جلست الممرضة الحسناء فى بيتها تفكر..

هذا الطبيب أصابه شىء ما حتمًا..

ربما مس شيطانى أو ما هو أسوأ..

منذ ظهور هذا المريض الغريب والأمور لم تعد كما كانت قط..

أحست وكأن هناك شؤمًا أصاب العيادة..

وكأن جو العيادة نفسه أصبح مشئوما..

ولم تعـد تطيق الذهاب للعمل لولا الراتب الضخـم الذى يعطيها إياه الطبيب مقابل لا شىء تقريبًا..

الزائرون لعيادة الطبيب النفسى قليلون جدًّا..

ويدفعون كثيرًا جدًّا..

وعملهـا ينحـصر فـى كتابة بعـض البيانات علـى الكمبيوتـر، وطباعة بعض الأوراق.. وفـى مقابل هـذا تحصل على مبلغ لا بأس به أبـدًا.. غير ما يجود به بعض المرضى أو ذويهم..



لكن..

طلب الطبيب هذه المرة مخيف للغاية..

كانت طوال حياتها تخشى هذه الأمور، وتتجنبها قدر المستطاع..

لا تحب الحديث عنها ولا القراءة فيها أو مشاهدة أفلامها..

(اللي يخاف من العفريت يطلعله).. مثل كانت تؤمن به بقوة.. لذلك ابتعدت تمامًا عن هذا العالم.. والآن يأتى الطبيب ليطلب منها هذا الطلب المخيف..

حسنًا..

المقابل المادى مغرى حقًا..

هى لا تدرى كم تحديدًا لكنه قال الضعف..

ضعف المرتب أم ضعف الأيام مقابل تسجيل بعض الحكايات..

لا بأس..

هو آخر شهر معه على أية حال، ولا ضير من هذه الخدمات الأخيرة..

كانت خطتها كالتالى..

ستحكى لأسرتها الطلب الغريب، وستقوم بتسجيل أحاديثهم..

تعرف أن هذه عدم أمانة، لكنها تثق كذلك فى عائلتها.. ليس الكذب عادة لأحد منهم.. أما فى الغد، فقد رتبت للقاء بعض صديقاتها للحديث عن هذا الأمر أيضًا..

تدعوهم لعشاء خفيف، ثم تحصل منهن على مبتغاها..

نهضت من مكانها لتبدأ الجلسة الثقيلة على قلبها إلى حيث تتجمع الأسرة بالخارج..

كان الكل جالسين أمام التلفاز يتسامرون بانتظارها.. أبوها وأمها وأخواها.. كلاهما أصغر منها، ويعملان معًا فى مجال الحواسيب.. وغير متزوجين.. ولم يفقدوا ترابطهم الأسرى بعد..

كأن الأسرة اجتمعت لليلة مرعبة جميلة..

أكواب الشاى..

بعض اللب والسودانى..

أطفأوا التلفاز، وبدأ كل منهم فى حكاية ما عنده..

□□□





تحذير..

لا أدرى.. أفات أوان التحذير أم لا ؟!..
هل تشعر بتلك الحركة بالخارج؟
ربما مواء قط يبدو كامرأة تنوح..
هل تحلم بكوابيس؟
هل تستشعر تلك القشعريرة الغريبة التى تجعلك تنتفض؟
هل تشعر بها ؟
للأسف.. لقد حذرتك مرارًا..
هذه المرة بالذات تعتبر تفريغ لتسجيلات صوتية حكى أصحابها ما
حدث لهم من أحداث غريبة..
فقط أتمنى ألا يحدث لك ما حدث لهؤلاء..
أعرف أن الشياطين والجان ينجذبون لمن ينجذب لهم..
يحبون من يهتم بهم..
ويأتون حين يتم ذكرهم..
وربما لا يرحلون أبدًا..
حسنًا.. ربما كان من الأفضل أن تقتنع أن هذه الأحداث خيالية،
وحينها سيسهل عليك تفسير ما يحدث لك لاحقًا .





حكاية الأب

قـال الأب بصوت قوى النبرات مهتز قليلًا بفعل السـن، وهو يريح ظهره على ذلك الكرسى الوثير، ويسند عصاه المفضلة جواره:

أتعلمين.. قديمًا حدث شيء غريب فى العمارة المقابلة لنا..

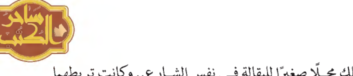
فى هذه الشقة المهجورة بالتحديد.. نعم، الشقة المقابلة لنا.. فقد شهدت الشقة أحداثًا متوالية، وكلها لا تكاد تصدق..

قديمًـا كان يعيش فى هذه الشـقة حلاق على قدر كبـير من الأخلاق الفاضلة والتدين.. وسمعته طيبة جدًّا بين الناس..

وكان متزوجًـا من اثنتين.. إحداهمـا قاهرية، ولكنه منفصـل عنها بلا طلاق منـذ أعوام عديـدة، والأخرى فتاة قرويـة طيبة حامل فى شـهرها الثامن أو التاسع..

وفـى نفـس الطابق كان يعيـش زوجان حديثى الـزواج.. الفتـاة كانت تبلغ من العمر تسـعة عـشر عامًا فقط، وكانت أيضًا حاملًا فى الشـهر الخامس أو السادس وقت وقوع هذه القصة..

ما حدث هو أن هذا الحلاق المهذب اشـترك فى جمعية مع زوج جارتهم هذه..



والـذى كان يمتلك محـلًا صغيرًا للبقالة فـى نفس الشـارع.. وكانت تربطهما صداقة خفيفة من التى تربط أصحاب المحال التجارية والجيران..

ثم حدثت مشكلة كبرى للحلاق..

ربحت زوجته الأولى إحدى القضايا المرفوعة عليه..

كانت قضية تبديد..

بجانب قضية نفقة كانت ربحتها أيضًا منذ وقت قريب..

وهو الآن مهدد بالدخول إلى السجن ما لم يدفع مبالغ طائلة لا يدرى من أين يحصل عليها..

كانت زوجته الأولى شـخصية جشـعة جدًّا، وكانت دائمًا ما تستفزه للحصول علـى مزيد مـن المال أثناء فـترة زواجهما، وبعد انفصاله عنهـا، خاصة بعدما علمت بزواجه الثانى..

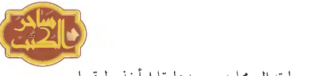
وكأنها كانت تنتقم منه بالنقود.. تستنزفه بالمال..

أمـا جارته الشـابة، فقد كانت على قدر من الـثراء، مع كل هذا الذهب الذى ترتديه فى أصابعها وحول معصميها طوال الوقت..

حسنًا.. لا يدرى أحد ما الذى دفعه لفعل ما فعل لاحقًا..

طلـب من زوجته القروية أن تذهـب لبلدتها عدة أيام، ريثما ينتهى من بعض الأمور هنا.. كان طلبه غريبًا , ولكنها أطاعته بلا مناقشة، خاصة عندما برر لها أن لو فاجأتها آلام الوضع سيكون بجوارها أخواتها وأمها ليعتنين بها..

أوصلها فى الصباح إلى حيث يمكنها الركوب، ثم عاد لشقته الخالية بعدما تركها ترحل وحيدة..



مكث في انتظر نزول زوج جارته إلى محله.. وبعدها بقليل أخذ يطرق باب جارته في هيستيرية..

عندما فتحت الباب قال لها في انفعال إن زوجته فاجأتها آلام المخاض.. وطلب منها أن ترعاها قليلًا في الوقت الذي سيحضر فيه الطبيب من أول الشارع؛ لأنه لا يعرف طريق المنزل، وربما كانت زوجته تلد فعلًا..

المسكينة صدقت خدعته، وأسرعت وارتدت شيئًا خفيفًا كيفما اتفق، وهرولت إلى شقته وهو وراءها..

وبمجرد دخولها من الباب هوى بشيء ثقيل على رأسها..

سقطت فاقدة للوعي..

كان يعتمد على أن يفقدها الوعي ويأخذ الذهب، ثم يعيدها إلى منزلها، ويغلق الأبواب، ويسافر سريعًا لزوجته..

خطة ساذجة..

لكنه وجد الدماء تتفجر من رأسها لتغرق الأرضية..

شعر بالهلع..

ظن أنه قتلها..

جرها من قدميها نحو الحمام، تاركًا أثرًا دمويًّا عريضًا على سيراميك الشقة ليرى كيف سيتصرف..

جلس على طرف حوض الاستحمام يلهث ويرمق الجثة..

ويفكر..

هو قتلها وانتهى الأمر..



لا بد من التخلص من الجثة..

حملها ووضعها فى حوض الاستحمام، ثم أحضر كل السكاكين الضخمة الموجودة فى المنزل..

وبدأ بيدين مرتجفتين فى تقطيعها..

بدأ بيديها ليستخرج الحلى.. وبينما هو منهمك حدثت مفاجأه شديدة القسوة عليهما معًا..

المسكينة لم تمت..

أفاقت فجأة على الألم الشنيع لشخص تقطع يده بالسكين..

فتحت عينيها، وصرخت صرخة ضعيفة أشبه بالأنين..

ومع أنينها أمسك سكينًا صغيرًا وذبحها بلا رحمة..

امتدت يدها لتمسك بطنها.. وسالت دمعة من عينيها لتمزق روحه بلا شفقة كما يمزق جسدها..

وانهار فى البكاء والنحيب..

كان جسده كله ينشج ويهتز..

ثم نهض وأكمل ما يفعله.. ما حدث قد حدث..

هكذا كان يقول لنفسه..

ما حدث قد حدث..

ما حدث قد حدث..

فتح الماء البارد ليأخذ الدماء معه إلى البالوعة، ثم انهمك من جديد فى التقطيع..

قطعها قطع صغيرة.. قطع لحم صغيرة لا يمكن اكتشاف هويتها..



من شدة ذعره فصل اللحم عن العظام في اليدين والساقين..

كان يريد إخفاء المعالم تمامًا.. حتى لو رآها أحد فسيظن أنه لحم مقطع فحسب..

استغرق منه هذا العمل عدة ساعات، وفي النهاية ملأ ثلاجته باللحم، ووضع جزءًا كبيرًا في فريزر منفصل كان يملكه، ثم وزع العظام فوق الدولاب ووراء باب المطبخ.. وباب الحمام..

ولأنه كان أخرق فقد هوى أكثر من مرة بالساطور على بلاط الحمام فكسر بعضه..

ما لم يجرؤ على التعامل معه قط هو الرأس..

ظلت الرأس كما هي سليمة..

ووضعها كما هي في الفريزر..

انتهى منها، ثم غسل كل الآثار بدقة متناهية.. من حجرة الاستقبال إلى الحمام..

بالطبع عاد زوج الفتاة ليلًا فلم يجدها..

قال لنفسه لا بد أنها تشتري شيئًا وستعود

طال انتظاره ولم تعد..

اتصل بأهلها يسألهم عنها، ولكنهم لا يعرفون عنها شيئًا..

قضى المسكين ليلة سوداء في البحث عنها في كل مكان ممكن..

حتى جرب الاتصال بصديقاتها..

لا شيء..



اختفت..

وفي اليوم التالى جاء بعض أهل الفتاة ليستقصوا عنها..

ثم أبلغوا الشرطة أخيرًا..

كان هذا الحلاق يشاهدهم وهم منهارون يبحثون عنها فى كل مكان، فيقف بجوارهم و يساعدهم..

بل فى ذات مرة طبخ لهم لحمًا وأعطاه لهم؛ لأنهم ليسوا فى حالة تسمح بصنع الطعام.. هل خمنتم من أين جاء اللحم؟

كان يقابلهم على السلم فيسألهم بلهفة عن آخر الأخبار..

لا شيء؟!

فيتصنع الأسف، و يدعو الله مخلصًا أن يعيدها إليهم سالمة.. ثم يدخل إلى شقته متحسرًا..

كان يتخلص مما عنده من اللحم تدريجيًا.. كل يوم يأخذ جزءًا صغيرًا فى كيس أسود و يلقيه بعيدًا..

كان مكانه المفضل كوم قمامة على أول الشارع به عدد كبير من الكلاب..

كان يلقى الأكياس فتنهى عليها الكلاب فى وقت قياسى..

كان يواظب على التخلص من كل شيء عدا الرأس..

كان يخشاه..

فقرر أن يلقى بهذا الرأس فى النيل..

حيث لا يمكن لأحد أن يجده..

وضعه فى حقيبة بلاستيكية بعد أن وضع معه عدة أحجار ليثقله، واستعد ليتخلص منه..



وبينما كان سـائرًا فى الشـارع فوجئ بأحد الكلاب يقترب منـه وهو يزوم..
نهره بشدة..

لكن الكلب كان مصممًا بشدة..

ظل ينهره حتى ذهب الكلب بعيدًا..

أثار هذا الموقف شك المرأة التى تبيع الخبز على أول الشارع.. شيء ما فى قلبها أنبأها أن هجوم الكلب عليه يحوى سرًّا..

ثم إنه كل يوم ينزل بحقائب ويعود خاليًا..

هناك سر..

فأخبرت أحد أقارب الفتاة بشـكوكها.. قرر هذا القريـب أنه لا بد من تفتيش شقة الحلاق..

أحضر أحد معارفه من الشرطة ومعه بعض الجنود، وطلبا تفتيش الشقة..

تصرف الحلاق بغرابة شديدة.. كان شديد التوتر ورفض رفضًا قاطعًا دخولهما الشقة عنده..

اقتحما عليه الشقة عنوة وبدآ البحث..

ومع صوت الرجلين الذى تعالى أقبل بعض أقارب الفتاة من الشقة المقابلة..

ومـع إصراره على عدم التفتيش قاموا بالتفتيش.. ولم يصدق الرجال أغلبية ما رأته أعينهم..

بدا المشهد وكأنه من فيلم رعب أجنبى..

قطع لحم بشرى متناثرة فى الثلاجة والفريزر..

بضعة أصابع..



جلد مكور على بعضه..

عظام خلف الأبواب وفوق الثلاجة..

أصاب الجميع حالة وقتية من الذهول.. وكان الضابط حكيمًا فنزل به مقبوضًا عليه بسرعة قبل أن يفتك به أهل الفتاة..

وطبعًا تم الحكم عليه فيما بعد بالإعدام شنقًا..

و إلى هنا فالقصة قصة قاتل عادية تمامًا، ولا شيء فيها..

المثير في الموضوع هو ما حدث لاحقًا في هذه الشقة..

صاحب البرج استرد الشقة، فقد كانت مؤجرة على كل حال.. ثم قام بتجديد الحمام، ثم عرض الشقة مرة أخرى للبيع أو الإيجار..

ظلت فترة طويلة طبعًا لا يقربها أحد، ثم استأجرها شاب وزوجته من خارج المنطقة، ولا يعرفان شيئًا عن هذا الموضوع..

رأيت الشاب بصحبة العمال وهم يحملون الأثاث إلى الشقة، ثم بعدها بثلاثة أيام رأينا العمال يهبطون بالأثاث من الشقة..

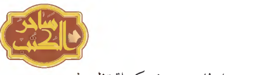
دون أي تفسير من أحد الزوجين، ودون أن يتحدث أحد منهما مع أحد..

وظلت الشقة خالية فترة إلى أن جاءت ابنة صاحب البرج نفسه من الخارج لتقيم في هذه الشقة..

كان معها أولادها الثلاثة..

وكانت مدة إقامتهم في مصر أسبوعًا واحدًا، فرأى أن تمكث في الشقة هذا الأسبوع..

ولم يحدث لهذه الفتاة إلا النزر اليسير من الأحداث..



فقـط حكت لأمكم ذات مرة عن قطة سـوداء ذات عيـون مكحلة تظهر فى الشقة..

لا تدرى من أين دخلت؟..

قطة غريبة لا تموء أبدًا..

وكلما أخرجتها على السلم تخرج بهدوء، وتجلس أمام الباب فى صمت..

ثم تجدها من جديد خارجة من باب الحمام لاحقًا

فتتعجب.. من أين دخلت؟

لا بـد أنه أحـد الأطفال.. فتصيح بهم حانقة، وهم يقسـمون أنهـم لا يعرفون شيئًا..

على كل حال لم تدم إقامتها أكثر من أسـبوع.. لم يحدث فيه أكثر من ظهور القطة السوداء وبعض الكوابيس..

وذات مـرة كنـت تلهين يا بنتى مـع أخويك قرب هذه النافـذة التى تطل على شقة الحلاق.. فإذا بى أجدك قادمة نحوى ترتجفين.. وعندما سألتك ماذا هناك أخبرتنى أن جارتكم الحلوة طلبت منك أن تأتى إليها لتعطيكِ الحلوى..

وعندمـا قلـتِ لها إن أمك سـترفض، تجهمت فجـأة، وأخذت تحـدق فيك، ثم اختفت.. أنت تذكرين تلك الواقعة.. أليس كذلك؟

وفـى مرة أخرى كنت أجلس فى الشرفة وحدى ليـلًا، فإذا بى أرى قطًّا كبيرًا أبيض اللون على حافة شرفة شقة الحلاق..

كان يموء بطريقة غريبة، كان يتحكك بعصبية بالغة بالسور الخارجى.. كان شعره منتفشًا بطريقة غريبة، وعيناه لا تنفكان تحدق فى الأسفل، حتى ظننت عدة مرات أنه سوف يهم بالقفز من الأعلى..



كان يبدو عليه الرعب..

لم يكن فى يدى شىء لأفعله، والشقة مغلقة على كل حال.. وحتى لو مفتوحة فأنا لن أذهب لهناك أبدًا.. وتساءلت كيف وصل هذا القط إلى هناك على كل حال؟

ومن قلب ظلام الشقة انفتح باب الشرفة وخرج ظل رجل..

نعم..

رجل كأنه ظل بالضبط..

بلا أى ملامح..

وعلى الرغم من وجود إضاءة خافتة فى الشارع تسمح برؤية الملامح الخارجية لأى إنسان، فإنه كان عبارة عن كتلة سوداء على شكل إنسان..

خرج هذا الشبح من باب الشرفة، وحمل القط الذى تجمد تمامًا، ثم عاد بصمت إلى الداخل..

أخذت أتأمل الشرفة المظلمة..

يبدو أن الشقة جاءها ساكن جديد، لكن الشقة مظلمة تمامًا.. فأى ساكن هذا الذى يعيش فى الظلام؟

فى اليوم التالى عندما كنت أركب سيارتى لأذهب لعملى، رأيت بواب العمارة المقابلة.. فسألته من باب الفضول هل سكنت الشقة؟

قال لى إنى عاشر شخص يسأله.. اشتكى سكان العمارة من ضوضاء صادرة من هذه الشقة ليلة أمس.. وأخذ يقسم لى أنه أقسم لكل الناس أن الشقة ليس فيها أحد..

آخر مرة رأيت فيها شيئًا غريبًا فى هذه الشقة كانت منذ عدة سنوات..



رأيت رجلًا كبيرًا وزوجته ينتقلان لهذه الشقة..

كانا كهلين يسكنان قريبًا من هنا، و يبدو أن هناك أعمال إصلاح فى عمارتهما القديمة، فأرادا شقة قريبة رخيصة يؤجرانها فترة لحين الانتهاء مما يحدث فى عمارتهم..

ولعدة أيام لم أسمع عنهما شيئًا.. الأمور هادئة على ما يبدو..

فى هذه الليلة كنت ساهرًا أمام التلفاز مع أمك.. وسمعنا صراخًا رهيبًا ملأ الشارع..

جريت على الشرفة لأرى ماذا حدث، فإذا بالمرأة الخمسينية الفاضلة تصرخ فى شقة الحلاق..

دون تفكير جريت على السلم لأرى ماذا هنا..

ظننت أن زوجها أصابه شيء أو مات..

وبمجرد نزولى الشارع وجدتها فى الشارع هى الأخرى، ولست أدرى كيف.. نزلت المرأة بسرعة شديدة، وكأن شيطانًا يطاردها..

ربما كان هذا صحيحًا..

عندما هدأناها قليلًا لنفهم ما حدث، قالت من وسط نهنهاتها ودموعها: إنها قامت ليلًا لتدخل الحمام..

بعد الانتهاء وقفت لتغسل يديها فى حوض الحمام أمام المرآة.. ولمحت ظلًّا فى المرآة.. رفعت عينيها لتجد منظرًا هز كيانها..

رأت فتاة عارية تمامًا واقفة فى قلب حوض الاستحمام تحدق فيها من ظهرها..



لم تستطع النطق.. عينا الفتاة تظهران فى المرآة.. دمويتان حانقتان..

مرت ثوان، ثم سقط رأس الفتاة من على كتفيها ببطء.. ثم سقط جسد الفتاة مقطعًا إربًا على الأرض..

عنـما التفتت وراءها أخيرًا لم تجد شـيئًا.. صرخت والتفـت لتخرج من باب الحمام لتجد الفتاة تصرخ فى وجهها..

فأطلقت صرختها العالية التى سمعناها جميعًا..

بعض الشجعان قرروا الصعود للشقة ليروا ماذا هناك..

بالطبع عندما صعد من صعد ليستقصوا الأمر, لم يجدوا شيئًا..

وبالطبـع بمجـرد عودة الـزوج من المكان الـذى كان فيه، اتصـل بشركة نقل جاءت صباحًا، ونقلت كل متاعهما إلى بيتهما القديم..

ولم يعش أحد بعد ذلك فى هذه الشقة..

وإن كنا كثيرًا ما نسمع منها أصواتًا تشبه الأنين..

وأحيانًا صراخًا أو طرقات عنيفة..

ما رأيك يا بنيتى فى هذه القصة؟

■ ■ ■

جاء صوت الممرضة وهى تقول لأبيها فى صوت مبحوح:

- قصة مفزعة..

أصبت بالقشعريرة عدة مرات وأنا أسمعها..

فى الواقع هى قصة مخيفة وبشعة فى نفس الوقت.. يا للهول..

سادت بعض الأحاديث الجانبية وسط العائلة، وارتفع صوت الأم قائلة:

- هيا بنا نحتسى بعض الشاى, ثم ننتقل لقصة أخرى..

أجاب الأخ الأوسط:

- أعتقد أن لدى قصة من هذا الطراز.. سأحكيها لكم..

❐❐❐





حكاية الابن الأوسط

كان لى صديق أحبه كثيرًا.. وهو رجل محترم حقًّا، لم أجرب عليه كذبًا قط.. من النوع الملتزم فى كل شىء..

كنا جالسين يومًا ما نتحادث على أحد المقاهى ليلًا، فحكى لنا هذه القصة عن أخيه، والتى عاش أحداثها بنفسه معه..

كان أخوه فى السابعة عشر من عمره وقت وقوع هذه الأحداث.. شاب وسيم يستهويه كل ما يستهوى الشباب، و يفعل ما كل يفعلونه..

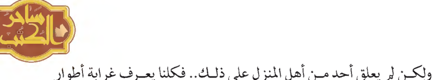
حلاقة شعر عجيبة.. قلادة فضية.. جينز ممزق..

يحكى صديقى عنه فيقول:

وفى وقت ما أحب أخى القراءة فى العوالم الغامضة.. السحر والجن وما إلى ذلك.. كان الموضوع فضولًا فى البداية، ثم تطور إلى حب التجربة فيما بعد..

بدأ يغيب عن المنزل كثيرًا بحجة المذاكرة مع أصدقائه، وفى مرة وجدت أمى عنده كتابًا صغيرًا مهترئًا أصفر اللون..

كتاب سحر..



ولكــن لم يعلق أحد مــن أهل المنزل على ذلـك.. فكلنا يعــرف غرابة أطوار الشباب.. فقط أخذته ووضعته على مكتبه، وهى تدعو له بالهداية..

ثم تطور الأمر تدريجيًّا..

مثـلًا سـمعنا صوته يتحـدث مع مجموعة مـن الأشـخاص فى حجرته.. صوت واضح لا شـك فيه، وإن كنا لا نفهم ما الذى يقال.. كنت وقتها جالسًا مع أبى فى الخـارج، فنظرنا لبعضنا فى تعجب، خاصة وأن الأصوات لا تشـبه أصوات الهاتف من قريب أو بعيد..

نهضنا بهدوء وتوجهنا صوب حجرته، ثم فتحنا عليه الباب فجأة..

كان جالسًا وحده يقرأ فى كتابه الصغير..

وحده تمامًا..

يومها نظر لنا نظرة لا أنساها أبدًا..

هذا ليس أخى الصغير..

نظرة عينيه مخيفة جدًّا..

ودون أن نشعر أغلقنا الباب عليه فى صمت..

ثم بدأت الأحداث الغريبة..

صوت ضحك نسائى ماجن من غرفته، ونحن متأكدون أنه وحده..

كثيرًا ما كان صوته يتغير ونحن نتحدث معه..

وكأنما فتاة هى التى تتكلم بميوعة وتهكم..

وعيناه.. ليست عينين طبيعتين أبدًا..

نظرته أصبحت مخيفة جدًّا..



تحت عينيه هالات سوداء كثيفة، وبريق عينيه حتى فى الظلام..

نظرته الثابتة المخيفة..

ومرة كان والدنا يشاهد برنامجًا يعرض فاكهة غريبة فاشتهاها، وتساءل عن طعمها..

كان الأخ الأصغر وقتها فى حجرته.. بعدها بقليل فوجئنا به يخرج ومعه هذه الفاكهة بعددنا.. واحدة لكل فرد..

لم يمسها أحدنا إلا عندما أمرنا أن نأكلها، ونقول له رأينا فى طعمها.. لم يجرؤ أحد على مناقشته.. خاصة وأنه لم يكن يتحدث بصوته المألوف فى هذه اللحظات..

وعيناه..

ولا أنسى يوم أن كنت أريده فى موضوع ما.. كنت خائفًا عليه، وأريد أن يذهب معى للطبيب لكى نكشف عليه..

كنت جالسًا فى الصالة بانتظار خروجه من الحمام، ورأيته يدخل لغرفته سريعًا، ويغلق الباب وراءه بعنف.. نهضت من مكانى بسرعة.. أى أنى قمت وراءه مباشرة وطرقت الباب.. فلم يجبنى !!

طرقت مرة أخرى، ولم يجبنى مرة أخرى..

فتحت الباب ببطء.. لا أحد فى الغرفة !!

الغرفة صغيرة أصلًا، وليس فيها مكان للاختفاء !!

خرجت وأغلقت الباب ورائى فى حيرة..

أين ذهب؟



شعرت بالخوف يعتصر قلبي.. هناك شيء غير طبيعي يحدث.. قلبي يحدثني بذلك منذ فترة.. لا أريد أن أصدق..

لا أريد..

لم تمض لحظات وأنا واقف خارج حجرته، حتى سمعت صوته يبكي في حجرته..

انتفضت في مكاني في رعب وفزع.. ما هذا البكاء؟!

أنين يمزق القلب..

دخلت لحجرته مرة أخرى دون استئذان، فوجدته راقدًا على فراشه يغط في نوم عميق، ويبكي أثناء نومه..

اقتربت منه بخطى مرتجفة، وفجأة اعتدل وحدق نحوي مباشرة..

عيناه..

رباه..

رباه..

يا إلهي الرحيم..

فتح فمه وصرخ صرخة كأنما ألف امرأة تصرخ في نفس اللحظة..

جريت خارج الحجرة والمنزل كله، ووقفت بالخارج ألهث وأرتجف..

هذا مس شيطاني.. ليس هذا طبيعيًا أبدًا..

ولم تنس أمي قط يوم أن دخلت حجرته بعدما خرج أمام عينيها من باب الشقة كي تنظفها وترتبها كما اعتادت دومًا، ففوجئت به جالسًا في وسط الحجرة، وعيناه متسعتان على آخرهما تحدقان في الفراغ، وأسنانه تضغط بشدة على شفتيه، ويسيل منهما الدم..



بينما عدة أشياء لا تدرى ما كنهها تطير فى الهواء، وتلف حوله ببطء..

مع دخولها نظر إليها ببطء..

عيناه.. إنهما..

ثم انطلقت الصرخة المدوية لترج البناية كلها، ثم سقطت مغشيًا عليها، دون كلمة أخرى..

عندما أفاقت على فراشها كنا حولها جميعًا.. عدا أخى الصغير..

أخذنا نحاول أن نقنعها أنه حلم سيئ.. كابوس..

وكانت تعلم أننا كاذبون، وكنا نعلم أنها لا تصدقنا..

وفى إحدى المرات جاء أخى الصغير هذا إلى منزلى ليقضى معى يومين.. كنت أكره ذلك، وأخاف منه , لكن لا مفر..

أخاف أن أعترض..

وجاء لمنزلى.. وبينما نحن جلوس فى الصالون معًا بدأ يتحول..

كان تركيزه على حجرة السفرة.. وفجأة سألنى:

- هل تحب أن تنقل السفرة مكان حجرة الجلوس.. الآن؟

أصابنى الذعر من طريقته ومن صوته..

كان صوت فتاة..

لا شك فى ذلك.. هذا ليس صوت أخى أبدًا..

هذا صوت فتاة قوية.. ربما متسلطة أيضًا..

فتاة تتدلل.. فتاة تريد المرح..

قلت له:

- لا من فضلك.. أبوس يديك اترك كل شىء على حاله..



فانفجر - أو انفجرت - فى الضحك بطريقة هستيرية.. ثم نظر نحوى بهاتين العينين..

لحسن الحظ لم تدم زيارته طويلًا..

ولا ننسى ذلك اليوم الذى اتفقنا فيه دون علمه على أن نذهب به لمعالج قرآنى..

عندما دخلنا عليه ثار وهاج هيجانًا شديدًا.. كان غضبه عنيفًا مخيفًا..

ثم بدأت قطع الأثاث الصغيرة تتطاير فى الهواء، وترتطم ببعضها البعض..

نظرنا نحوه فى جزع.. وليتنا لم ننظر..

وجه أسود مخيف يظهر من خلف وجه أخى.. وجه يرمقنا فى كراهية وغل..

وجه ينظر إلينا فى مقت وثبات.. ثم بدأ الصراخ..

هنا هرب كل من كان بالمنزل إلى خارجه.. لا يعلم أحد ما هذا الذى يواجهه بالضبط..

بعد قليل ونحن واقفون فى الخارج، خرج أخى وراءنا من المنزل..

كان يبكى..

وكان يتوسل لنا ألا نتركه..

ولأول مرة بدأ أخى الصغير يحكى بالضبط عما يمر به..

أخبرنا كم هو متعب من كل هذا الذى يمر به!..

الذى حدث هو أنه بسذاجة قرر أن يحضر روح جنية أو شيطانة، ويتزوجها، ثم تفعل له كل ما يريد..

كان الذى يسيطر على عقله حكاية مشهورة عندنا فى القرية عن رجل تزوج جنية، وأنها كانت تطعمه وتسقيه مما يشتهى، وفى كل يوم تتشكل له بصورة رائعة الجمال تختلف عن اليوم السابق، وأنه له منها أربعون ولدًا..



ومـن قراءاته وجـد أن الأمر ممكن.. حـاول أن يفعل الطقـوس الموجودة فى الكتاب الذى معه..

لكن لم يحدث شيء..

أحس بخيبة أمل، خاصة وأن الطقوس لم تكن سهلة..

وعندما نام يومها ليلًا، استيقظ ليجد نفسه وسط المقابر..

أحس بالرعب.. وأخذ يتجول هنا وهناك بحثًا عن مخرج، حتى وصل لأطراف المقابـر..وكان الفجر على وشـك البـزوغ فى الأفق..ثم وجد أنه لن يسـتطيع العودة لمنزله إلا مشيًا؛ لأن مقابر قريتنا فى منطقة معزولة تقريبًا..

ووصل للمنزل صباحًا مرهقًا متعبًا..

والغريب أنه دخل المنزل ولم يشعر أحد به..

وتوالت المفاجآت..

مرة اسـتيقظ من نومه فوجد نفسـه وسـط صحراء مظلمة لا يـكاد يرى فيها كفه..

ومرة ثالثة على شاطئ بحر مظلم..

كانت الأماكن بعيدة أحيانًا، فكان يتعب أيما تعب فى العودة إلى منزله..

وأحيانًا يختفى ويعود، ولا يذكر عن ذلك شيئًا إلا عندما يسأله أحد أهل المنزل أين كان طوال اليومين السابقين مثلًا..

الغريـب أن كل ما كان يتمناه كان يحصل عليه.. مثل موضوع الفاكهة هذا.. يبـدو أن مـن عليه لا يريد له ضررًا.. إنما يريد شـيئًا آخـر لا يعلمه إلا الله..

وربما كان الموضوع كله مجرد عبث شيطانى لا أكثر..



المهم.. أحضرنا له شـيخًا إلى المنزل.. وكنا لم نحك للشيخ أى شيء.. قلنا له إن عندنا شخصًا ملبوسًا، وهو لم يرد..

نهض وجاء معنا..

كان شخصًا مشهورًا عندنا بأنه من الأتقياء الصالحين..

كان يعمل فى العلاج بالقرآن، وكان لا يتقاضى أجرًا من أحد..

وعندما رآه الشـيخ رأيت عينى الشيخ تتسـعان، ثم أخذ يتمتم بصوت مسموع أن لا حول ولا قوة إلا بالله..

ثم وجه حديثه لأخى:

- أيهـا الفتى.. أنا أعرف ما حل بك.. وأسـتطيع معالجتك إن شـاء الله تعالى.. ولكن.. لن تعود حياتك كما كانت يا بنى.. كل شيء سيتغير..

لن تفوت ركعة لله فى المسـجد.. وسـتعمل أيضًا فى العلاج بالقرآن.. ما ردك يا بنى؟

لم يرد الفتى.. فقط أومأ برأسه إيجابًا فى شحوب.. كان يبدو عليه أنه يصارع شيئًا ما فى نفسه.. كان يرتجف..

دخلا معًا حجرة مغلقة.. وطلب منا الشيخ الطيب ترك المنزل كله.. لا يريد لأحد أن يسـمع شـيئًا.. وطلب منا استمرار ذكر الله تعالى حتى ينتهى مما يفعله..

ومـر الوقت بطيئًا، حتى مرت سـاعة أو يزيد.. أصوات مرعبة تأتى من داخل المنزل..

فتارة نسـمع زئيرًا، وكأن قطيعًا من الأسـود بالداخل.. وتارة نسـمع ضحكات نسـائية ماجنة، يتبعها صرخات وشـتائم قذرة.. وتارة نسـمع صيحات رجال، وطرقات مخيفة ترج جدران المنزل.. ثم ساد الصمت فترة طويلة..



وما لبث أن انفتح الباب ووراءه الشيخ والفتى..

كان الشيخ يبدو وكأنه خارج للتو من سباق طويل.. مبللًا بالعرق شاحب الوجه.. أما أخي..

عيناه..

رباه..

اختفت تلك النظرة المخيفة من عينيه..

عاد أخي كما كان..

استقبلناهما بالفرح والزغاريد والأحضان والقبلات.. فرحة ما بعدها فرحة..

ولكنهما كانا مرهقين.. متعبين.. بالكاد يستطيعان الوقوف، لكن تغمر ملامحهما الراحة..

لاحقًا عندما سألنا الشيخ عما حدث، أخبرنا أن أخي كان عليه فتاة من بنات الجان.. كانت تلهو به لا أكثر.. المشكلة الكبرى أن أبيها أحد ملوك عشيرة من عشائر الجن القريبة.. لذلك يأتمر بأمرها الكثير من الجان والشياطين.. يحمونها ويطيعون أمرها..

بدأ الموضوع معها باللهو، لكنها تعلقت بأخي فيما بعد.. فكان إبعادها عنه صعبًا.. ولحمايته منها يجب أن يتمسك بحبل الله.. لا يفارق الصلاة..

وهذه الفتاة ليست مؤذية بقدر ما هي قوية.. فعلى الرغم من قوتها الهائلة فهي لا تريد به أذى.. ولو كانت تريد أن تؤذيه لفعلت..

وما فعله الشيخ أن وطد علاقتهما.!!



فستسمع هذه الجنية كلامه وتأتمر بأمره أحيانًا، لكن دون محاولة إلحاق الأذى به.. لن تستطيع لو حاولت ما دام محافظًا على فروضه..

وسوف يكون لذلك ثمن سوف يدفعه لاحقًا..

وبعد هذا اليوم مباشرة التزم الفتى.. وأصبح الشيخ الصغير فى القرية.. وأصبح يعمل مثلما كان يعمل الشيخ الكبير.. العلاج بالقرآن..

وكان قويًا جدًّا.. يستقوى بهذه الجنية.. لا أفهم طبيعة العلاقة بينها بالضبط , لكنها تساعده أحيانًا..

ذات مرة استدعوه لإخراج جن من على جسد طفلة صغيرة.. هذه الطفلة طوال الوقت تملأ الدنيا صراخًا، وكثيرًا ما تتشنج وكأنها عندها صرع، وتفيق لتضرب أباها وأمها وتسبهم..

هذا غير احتراق الأثاث.. أغرب ما فى الموضوع أنها كانت تطلب من أبيها دومًا أن يقبل قدميها..

عندما دخل أخى الصغير وشاهدته الطفلة، أخذت تصرخ وتصرخ، وتنظر إليه بعينين حمراوين تمامًا..

كان هادئًا جدًّا وهو يحادثها.. قال لها وكأنه يتحدث مع رجل بالغ:

- انظر يا بن ال.......... أنت تعلم تمامًا من أنا، ومن كانت معى، وتعلم هى ابنة من.. وتعلم أنى أستطيع استدعاءها حالًا.. وأنت تعرف ما الذى ستفعله بك.. فأريد منك أن تخرج الآن كالكلب يا بن ال.........، وإلا فأقسم أن أحرقك هنا والآن..

أخذت الفتاة تصرخ وتصرخ، ثم رفعت عقيرتها بالنواح عاليًا بأعلى صوتها، وبدأت الجدران ذاتها تتحرك وترتجف.. حتى إن بعض الدهان قد بدأ فى التساقط.. كل هذا وأخى واقف لم يتحرك.. ثم صرخ فيها فجأة



اخرج.. الآآآآآن

هدأت فجأة، وهدأ كل شيء، ثم نظرت نحوه قائلة:

لن أتركك.. سأعود إليك.. ومن أجلك أنت فقط..

ثم خرت مغشيًا عليها..

ومن أظافرها خرجت بعض قطرات من الدماء..

ثم ابتسم أخى، وقال للرجل:

مبارك.. لقد خرج..

عندما سألت أخى عن تهديد ذلك الجنى لاحقًا، قال لى إنه كلام فارغ.. كلهم كاذبون.. وغالبًا سينسى كل شيء بمجرد خروجه.. هو مجرد خادم حقير لساحر أراد بهذه الأسرة شرًّا.. لا تشغل بالك..

طبعًا لم أجرؤ على سؤاله عن مصدر معلوماته..

لم أجرؤ قط..

■ ■ ■

وهذه كانت قصة أخى صديقى.. ولكن عندى قصة لصديقى نفسه..

هل تحبون أن تسمعوها؟

حسنًا.. أعيرونى انتباهكم..

ليلة أخرى على المقهى.. كنا مجموعة من الشباب نتكلم فى الحكايات العجيبة التى مر بها بعضنا.. كل واحد رأى ظاهرة غريبة فى حياته كان يحكى عنها..

صديقى تحدث عن موقف حدث له أيام الكلية.. حيث إنه قروى، فكان لزامًا عليه أن يدخل المدينة الجامعية.. لكن تأخر فى التقديم لظروف عنده، فتبقى أمامه شيء واحد.. سكن متميز..



صفقة تعقدها إدارة السكن مع بعض الطلاب..

الصفقة هى أن يعيش مع مجموعة تحتاج لشخص يتابعها، ويقوم على شئونها إذا احتاجوا منه شيئًا..

وحصل على السكن..

هذا السكن كان يعيش فيها ثلاثة من فاقدى البصر..

حسنًا..

لا بأس..

قبل بالصفقة، خاصة أنها كانت تعتبر شقة صغيرة وليست مجرد حجرة.. وفى الواقع هى أفضل من بقية الحجرات السكنية.. حيث كان لها حمام منفصل على الأقل..

ارتاح صديقى جدًّا فى إقامته معهم، واكتشف من خلالهم آفاقًا جديدة لم يكن يعرف عنها شيئًا..

ربطته بهم صداقة قوية، وقبل الامتحانات بشهر تقريبًا دعاه أحدهم لقضاء أسبوع فى بلدتهم..

أسبوع كامل !!

كانوا لا يفتقرون إلى الكرم.. صديقى لبى الدعوة..

وسافر معه..

ولك أن تتوقع الاستقبال..

استقبال حافل يليق بمن يرعى ابنهم، وحجرة خاصة ذات شرفة كبيرة على سطح المنزل أخلوها خصيصًا لصديقى..



عندما كان يتأمل غرفته لاحظ وجود المقابر على مرمى البصر، وإن لم يكن المنظر مزعجًا للغاية لوجود مساحة خضراء بينه وبين المقابر..

خلع ملابسه وارتدى منامة مريحة، ثم استلقى على المرتبة القطنية الصلبة.. وبدأ يشاهد هلاوس ما قبل النوم.. ثم استفاق على صوت غريب.. صوت قط يموء..

نظر تجاه الصوت، فوجد قطًّا على النافذة الخارجية ينظر داخل الحجرة ويموء..

ذلك المواء الذى يشبه الصراخ نوعا ما..

كان قطًّا أسود قبيحًا يضع قائميه الأماميين على إطار النافذة الخارجى، وكأنما يسترق النظر لمن فى الحجرة..

ويموء..

لا يموء بالضبط، بل كأنه كان يقول (يعاااوووومه)..

نهض من على سريره وسار نحو النافذة..

تعجب من نظراتها الثابتة.. وشعر قليلًا بالتوتر..

هش القط بيده فهرب من أمامه..التفت ولم يلق بالًا..

وسرعان ما نام هادئًا بعد ذلك..

فى اليوم التالى جلس مع أقارب صديقه وتحادثوا كثيرًا، ثم صعد لحجرته بعد غداء دسم.. واستلقى على فراشه ليحظى بقيلولة..

لم يستطع النوم.. فقرر أن ينهض ليتحدث قليلًا مع صديقه فى الأسفل..

ظل معه يتجاذبان أطراف الحديث حتى صليا معًا العشاء فى المسجد القريب، ثم عاد بعد صلاة العشاء لينام..



هذه المرة سرعان ما استغرق فى نوم عميق..

ثم..

أفاق فجأة..

أحس كأنه يرى الحجرة كلها من أعلى..

ويرى جسده..

وعلى الرغم من ذلك فهو يشعر بجسده..

أخذ يجاهد ليتحرك دون جدوى..

كأن جسده متصلب تمامًا.. جسده يرفض أن يطيعه..

يده..

قدمه..

أى شىء..

لا شىء..

وبدأ الذعر يغزو قلبه.. ومن مكانه العلوى يرى نفسه يحملق تجاه النافذة..

عضلاته كلها تجاهد لتتحرك دون جدوى..

بعد عدة ثوان خطر له أن يحاول تلاوة شىء من القرآن..

وهنا دوى فى أذنيه صوت القط القبيح..

كأعلى ما يكون..

(يعااااوووومه)..

(يعااااوووومه)..



جاهد ليستكمل ما يقرؤه من القرآن..

جاهد..

وجاهد..

والصوت يتعالى..

ويتعالى..

ثم انتهى كل شيء بغتة..

انتفض واقفًا مبتلًا بالعرق..

حانت منه نظرة تجاه النافذة، فوجد القط ينظر نحوه..

صامتًا..

عيناه يلتمعان فى ظلام الليل من وراء الزجاج..

مسح وجهه بيده، واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم وذهب ليهش ذلك القط النحس، فجرى بعيدًا كأى قط..

توضأ صديقى ونام، وإن لم يعط للأمر أهمية كبرى.. ظن أنه كابوس مزعج فحسب..

وفى الليلة الثالثة تكرر نفس الأمر..

بحذافيره..

وكأنه شريط سينمائى يكرر نفسه..

هنا أحس بالخوف..

طبيعة صديقى لم يكن من السهل أن يخاف..

بحث عن إذاعة القرآن الكريم، ثم نام هادئًا..

لا بأس..

ما دام القرآن موجودًا فلا خوف..

ونام هادئًا..

في الليلة الرابعة اتخذ كافة احتياطاته..

توضأ.. إذاعة القرآن الكريم جواره.. وتمدد على فراشه ليحاول النوم..

كان لم يحك لأحد عن شيء..

لا يريد لأحد أن يظن بعقله الظنون، خاصة وأنه يعتبر الراعي الأول لصديقه الكفيف..

لذلك قرر أن ينهي هذا الأسبوع كيفما اتفق، ثم يعود مع صديقه، ويخرج من هذا المكان..

لذلك توضأ وصلى مرة أخرى قبل النوم، وتأكد من صوت القرآن جواره يطمئنه..ونام..

لم يمض وقت طويل على نومه حتى استيقظ فجأة..

جسده متصلب..

لا يستطيع الحركة..

لا يستطيع الحركة..

لا صوت للقرآن في الحجرة..

صوت زئير..

زئير.. قط؟

لم يفتح عينيه، وعلى الرغم من ذلك فقد كان يرى كل شيء..



تعالـت أصوات قطط كثيرة تموء ذلك المـواء الغريـب.. أصواتها تملأ المكان، وتدوى وتتردد بصوت يكاد يصيبه بالجنون..

شعر بجسده يؤلمه، وضغط شديد يقع عليه..

لا يستطيع حراكًا..

جسده يئن تحت ضغط خفى..

كأن ثعبانًا ضخمًا يعتصره اعتصارًا..

بذل جهدًا كبيرًا كى يتحرر من ذلك الضغط..

أخذ يتلو آية الكرسى، وصوت المواء يعلو و يعلو و يعلو..

ومع آخر حروف الآية انتفض واقفًا يرتجف..

وبكل غضبه توجه إلى الشرفة وفتح الباب..

يا إلهى الرحيم..

عشرات.. بل مئات القطط السوداء..

كلهم نفس الشكل..

وكلهم يمئون بنفس الطريقة المرعبة..

يعااااووومه

يعااااووومه

يعااااووومه

وتداخلت أصواتهم بشكل يثير الفزع..

دارت عيناه فى فزع، وهو يتلفت حوله..

دار فى خلده للحظات أنهم لا يمئون..



إنهم ينادون..

وجد بجوار يده مقشــة.. لم يدر كيف فعل ذلك، ولكنه تناول المقشــة وهوى بها في كل اتجاه على ظهور القطط، وهو يصيح أن ابتعدوا من هنا..

ماذا تريدون مني؟ ابتعدوا..

وخلال ثوان قليلة كان السطح خاليًا لا يوجد فيه إلا هو وحده..

وساد الصمت فجأة وسط هذا الليل..

وقـف يلهث لثوان، ثم التفت ليعود إلى حجرته، فإذا بظل أسـود ضخم يخرج من حجرته بمنتهى السرعة، ويعبر الشرفة ويقفز وراء القطط السوداء..

وخيل إليه أنه يسمع صوت ضحكات وخيالات مبهمة تنطلق نحو المقابر..

وعلى الرغم من المنظر المرعب، دلف مرة أخرى للحجرة..

لم يكن أمامه بديل على أية حال..

لفت نظره آيات الذكر الحكيم وهي تتلى بصوت جميل في الحجرة..

لم يتحدث مع صديقه الكفيف عن هذه الأحداث قط..

كما لم يواجه شيئًا في الحجرة بعد ذلك قط..

أكمل اليومين التاليين فيها وحده على صوت القرآن الكريم..

لست أدري كيف استطاع قلبه تحمل ذلك، ولكنه فعلها..

ما رأيكم؟

■ ■ ■

انتهى الأخ من روايته..

وساد الصمت الثقيل مرة أخرى..



ثم انطلقت الزفرات الحبيسة من الصدور تعلن التوتر الجاثم على النفوس من هذه القصص..

وعلى الرغم من ارتاعب المرضة من هذه القصص، فإن شعورًا بالاستمتاع يغزو كل خلية في جسدها..

الجلسة والتجمع الأسرى لا يقدران بثمن..

كانت العيون قد احمرت، وتثاءب الأب مرتين، إلا أن استمتاع الجميع بالجلسة كان طاغيًا..

قام الجميع لدخول الحمام، ثم تعاون الإخوة في إعداد بعض أطباق الحلوى التى أعدتها الأم، ثم عادوا ليجلسوا حيثما كانوا..

ويكملوا التسجيل..

كانت المسكينة ملتصقة بأمها طوال الوقت..

بعد كل هذه الحكايات كانت تخشى البقاء وحدها حتى في وسط أهلها..

وعندما استقروا في أماكنهم قال الأخ الأكبر:

الآن تذكرت.. عندى بعض المواقف المرعبة.. سأحكيها لكم..

❑❑❑



حكاية الأخ الأكبر

قال الأخ الأكبر وهو يضع طبق حلواه جانبًا:

- منـذ عامـين تقريبًا كنت عند الحلاق ليلًا.. حوالى السـاعة الثانية أو الثالثة قبل الفجر..

قاطعته الأم قائلة:

- نعم نعم.. أذكر ذلك اليوم..

قال الأخ مبتسمًا:

- نعم يا أمى، فأنا لم أحك لأحد سواك..

المهم.. كنت جالسًا عند الحلاق.. هو صديقى كما تعلمون..

كنا نثرثر حول أشياء عديدة، بينما هو يعمل فى رأس أحد الزبائن..

كان الجو حارًّا جدًّا؛ لذلك أغلق علينا الباب، وأشعل التكييف وجلسنا نثرثر..

زبـون بعد زبون، والكلام يأخذنـا إلى أن تأخر الوقت للثانيـة أو الثالثة كما ذكرت..

فـى الصيف يمكننا السـهر حتى الفجر.. يصبح الشـارع أكثر هـدوءًا، لكن المارة يمرون بين الحين والآخر..



وبينما كان منهمكًا فى رأس الرجل أحسست أن الجو العام أهدأ من اللازم..
هناك شيء ما غريب لا أدرى ما هو..
سمعنا طرقات على زجاج المحل من الخارج..
نظر ثلاثتنا إلى الباب..
كان شيئًا غريبًا أن يطرق أحد الناس الباب فى هذا الوقت..
وجدنا رجلًا شديد بياض الوجه..
وتحت عينيه سواد كثيف..
ويرتدى شيئًا أبيض..
كان ينظر إلينا من خلف زجاج الباب محدقًا بعينين غائرتين بشدة..
ظل الموقف ثابتًا لعدة ثوان..
ألجمنا الرعب جميعًا..
بدا المنظر وكأنه فيلم سينمائى متوقف..
لا شيء يتحرك..
تمامًا..
ثم طار إلى الأعلى..
أقسم أن هذا ما حدث..
ظللنا ثابتين عدة ثوان، ثم تكلم صديقى الحلاق بصوت مذعور:
- ما هذا؟
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..
هل رأيتم ما رأيته للتو؟



رددت عليه:

- هل طار فعلًا؟

بينما أخذ الزبون الثالث يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم..

وفجأة بدأنا نشعر بذهاب و إياب الناس خارج المحل..

ناس قليلون، لكنهم ناس..

وعلى الرغم من ذلك فقد ظللنا في المحل حتى شقشق الصباح بنور ساطع..

لم نجرؤ على فتح الباب والخروج..

عندما عدت للمنزل وجدتني أمي شاحبًا خائفًا.. كما أني عدت متأخرًا على غير العادة..

سألتني ماذا هناك؟ فحكيت لها مباشرة ما حدث..

■ ■ ■

فرغ الأخ الكبير من قصته الصغيرة..

كانت تبدو كقصة كوميدية مقارنة بما حكاه الأب والأخ الآخر.. تركت حكايته ابتسامة على شفاه الجالسين.. بينما قالت الأم:

- يومها يا بني كنت أشعر أن هناك شيئًا ما غير طبيعي.. كنت قلقة عليك منذ صلاة الفجر.. الحمد لله أنك لم تأت إلينا ملبوسًا..

ابتسم الجميع لقول الأم.. ثم قال لها الأب لها بصوت حنون:

- هل تذكرين تلك الحكاية التي حكيتها لي عن الحقل؟

ضحكت الأم وقالت:

- يا لقوة ذاكرتك.. أما زلت تذكرها؟

قالت الممرضة فى فضول:

- وما هى تلك الحكاية؟

قالت الأم:

- إنها حكاية صغيرة حدثت منذ وقت طويل جدًّا..

منذ كنت طفلة..

سأحكيها لكم..







حكاية الأم

- كنت أعيش فى قرية من قرى الجيزة.. وكنت أذهب مع جدكم- رحمه الله- إلى الحقل أحيانًا لأساعده..

كان يرفض أن أعمل وأتعب، لكنه كان يجعلنى أعمل لأتسلى.. نوع من اللعب الطفولى فقط.. وكان يعلم أنى أفرح بذلك..

كنا نجمع يومها الذرة.. وبينما كنت ألهو وأجمع الذرة مع إخوتى تعبت من كثرة الحركة..

ذهبت لبيت الخوص والقش الذى صنعه أبى بنفسه.. حجرة واحدة فى قلب المزروعات.. هواؤها جميل صيفًا شتاء..

كثيرًا ما كنت أستحلى النوم فيها، خاصة وأنه لا يوجد أحد غريب، فكل من يعمل حولى هم إخوتى وأقاربى..

تمددت على الأرض ونمت..

ثم أحسست بأبى لاحقًا يضع على جسدى شيئًا يغطينى، ثم أكملت نومى..

استيقظت بعد ذلك لأجد نفسى وحدى تمامًا.. الحقول على مرمى البصر لا أثر فيها لمخلوق..



والشمس توشك على الغروب.. ذلك اللون الأحمر يغمر الكون..

لم يكن ذلك شيئًا غريبًا.. البيت قريب، وكثيرًا ما كنت آتى هنا بمفردى وأعود بمفردى..

الغريب فى الموضوع كان تلك الأرانب..

أرانب سوداء كبيرة تتقافز حولى، وتملأ العش الذى بناه أبى..

أما عيونها..

عيون حمراء تمامًا..

عيون تكاد تكون مضيئة..

وعلى قدر ما أحسست بالخوف يسيطر علي، على قدر ما أحسست أنه من الخسارة أن تضيع هذه الأرانب..

لم أكن أدرى مم أخاف تحديدًا؟..

كان عندنا أرانب فى بيتنا..

لكن هذه الأرانب مختلفة..

كبيرة..

مخيفة..

جلست، ثم فعلت أغرب شيء ممكن..

أخذت أجمع الأرانب فى ثوبى..

أجمع على قدر ما أستطيع..

أحملها من آذانها، وأضعها فى ثوبى، وأشعر بها تختلج..

لكن قلبى ينبض بالخوف..



قررت أن أفعل مثلما قالت لى أمى قبل النوم..

إذا أحسست بالخوف أقرأ الفاتحة..

اخذت أقرؤها وأعيدها، وأنا أجمع الأرانب..

كانت الأرانب كثيرة، وعلى الرغم من ذلك كلما وضعت فى الثوب أرنبًا أشعر وكأن هناك مكانًا لآخر..

كنت أحس بحركتهم المضطربة فى ثوبى..

وفجأة سطع نور قوى فى عينى، ووجدت أبى أمامى يسألنى لماذا أصرخ..

أصابتنى الدهشة..

أنا لم أصرخ..

وانتبهت إلى أن الحقول حولى امتلأت فجأة بالعاملين..

كما أن الشمس ساطعة تغمر المكان.. شمس ما بعد الظهر الحارقة..

قلت له إنى لم أصرخ.. بل كنت أجمع الأرانب، وفتحت ثوبى لأريه الأرانب التى جمعتها.. فإذا بالثوب فارغ..

أصابتنى الحيرة.. كنت وقتها ابنة ثمان أو تسع سنين.. حكيت لأبى ما حدث..

أصابه الوجوم، ثم احتضننى وحملنى كما لو كنت طفلة صغيرة، ونادى على إخوتى، وقال إنه يكفى العمل اليوم، وسنكمل غدًا..

ومن يومها منعنى تمامًا من الذهاب للحقل..

ولم يتحدث قط عن هذا الموضوع حتى توفاه الله.. رحمه الله..

■ ■ ■



انتهت الأم من قصتها القصيرة.. وكانت بمثابة الانتهاء من الحكى لهذه الليلة بالكامل .. تثاءب الجميع، ونهضوا إلى حجراتهم..

وبينما كانت الممرضة تنهض من مكانها تبدت لها مشكلة كبيرة ..

كيف ستنام فى حجرتها وحدها هذه الليلة؟

دخلت حجرتها.. وأحضرت هاتفها المحمول، ووضعت قائمة التشغيل الصوتى على القرآن الكريم كاملًا..

ولم تطفئ النور..

استلقت على السرير تحدق فى السقف..

وسرها أن سمعت أحدًا وضع الراديو فى المطبخ على إذاعة القرآن الكريم..

يبدو أنها ليست وحدها التى تشعر بالخوف..

لكنها وحدها التى تنام فى حجرة منغلقة عليها..

نهضت من على فراشها وفتحت الباب قليلًا ليدخل ضوء الصالة أيضًا، ثم عادت لتسترخى على فراشها وتحاول النوم..

وما لبثت أن غرقت فى سبات عميق..

□□□



تحذير..

أرجوك توقف عن القراءة الآن ..

أنتيسبوس لوسيفرى ..

كل ما فيها حقيقى..

كل شىء حقيقى.. كل حكاية حقيقية..

كل تفصيلة حقيقية..

حتى ما يحوم حولك الآن.. حقيقى..

هل أنت مصمم على المتابعة؟

أرجوك..

لا تلمنى لاحقًا..





□□□

كانت الفتاة الممرضة قد استغرقت في نوم قلق بعد كل هذه الحكايات..

ثم استيقظت على شيء غريب يتحسس قدميها..

كأنه تيار هواء يمر..

إحساس ثقيل غريب.. إن هناك شخصًا يتلمس قدميها تحت الغطاء..

فتحت عينيها على اتساعهما لترى ماذا هناك..

لا شيء..

دقات قلبها تدوي كالطبل في أذنيها من الرعب..

صوت أنفاسها المتلاحقة تثير فزعها.. وشعرت برعدة تجتاح جسدها بالكامل..

جذبت قدميها نحوها، واستعاذت بالله من الشيطان، ثم تقلبت لتنام على الجانب الآخر..

ما زال الخوف يعتصر قلبها.. إحساس سخيف أن هناك شخصًا ما يرمقها من ظهرها..

تشعر بعدم الراحة على الإطلاق..

حاولت أن تعتدل على فراشها مرة أخرى، لكنها انتبهت فجأة إلى أن الحجرة مظلمة..

من أغلق النور؟ إنها لم تغلق النور..



هل أغلقت أمها النور؟

غريب.. وأين صوت القرآن؟

هل انقطع التيار الكهربائى؟

لكن القرآن يعمل من الهاتف.. لا علاقة له بانقطاع التيار الكهربي..

مـدت يدها فى الظلام، تحسسـت موضع الهاتـف على الكومـود بجوارها، ثم أمسكت هاتفها..

وجدت أنه صامت.. القائمة موجودة كما هى، ولكنها متوقفة.. وكأن شـخصًا ما أوقفها..

ارتجفت رغمًا عنها، ونهضت من سريرها، ومدت يدها وأوقدت النور..

غريب.. إنه يعمل..

وأعادت صوت القرآن مرة أخرى ليملأ وحشتها وخوفها..

وعادت لتستلقى على السرير..

كان التوتر قد بلغ منها مبلغًا.. تشعر بالخوف يدق فى قلبها بشدة..

نهضت مرة أخرى لتشرب من المطبخ..

كانت تقدم قدمًا وتؤخر أخرى..

وسـط الهدوء المسيطر على الشـقة ونوم أهلها، كانت تشعر وكأن هناك ألف كيان غريب وشيطان يتربص بها..

صوت قدميها يشعرها بالذعر.. كأن هناك أقدامًا تتبعها..

ذلك الشعور اللعين أن هناك من يمشى وراءها..

لماذا تبدو الشقة مخيفة اليوم؟



لا بد أنها تلك الحكايات..

طوال عمرها تخاف من هذه الحكايات..

وخيالها لا يهمد ويعمل على إثارة ذعرها بكل طاقته..

دلفت إلى المطبخ وشربت، ثم دخلت دورة المياه بالكاد، وعيناها لا تصطدم بالمرآة أبدًا..

دقات قلبها تتزايد..

عادت سريعًا لترقد في سريرها الوثير، بعدما تأكدت من إضاءة النور، ووضع قائمة عملاقة للقرآن الكريم بجوارها.. كانت تفكر في إنهاء هذه المهمة الأخيرة، والاستقالة من كل هذا الجنون..

ببطء أسبلت عينيها، وببطء أيضًا جاءها النوم على مضض..

ما كادت تستغرق في النوم حتى انتبهت حواسها كلها على شيء غريب يحدث حولها..

لا صوت للقرآن..

فتحت عينيها، ونهضت مفزوعة لتصطدم عيناها بالظلام مرة أخرى..

ضرب الخوف قلبها بقبضة قاسية.. أخذ صدرها يعلو ويهبط منفرط الخوف مما يحدث..

هناك شيء غريب.. مخيف.. ويريد شرًّا..

فجأة أحست بوجود حركة بسيطة بجوار فراشها.. نظرت نحو مصدر الصوت، فإذا بها تجد شكلًا أسود مبهمًا يحدق فيها بعينين سوداوين لامعتين من قلب الظلام..



نظرة ثابتة مخيفة..

تجمدت من الرعب..

لا تدرى هل تصرخ..أم تهرب..أم تثبت فى مكانها..

ببطء وبيد مرتجفة مدت يدها للهاتف، وأضاءت كشافه مصوبة إياه نحو الشكل المخيف..

كان الشكل هو عامود شماعتها وعليه ملابسها.. ويلمع زران أسودان وسط الظلام..

أطلقت زفرة حارة طويلة أخرجت فيها كل توترها..

ولكن..

من الذى يطفئ النور؟

ومن الذى يغلق صوت هاتفها؟

قامت هذه المرة، وأضاءت النور للمرة الثالثة، وبدأت قائمة التشغيل للمرة الثالثة على التليفون، وجلست متربعة على السرير تقضم أظافرها رعبًا..

وبينما هى كذلك إذا بالباب ينفتح ببطء..

وجدت أمها تدخل عليها.. ثم تؤنبها على ترك النور مضاء.. وصوت التليفون العالى لا يجعلها تستطيع النوم..

بدون أى تعليق قامت المرضة، واحتضنت أمها العجوز، وسط دهشة الأم..

دعت لها الأم العجوز بالهداية والستر، وتركتها لتكمل نومها فى الحجرة الملاصقة لها..

وفى هذه المرة نامت بهدوء.. استغرقت فى النوم سريعًا بعدما أغلقت الباب على



نفسـها، حتى لا يرى أحد ضوء الحجرة وينزعج.. ووضعت الهاتف بجوارها، بينما كان القارئ يشدو بصوت رخيم آيات من الذكر الحكيم..

■ ■ ■

فى اليـوم التـالى، وبينـما كان أخواهـا فى عملهما اسـتقبلت الممرضة الشـابة صديقاتها الثلاثة اللائى تجمعهن الصداقة منذ الطفولة..

اتصلت بهن بالأمس، ولم تجدن صعوبة فى التقابل..

كانت فرصة طيبة لقضاء وقت ظريف بعيدًا عن كل ضغوط الحياة..

وكانت قد أعدت العدة لجلسة أخرى ممتعة مرعبة..

جلسة فى وسط النهار هذه المرة..

طعام غداء شهى..

بعض المشروبات..

والكثير من الكلام حول كل شيء..

ثم تطرق الحديث إلى عملهن..

وهنا استغلت الممرضة الفرصة..

حكـت لهن ما طلبه منها الطبيب، وطلبت منهن أن يحكين حكايات حقيقية، بـشرط أن تكون حدثت لإحداهن أو لأحد معارفهن.. على أن تكون حقيقية تمامًا..

تحمست الفتيات للحكى، فأحضرت الممرضة جهاز التسجيل، وعلى الفور بدأن فى السرد..

□□□



حكاية الفتاة الأولى

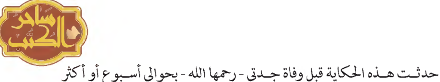
كانت فتاة جميلة الملامح، ذات قسمات جذابة، وتبدو من النوع الذى لا يهتم بشيء فى الحياة سوى أناقتها وزينتها وجمالها.. وعلى الرغم من ذلك، فهى طبيبة، وإن كانت تختلف عن الصورة الشائعة عند الأطباء.. فهذه الفتاة تجمع بين الذكاء والجمال معًا..

بدأت حديثها قائلة:

آه.. أنا عندى قصة مرعبة حدثت لى شخصيًّا.. أكره أن أتذكرها، وأكره أن أحكيها.. لكن لا بأس، بما أننا فى النهار، فلا بأس.. اسمعوا..

تعلمون أنه كان لى جدة تعيش فى منزل قديم بوسط القاهرة.. أحد تلك المنازل ذات الحوائط الشاهقة الارتفاع، حيث يبلغ ارتفاع الطابق الواحد خمسة أمتار كاملة.. تلك المنازل المليئة بأشياء تذكرك بالعهد الملكى لمصر.. مرايا عملاقة.. أثاث مذهب.. النيش العتيق.. السجاد التركى الفخيم.. بشكل ما تشعر أنك داخل حجرة من حجرات قصر عابدين.. فكما تعلمون كان أبو جدى من حاشية الملك فاروق نفسه..

باختصار كانت شقتها تبدو وكأنها صورة من فيلم قديم.. خاصة تلك المرآة البللورية العملاقة فى حجرتها..



حدثـت هـذه الحكاية قبل وفاة جـدتى - رحمها الله - بحوالى أسـبوع أو أكثر قليلًا.. كنت أحبها كثيرًا.. وأستمتع بحكاياتها القديمة..

وكانت جدتى تعيش وحدها؛ لذلك كثيرًا ما كنت أزورها وأبيت معها.. وعلى الرغـم من سـنوات عمرها التى تعدت السـبعين، فإنها كانـت تصر على شراء احتياجاتها بنفسها من السوق القريـب..

فى ذلك اليوم كنت نائمة عندها، واسـتيقظت على صوت الباب الخشبى القديم ينغلق، وصوت حذائها ينزل برفق على السلالم..

جدتى الحبيبة..

لم تشأ أن تزعجنى كعادتها..

نهضت من فراشى وغسـلت وجهـى، ثم صنعت كوبًا من الشـاى، إلى أن تأتى جدتى ونفطر معًا، ثم أذهب لكليتى..

وبينما أنا جالسـة فى حجرتى أمام النافذة الكبيرة، لمحت فى المرآة صورة جدتى تمر ورائى..

صـورة شـديدة الوضوح لها، وهى تسـير عاريـة الرأس من الحجاب.. تسـير بشعرها الأبيض الفضى الناعم الجميل..

تسير بلا صوت صوب حجرتها..

تعجبت بشدة..

كيف تكون أتت ودخلت، وغيرت ملابسها، ولم أسمع لها صوتًا؟

نهضت من مكانى وناديت عليها..

لم ترد..



تعجبت أكثر..

ماذا هناك؟

لماذا لا ترد؟

خرجت من حجرتى، وتوجهت لحجرتها الموارب بابها.. طرقت الباب، فلم تجب..

ناديت عليها فلم تجب..

أزحت الباب قليلًا بيدى، لأرى الهول..

رأيت جدتى من ظهرها تقف أمام المرآة البللورية تمشط شعرها الطويل.. أما انعكاسها فى المرآة فكان هو هو..

نفس صورتها وهيئتها..

فيما عدا أن عينيها لم تكونا مشقوقتين بالعرض مثلنا.. كانتا مشقوقتين طوليًّا.. وتحدق نحوى بكل الكراهية التى فى العالم..

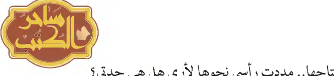
صرخت يومها صرخة عالية، وأنا أراها تحدق نحوى للحظات، ثم تركت المشط والتفتت نحوى.. عيناها بالطول وليسا بالعرض..

خطوتان.. وفجأة تختفى..

أخذت أتعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. وجريت على حجرتى، وألصقت ظهرى بالجدار، وأخذت أتلو القرآن وأنا أرتجف، حتى جاءت جدتى..

دق البواب جرس الشقة مرارًا، ليقوم بإدخال ما اشترته جدتى، لكنى لم أستطع الحراك من الفزع..

لن أستطيع الحركة وحدى فى هذا المنزل..



فتحت جدتى الباب بمفتاحها.. مددت رأسى نحوها لأرى هل هى جدتى؟

جدتى..

جريت عليها واحتضنتها، وأخذت أبكى وأرتجف..

لم تزد على أن ربتت على ظهرى بهدوء وسط دهشة نظرات البواب..

وعندما هدأت قليلًا حكيت لها ما حدث..

أدهشـنى يومها ثباتها وعدم خوفها وهى تسـتمع إلىَّ.. يبدو أن الكبار فى السن لا يخافون بسهولة مثلنا..

المهم هدأتنى، وأفطرنا معًا بلا شهية، بينما ارتفع صوت القرآن، ورائحة البخور وكأننا فى يوم الجمعة..

ونزلت من عندها إلى منزلى مباشرة..

لم أستطع الذهاب لكليتى والعودة منها مساء..

أعلم أنى جبانة جدًا، لكنى لم أذهب إليها بعد ذلك قط.. رعبى وفزعى منعانى من التفكير فى أنها ربما تكون تواجه خطرًا ما هناك وحدها..

بعدها بأسبوع اتصلت بنا جدتى فى أغرب مكالمة فى التاريخ..

كانت تودعنا..

وهرعنـا كلنا إليها، وعندما فتحنـا الباب وجدناها ميتة عـلى المقعد وفى يدها سماعة الهاتف..

■ ■ ■

أنهت الفتاة حكايتها وهى تمسح دموعها، وسط وجوم الفتيات..

تمتم الجميع أن رحمها الله..



بعض عبارات المواساة على استحياء..

ثم قالت إحداهن:

- قصة رهيبة.. أصابني الفزع بصراحة.. ولكن هل عرفت تفسيرًا لذلك الشبح؟

قالت أخرى:

- هذه أول مرة أسمع عن شبح لشخص حي.. قصة غريبة جدًّا..

قالت الثالثة بوجوم:

- ربما كان هذا نذيرًا للموت.. هناك قصص كهذه في الغرب تتحدث عن أن الشخص قد يظهر له قرين إذا ما اقترب أجله..

قالت الممرضة محاولة تخفيف جو التوتر:

- ولكنه عفريت ظريف.. ظهر فقط لكي يسرح شعره.. مشكلة المشط هذه..

ضحكت الفتيات مجاملة لها، ثم أكملت كلامها:

- والآن.. من تحكي القصة الثانية؟

قالت فتاة ممتلئة ذات ملامح طفولية:

- أعتقد أن عندي قصة.. اسمعوا..

❑❑❑



حكاية البنت الثانية

كانت فتاة ممتلئة على قدر من الجمال الطفولى، ترتدى ملابس عملية بسيطة وأنيقة، ويتدلى على صدرها صليب رقيق، يجمع بين اللونين الذهبى والفضى، تمد يدها لتلمسه من آن لآخر.. وكانت تعمل معلمة..

قالت الفتاة:

- كما تعلمون ظروفي.. أنا كنت وحيدة أبي وأمي.. واللذان كانا وحيدين بدورهما.. حيث إنهما تزوجا ضد رغبة العائلتين، فكان النبذ إلى الأبد.. نبذهما الأهل وتركوهما، فانتقلا من الصعيد إلى القاهرة..

عاشا حياتهما بسعادة بالغة، ثم جئت أنا..

وظلت حياتنا بسيطة جميلة مرحة.. لم ينقصنا شيء قط.. بل عوضنا الله عن جفاء الأقارب بمجموعة أصدقاء للعائلة أقرب للإنسان من أهله أنفسهم..

وعندما كنت فى الفرقة الرابعة من الكلية توفت أمي.. وعلى الرغم من تدهور حالتها الصحية فى الآونة السابقة لوفاتها بسبب الكبد، فإن وفاتها كانت صدمة عنيفة لى ولأبي.. وعلى الرغم من وجود الأصدقاء، فإني وأبي كنا كثيرًا ما نبكى أمي معًا، ولا نجد من يواسينا..

تعمقنا أكثر وأكثر فى علاقة مع أسرة من أسر الكنيسـة.. كانت تعنى بالمرضى وذوى الاحتياجـات الخاصة.. وظللت هكذا أخدم المرضى ما يقرب من ثلاث سـنوات.. لم يشـغل بالى إلا الخدمة والكنيسـة.. كانا هما فقط المواسى لى مما حدث لأمى..

إلى أن قابلته فى أحد الاجتماعات..

شـاب وسيم، يحمل كل ما أتمناه من صفات شكلية وأخلاقية.. أحاطنى برعاية واهتمام لم أشعر بمثلهما قط.. أحببته على الفور..

ولم يمر وقت طويل حتى تمت الخطوبة..

بعد حوالى شهرين أو ثلاثة من الخطوبة.. مات أبى..

مات فجأة ودون أى مقدمات ولا أى أمراض من أى نوع..

كان سليمًا جدًّا، وفجأة مات..

ثانى أعنف صدمة..

الآن أنا وحدى تمامًا..

اتصلت بخطيبى وأنا منهارة، فجاء وقام هو بكل اللازم..

ثم أصبحت وحدى فى الشقة..

وتغيرت الشقة..

لم تعد هى الشقة المريحة..

أصبحت مخيفة جدًّا..

لست أدرى لماذا؟..

ثم حدثت بعض الأحداث الغريبة..



قطع ذهبية تختفى.. سلسلة مثلًا أو أسورة.. ثم أجدها فى أماكن غريبة.. فوق الدولاب.. على زر فى الحائط.. وهكذا..

وكثيرًا ما كانت تظهر أمامى فجأة.. يعنى أفتح بابًا مثلًا، وفجأة أجد على المقبض خاتمًا ضائعًا..

أو أفتح الثلاجة لأشرب، فأجد حلقًا ذهبيًّا على رف البيض..

كان عبثًا شيطانيًّا..

ولكنى كنت أعزو ذلك لحالتى النفسية السيئة والمتدهورة.. حتى أنى أصبت بضيق تنفس من فرط نفسيتى السيئة، واتصلت بالإسعاف يومًا.. كسروا علىَّ الباب بمعاونة الجيران ليلحقونى قبل أن أختنق وأموت.. واتضح أنه مرض نفسى.. حيث لا رغبة لى بالعيش بدون أحد..

أما خطيبى، فكنت أشعر أنه يبتعد عنى، ولا أدرى لماذا؟..

يومًا بعد يوم يزداد شعورى بالوحدة..

المهم، ذات يوم حلمت حلمًا رهيبًا..

حلمت أنى داخلة إلى دورة المياه، فإذا برجل أبيض ذى شعر وذقن حمراوين، يبرز لى من قلب الحمام نفسه، ويمسك بكتفى ويصرخ فى وجهى مباشرة..

يصرخ بكلام غير مفهوم.. وجهه يكاد يلامس وجهى.. رائحته القذرة تحرق عينى.. رذاذ لعابه يتناثر فى وجهى..

فجريت فى - الحلم - لأرتمى على فراشى وأفقد الوعى..

فى الصباح لم أكن متأكدة ما إذا كان حلمًا أم حقيقة؟!.. وحتى الآن لم أدر ما إذا كان ذلك حقيقة أم حلم؟!.. خاصة وأنى استيقظت فى الصباح على أرض الصالة..



بعيدًا عن الحمام، وبعيدًا أيضًا عن حجرة نومى..

لم أدر قط ما الذى أودى بى إلى هناك..

فقط أدرك أن هناك عبثًا شيطانيًا.. هناك أرواح نجسة فى المنزل..

وهنا قررت أن أستعين بأحد الكهنة فى الكنيسة..

ذهبت إلى واحد أحبه وأثق فيه.. كان هادئًا ويوحى بالثقة.. عندما حكيت له ما يحدث لى أيقن من حديثى أن روحًا نجسة فى المنزل.. وأنها تريد بى شرًّا..

وفورًا جاء معى للمنزل بصحبة كاهن آخر..

وعندما فتحت باب الشقة، تصوروا ماذا وجدت؟!..

مخلفات بشرية..

على الباب..

ويمتد منها أثر إلى الحمام..

وكأنها آثار أقدام..

دخلنا الشقة فى صمت واشمئزاز، وتتبعنا الآثار حتى الحمام، وهناك صرخت عندما وجدنا الفوضى كاملة..

المخلفات فى كل مكان..

على الأرض..

وعلى الحوائط..

وعلى السقف..

ورائحة رهيبة..



الحمام كله ملطخ بطريقة بشعة..

ودون أن أشـعر جريت خارج الشـقة.. خرجت من هناك، ووقفت على باب الشقة مذهولة..

وعـلى الفور بـدأ الكاهنـان بالداخـل فى طقوس تطهـير المنزل مـن الأرواح النجسة..

بخور كثيرة.. وبدآ فى الصلاة..

وبدأ الرعب..

كل الأثاث بدأ يرتجف..

الصور على الحائط.. صورتا أبى وأمى تحركت عيناهما نحو الكاهنين، وبدأت فى الصراخ..

النجفة ترتجف وكأنها تكاد أن تسقط على رأس الكاهنين..

ترتفع أصواتهما أكثر وأكثر فى الصلاة..

صوتهما القوى الحازم يبعثان فى نفسى القوة..

وفجأة وجدت شكلًا شبه بشرى واقفًا يحترق فى وسط الصالة..

أو هكذا خيل إلىَّ..

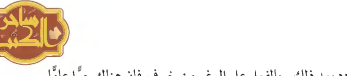
لكن المؤكد أنه كان هناك صراخ لعين يعلو فوق صوت الكاهنين..

وفجأة انتهى كل شيء..

نهض الكاهنان يلهثان..ونظرا نحوى وابتسما..

انتهى كل شيء يا بنيتى..

انتهى كل شيء..



دلفت للشقة بتردد بعد ذلك.. بالفعل على الرغم من خوفى، فإن هناك جوًّا عامًّا من الارتياح فى الشقة..

لبث معى الكاهنان يصليان، ويباركان المنزل، ثم تركانى وحدى على أن يتابعانى لاحقًا..

أحضرت من ينظف لى الشقة من كل هذه المخلفات والبقايا..

ومن يومها لم يحدث شىء غريب قط..

عشت فيها بهدوء بعد ذلك، ولكنى لم أستطع النوم فيها قط وأنا مطمئنة..

طبعًا لو سألتمونى كيف استطعت أن أقيم فيها بعد ذلك، سأقول لكم: وماذا أفعل؟ ليس لى مكان سوى هنا..

وعلى كل حال أسرعت فى إجراءات زواجى حتى أتخلص من هذه الشقة.. حتى إننى تزوجت قبل إنهاء كل احتياجاتنا.. طبعًا من نافلة القول أن ابتعاد خطيبى عنى كان تأثيرًا نفسيًّا سيئًا منى فقط.. أو ربما كان لهذا الكيان الشيطانى علاقة بذلك..

ثم بعت الشقة..

وتلك كانت قصتى مع الشبح اللعين..

■ ■ ■

ضحكت الفتيات على طريقة إنهائها لقصتها، وإن تعجبت كل منهن من قوتها.. أحسسن كأن هذا الموقف لا يستطيع أحد التعامل معه..

كانت الممرضة حينها فى حالة نفسية سيئة.. إنها لا تطيق الرعب الخيالى.. واضطرتها الظروف لسماع قصص رعب حقيقية.. أى أن كل ما سمعته من الوارد أن يحدث لها..



كانـت تحـاول التماسـك أمامهـن، إلا أن كل عضو فى جسـدها كان يرتجف هلعًـا.. وعلى الرغم من ذلك فقد قالت فى صوت أرادت أن يكون مرحًا، لكنه خرج مهزوزًا بشدة:

- قصة لطيفة جدًّا.. لكن ليســت مرعبة قدر صديقتنا الأولى.. ما زلت أخاف المرآة أكثر..

ابتسمت الفتاة الثانية، وقالت:

- أنتِ طلبتِ قصصًا واقعية.. لو تريدين سأؤلف لك خصيصًا قصة عن المرايا تجعلك تبللين مقعدك.. ما رأيك؟

ضحكت البنـات، وضحكت معهـن الممرضة فى عصبية، وفضلـت عدم الرد عليهـا.. إن أعصابها مشـدودة، وتريـد الانتهاء من كل هـذا سريعًا.. فنظرت للفتاة الثالثة وقالت:

- الآن دورك.. حكاية مرعبة حقيقية من فضلك.. وبسرعة..

ابتسـمت الفتاتـان الأولى والثانية فى سـخرية.. كانا يعلـمان خوفها من تلك الحكايات.. بينما قالت الثالثة:

- أنا لم أشاهد أى حكاية غريبة قط.. لكن عندى حكاية حكاها لى زوجى.. وهو لا يكذب أبدًا..

صمتت الفتيات، وبدأن يسمعن لصديقتهن..

❑❑❑





حكاية البنت الثالثة

كانت فتاة نحيفة، ذات عوينات أنيقة، ترتدى ملابس فضفاضة، وعلى قدر بسيط من الجمال.. عيناها تحملان مكرًا لا شك فيه.. قالت لهن:

- قصة قصيرة هى.. اسمعن..

زوجى يعمل مدرسًا كما تعلمون.. وذات مرة جاءه مراجعة لليلة الامتحان لفتاة ما تعيش فى مصر الجديدة.. فتاة لا يعرفها ولم يرها قط، وليست فى مدرسته..

أرادوا مدرسًا جيدًا ليراجع لابنتهم، فأعطاهم صديقه رقم هاتفه.. وعندما ذهب للعنوان المقصود.. وصل بالتقريب إلى العنوان المنشود.. ووقف يتأمل المنزل..

كان المنزل مقبضًا بشكل مخيف.. منزل قديم حال لونه.. ولكنه وجد فتاة تنتظر خلف بوابة المنزل المعدنية.. كان الوقت قبل غروب الشمس بقليل، والكون يتغلف بغلالة حمراء رقيقة من ضوء الغروب..

كانت الفتاة واقفة فى ثبات، وكأنها بانتظار شخص ما.. لا بد أنها الفتاة المنشودة.. وما لبث أن ثبتت نظرها عليه لثوان..



نظرتها مزعجة جدًّا..

نظر إليها، وأشار بما معناه هل أنت الفتاة التى كلمتنى؟

ابتسمت الفتاة، وأشارت إليه أن تفضل..

وانفتحت البوابة المعدنية بصرير مزعج.. دون أن يلمسها أحد..

غريبة..

دخل للمنزل وراءها بخطى واجفة.. بدا له أن المنزل خالى من السكان..

ودون كلام بدأت الفتاة تصعد للطابق الثانى.. لم يدر ماذا يفعل.. صعد وراءها للطابق الثانى، ودلف وراءها للشقة التى دلفت إليها..

كان تصرفًا أحمق بالتأكيد.. كان طوال عمره ينتظر بالخارج إلى أن يؤذن له بالدخول.. لماذا دخل وراءها مباشرة هذه المرة؟

مع خطواته الأولى للشقة استدارت الفتاة نحوه، وأخذت تضحك بصوت عالٍ.. وبدأ وجهها يتغير..

هنا أيقن زوجى أن هناك شيئًا شيطانيًّا يدور، وبدون تفكير دار على عقبيه وطار خارجًا من الباب ليفاجأ على الممر المؤدى للسلم بعملاق عارى الصدر ذى رأس جمل..عيناه حمراوان ناريتان..

كان يخور ويجرى نحو زوجى مسرعًا..

صرخ زوجى أن أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. وفجأة اختفى كل من العملاق والفتاة..

وهرب زوجى إلى خارج العمارة المخيفة..

الشارع..



وعلى الرغم من أنه لم يأخذ سوى ثوان معدودة فى الهرب، فإنه أحس كأنه ظل هناك دهرًا كاملًا..

وفى الخارج وقف على الجانب الآخر من الشارع يلهث..

نظر إلى البيت الذى خرج منه منذ ثوانٍ..

وجد بوابة حديدية صدئة، وعليها جنزير وقفل ضخمان، مغطيان بالأتربة..

ويبدو أنه لا أحد يعيش هنا منذ أمد بعيد..

كيف دخل؟

وكيف خرج؟

لا يدرى..

بالطبع كان قد أخطأ العنوان..دخل عمارة غير العمارة..

انهارت أعصابه تمامًا.. ولم يقو على التدريس فى ذلك اليوم..

لذلك لم يرد على الهاتف الذى ظل يرن حتى العاشرة مساء..

ربما هذه المرة الوحيدة التى تعامل فيها مع.. بســم الله الرحمن الرحيم.. ولكن فضوله غلبه..

كان زوجى فضوليًّا.. كان قريبًا من هذا المنزل بعد عدة أيام، فأراد إلقاء نظرة عليه من بعيد.. نظرة نهارية..

وجد بالقرب من المنزل الشيطانى كواء..

تقرب منه وسأله عن هذا البيت..

ومنــه عــرف أنه بيــت ملعــون.. كل يوم تــدوى فيــه الصرخــات والطرقات والضحكات، وليس فيه أحد..



وكثيرًا ما يحكى الناس عن رؤيتهم لفتاة تدعوهم للدخول، ولكن بالطبع لم يدخل أحمق واحد إلا زوجى العزيز..

ولا يعرف أحد تاريخ البيت على وجه الدقة..

قيل عاش فيه ساحر ومات، وبقيت شياطينه..

وقيل حدث فيه جريمة قتل بشعة..

وقيل إنه كان مكانًا يعبد فيه الشيطان..

الخلاصة أن لا أحد يعرف أى شيء..

أعتقد أنها مخيفة بما يكفى.. أليس كذلك؟

■ ■ ■

أنهت الممرضة جلستها معهن.. وغيرن الحديث لأشياء أخرى، لكن ظل قلبها متأثرًا بهذه الحكايات..

وعندما رحلت صديقاتها جلست تشغل نفسها بشيء؛ ليساعدها على عدم التفكير فى هذه الحكايات..

شاهدت مع أسرتها فيلمًا كوميديًّا خفيفًا.. ضحكت كثيرًا، ولكنها ضحكات عصبية من الطراز الذى يخرج التوتر فقط..

ولكن عندما جاء المساء عاد الخوف والتوجس لينهشا قلبها.. ولولا حياؤها لطلبت من أبيها وأمها النوم وسطهم هذه الليلة..

توكلت على الله ودخلت لتنام..

أضاءت النور، ورفعت صوت الهاتف، ثم استلقت على الفراش..

الغريب أنها سقطت فى نوم عميق بمجرد أن وضعت رأسها على الوسادة..



ولاحقًا استيقظت في منتصف الليل شاعرة بالعطش، ومثانتها تطالبها بالإفراغ..
لم يفتها أن تتأكد من النور والهاتف..

نهضت متثاقلة من على فراشها، وشربت بعض الماء من المطبخ، ثم دلفت للحمام..

هذه المرة حانت منها التفاتة نحو مرآة الحمام، فلم تجد وجهها..

غريب هذا..

قربت وجهها من المرآة..

لا شيء..

إنها ترى الحمام كله خلفها في المرآة، ولا ترى أي شيء فيما عدا ذلك..

استولت عليها الدهشة، وبدأ الخوف يغزو قلبها..

وفجأة ظهر شخص ما في المرآة..

رجل ذو شعر أسود، وعينان سوداوان كبيرتان يحدق فيها مباشرة..

وقبل أن تجد الفرصة للصراخ امتدت يديه عبر المرآة، وفي قوة شديدة حملها، وجذبها نحو المرآة بشدة وعنف، فارتطمت المسكينة بالمرآة وحطمتها بدوى شديد، وسقطت الفتاة على الأرض بعدما اختفت اليدان الشيطانيتان..

كانت قد فقدت النطق من الرعب، وأغشى عليها لثوانٍ.. وعندما فتحت عينيها وجدت شبحًا طويلًا نحيفًا يحمل بيده خنجرًا أسود جاثمًا بجوارها..

يتأهب لذبحها..

وكان يضحك..

وعلى الرغم من إحساسها بألم فظيع نتيجة اختراق ذلك الخنجر رقبتها، فإنها لم تر دماء..



جسدها تخاذل، ولم تعد تستطيع الحركة..

كانت تشعر أن كل هذا خيال بشع..

خيال له شكل ولون وشعور بالألم..

كان تسمع طرقات الباب من الخارج، وصوت أهلها ينادونها، بينما لا تستطيع إجابتهم..

وبينما كان جسدها يسترخى رويدًا رويدًا معلنًا استسلامها للموت، اختفى ذلك القاتل تدريجيًّا، بينما قل وميض عينين سوداوين تراقبان المشهد فى استمتاع، حتى اختفتا كذلك..

انكسر حينها باب الحمام، وفوجئ الجميع بمنظر الفتاة الجميلة الممددة وسط الزجاج المهشم..

شاخصة العينين..

يخرج منها ببطء آخر نفس تنفسته، قبل أن تغرق فى الظلام الذى لا يعود منه أحد..

❑❑❑



الجلسة السادسة

عاد الطبيب إلى عيادته أخيرًا..

اليوم سيدرك الحقائق..

كل شيء يعتمد على ما ستحضره الممرضة من معلومات..

كل شيء يشير إلى أن ما يحدث، إنما هو يحدث فعلًا..

كان يتساءل: هل يوجد شياطين حقًّا؟

معنى ذلك أنه يوجد إله..

ومعنى ذلك أن كل مفاهيمه ومعتقداته خاطئة..

كل ما اعتقده فى حياته، ومنذ وفاة والدته، إنما هى خرافات خاطئة..

وعلى الرغم من دفاعه المستميت عن إلحاده، فإن التوتر كان يلتهمه التهامًا..

وعلى الرغم عنه أخذ يفكر..

كان ينتظر فى عيادته حضور الممرضة، بينما عقله يعمل بأقصى طاقته..

- و إذا سلمت بوجود إله.. فأى إله هو ؟

هل هو إله المسلمين الخفى ذو القدرة الكلية والسيطرة المطلقة على العالم..



أم إله المسيحيين المتمثل فى عيسى المخلص..

أم إله اليهود الذى يعتبر البشر كلهم خدمًا وعبيدًا لليهود..

أم البوذيون..

ربما كان أحد آلهة الهندوس..

هناك ثلاثة آلاف إله فى الهند..

فهل هو أحدهم؟

ولو اختار إله المسلمين، فأى طائفة؟

ولو اختار إله المسيحيين، فأى طائفة؟

المخاطرة كبيرة..

فكلهم يتوعدون الآخرين بالجحيم إن لم يؤمنوا بهم..

الله موجود..

الله.. موجود؟

قد يكون موجودًا.. ولكن من هو؟

أم إنه هو كل هؤلاء، وإن اختلفت المسميات؟

شعر بالإرهاق من التفكير.. قرر أن يرجئ هذا الأمر قليلًا، حتى تأتى الممرضة، ويستمع إلى التسجيلات..

اعتدل فى مقعده، وهو ينظر فى ساعته.. لقد تأخرت الممرضة كثيرًا، وهذا ليس معتادًا.. أمسك هاتفه وطلب رقمها..

لا ترد..

أعاد الاتصال ولا رد..



في المرة الثالثة رد عليه صوت شاب متوتر قائلًا:

- آلو يا دكتور..

رد الطبيب قائلًا:

- آلو.. عذرًا، أنا أتصل لأن..

قاطعه المتحدث في عصبية:

- لقد ماتت يا دكتور.. مريضتك ماتت..

ثم انقطع الخط..

وقعت يد الطبيب على مكتبه بالهاتف مذهولًا..

ماتت؟

ماتت؟

كيف؟

ولماذا؟

في هذا التوقيت بالذات؟

ودون أن يفكر نهض وركب سيارته وتوجه تجاه منزلها..

كان يعرفه بالتقريب.. ولكن كان أمامه علامة مميزة للغاية..

سرادق عزاء..

ركن سيارته ونزل ليفهم ماذا حدث..

دخل سرادق العزاء، وسلم على الواقفين وسط النظرات الحانقة الباكية..
وجلس قليلًا يستمع إلى القرآن بأذنين لا تفقهان حرفًا..

ثم نهض وذهب لأخيها الواقف على مدخل السرادق، وطلب منه أن يأتي معه لدقائق..



سأله عما حدث..

أخبره الأخ بصوت كسير: إنهم سمعوا صوت زجاج المرآة يتهشم.. وعندما كسروا الباب ودخلوا عليها كانت فاقدة الوعي..

اتصلوا بطبيب قريب، جاء وكشف عليها، ثم أخبرهم بوفاتها..

دون سبب..

ربما كان هبوطًا عامًّا في الدورة الدموية..

ربما كان جلطة مخية..

أي شيء..

كان الطبيب يستمع، وهو موقن من شيء واحد..

ليست هذه وفاة طبيعية أبدًا..

لا بد أن يحصل على جهاز التسجيل..

لا بد أن يفهم..

واحتار كيف يطلبه من الأخ..

طلب منه أن يعزى أباه وأمه، فسمح له بالصعود إليهما؛ إذ إنهما لا يقويان على النزول لتقبل العزاء بالأسفل..

وعندما صعد إليهما، وجد المأساة مجسمة..

أب مكلوم يبكى..

وأم شاحبة لا تكف عن الارتجاف، وتردد يا حبيبتى يا بنتى..

كان يعرف حاجتهما للحديث مع أحد، وإفراغ ما يحملانه من شحنات سلبية..



جلس معهما، وتحدثا إليه طويلًا..

وبخبرته وبراعته كان يمتص مشاعرهما السلبية امتصاصًا، بكلمات منتقاة ومدروسة بعناية..

حتى جاء ذكر الأب للتسجيل الصوتى الذى جمعهم قبيل الوفاة..

هنا سأله الطبيب بلطف عنه، فأشار إليه العجوز المسكين..

أخذ الطبيب غنيمته، وأنهى جلسته مع الأبوين، وترك لهما مبلغًا كبيرًا من المال، باعتباره باقى مرتب الممرضة..

وعاد إلى عيادته، ليستمع إلى ما تم تسجيله..

■ ■ ■

انتهت آخر قصة.. ومع نهايتها ساد الصمت فى الحجرة..

لو رأى أحد الطبيب الآن، لأحس بالذعر من منظر وجهه الشاحب..

بتحليله لأصوات الناس الرواة لم يجد فيهم كاذبًا قط..

كلهم صادقون، أو على الأقل هم مقتنعون بما حكوه..

واللافت للنظر أن انتهاء الظواهر الغريبة كان غالبًا يحمل طابعًا دينيًّا..

لا يريد أن يعترف لنفسه بذلك، ولكنه شعر بارتياح عند أهل زوجته الذين تدوى عندهم القنوات الدينية بصفة مستمرة..

كان يعزو ذلك إلى الأساطير الشعبية التى ملأت رءوس الناس بمشاكل الجن، وأن حلها دومًا يغلب عليه الصبغة الدينية..

ربما كان كل ذلك ألاعيب نفسية لا أكثر..

كان يفكر فيما حدث لمرضته..



تموت؟

والآن؟

كان موتها غير منطقيًّا بالمرة..

كان ينتظر و يتوقع أن ترى شيئًا..

حلمًا مخيفًا ربما..

لكن تموت؟

هذا غريب..

الآن لم يعد يدرى شيئًا..

لا يتيقن من شيء..

كل المفاهيم داخله مختلطة..

لا يدرى أين الحق..

كل شيء له تفسيران، أحدهما عقلى وعلمى، والآخر خارق أسطورى..

كل شيء له تفسير علمى..

كل شيء له تفسير علمى..

تفسير علمى..

كل شيء..

عدا حلم زوجته..

كيف دخلت طرفًا وهى لا تعلم أى شيء؟

كيف؟



وهذا المريض اللعين..

يريد أن..

يقتل شيطانًا؟

لـو فرضنا بأن الشـياطين موجودون، فهذا الشـيطان بالذات موجـود منذ أمد بعيد، ويتسلى بإيعاز البشر لقتل بعضهم..

ولو كان موجودًا، فكيف سيجدوه ويواجهوه أصلًا؟

ولـو كان موجودًا، فإن حمايته واجبة على ملايين الشـياطين.. فأبوه هو إبليس نفسه..

ولو قتلوه.. كيف سينجون من الأب الخالد الذى لا يموت؟

ولكن..

كل هذا خيال..

لا وجود لشيء من ذلك..

الحل أن ينتظر ذلك المريض..

ويوافقه..

ولنر ماذا سيريه؟.. وإن كان على حق..

فلتأخذ الأمور مجراها الذى ينبغى أن تأخذه..

ولكن..

لو كانت الشياطين موجودة..

فهل الله موجود؟

هل؟



كان عقله ينسحب رويدًا رويدًا رغمًا عنه إلى النوم..

كان يشعر بنهاس هائل.. لا يستطيع الفكاك منه..

عيناه ثقيلتان جدًّا..

ويرغب فى النوم الآن..

نهض من مكانه، وذهب ليتمدد على أريكة المرضى..

وراح فورًا فى سبات عميق..

وبدأ يحلم..

■ ■ ■

نام الطبيب.. وبدأ يحلم..

كان يقف فى سوق ملىء بالآسيويين..

كان يبيع لحمًا..

واقف فى محله المتواضع، يراقب الآتى والغادى، إلى أن جاء أمامه زبون..

ابتسم الرجل ابتسامة واسعة، وهو يقول:

- مرحبًا سيد زهانج.. القطعة كانت ممتازة ورائعة.. عندك حق فعلًا، لم أتذوق فى حياتى لحمًا بهذا الجودة من قبل.. وأطفالى أعجبهم جدًّا.. أريد قطعة أخرى مماثلة من فضلك.. بل أريد مضاعفة الحجم..

ابتسم الطبيب وهو يستخرج من ثلاجة العرض قطعة لحم متوسطة، ويزنها ويستلم منه النقود، ثم قال للزبون:

- إن لحم النعام هو الأفضل.. المرة القادمة لك منى قطعة ممتازة هدية فوق ما سوف تبتاعه.. سأحضرها لك خصيصًا..



ظل الطبيب يبيع ما لديه من لحم إلى أن نفد كل اللحم.. أغلق محله، ثم عاد إلى منزله ليعد مزيدًا من اللحم..

كان يشعر بفرحة تجتاحه.. أخيرًا قد نجح فى تجارته.. أخيرًا..

كان منزله فى أطراف القرية.. وعندما وصل دخل مباشرة إلى الجراج الذى كان يستعمله كمجزر..

أضاء النور وتأمل فى المكان..

كانت توجد فتاة آسيوية ممتلئة الجسد وعارية، مقيدة على منضدة طويلة، ورجل ممتلئ الجسد أيضًا، وعار من الملابس مقيد فى ركن الجراج إلى عامود من الصلب مغروس فى الأرض.. وكان كلاهما مكمم الفم ..

ليس يدرى لماذا؟ لكنه شعر بالسرور لمرآهما.. إنهما سبب لإسعاده بشكل ما..

قال الطبيب لهما فى ود:

- آسف إن كنت تركتكما فترة طويلة، أعرف أن الظلام سيئ.. ولكن عملى يزدهر.. وأمامى عمل كثير اليوم..

انخنى باحترام لهما نصف انحناءة، بينما لم يزيدا على الهمهمة بعصبية من خلف الكمامة..

ذهب لركن الجراج، وارتدى مئزرًا أبيض ملوثًا بالدم من النوع الذى يستعمله الجزارون.. ثم فتح دولابًا خاصًا فى الركن، وانتقى سكينًا رفيعًا وطويلًا، وجذب من الدولاب مسنًا قماشيًا، وأخذ يسنه بسرعة واحتراف وهو يقول:

- إن الناس أحبت اللحم.. حقًا هو الأفضل.. أنا لم أذق لحمًا أفضل من هذا فى حياتى..

أعتقد لأنه طازج.. يجب أن يكون اللحم طازجًا.. هذا هو السر..

أنهى سن السكين، ثم ذهب فى هدوء تجاه الفتاة، وأحضر حبلًا طويلًا من تحت المنضدة التى تستقلى عليها، وربط به فخذا الفتاة بالمنضدة من الأعلى، كل على حدة.. وكأنما يريد حبس الدماء عن القدمين..

كانت المسكينة تتلوى وتحاول الصراخ والصياح، لكنه كان قد أحكم التقييد والتكميم، فلم يصدر منها إلا صوت نهنهة وبكاء مكتوم..

وكأنما يؤدى عملًا روتينيًّا ممتعًا، جاء عند أعلى الفخذ، وبطرف السكين بدأ يشق جلد الفتاة إلى أسفل..

أصدرت الفتاة عواء متألمًا، وتشنج جسدها بالكامل من فرط الألم.. أما الرجل الآخر فقد كان يتلوى ويتحرك بعنف محاولًا الفكاك من هذا القيد الفولاذى..

كان الطبيب يهز رأسه فى سرور، ويقول:

- يجب أن يكون طازجًا..

وبدأ يقطع شرائح من اللحم من الفخذ.. كان متضايقًا من حركة الفتاة وتلويها، لكن استمتاعه بما يفعله كان ينعكس على ضحكاته عندما يقطع اللحم، ويضعه فى الطبق المجاور له، ثم يراقب العضلة المنفصلة عن الجسد وهى تتلوى أو تنتفض أو ترتخى..

وداخل أعماق الطبيب كان يوجد شخص ينتفض من الفزع.. تحت جلد السفاح كان يوجد طبيب مذعور لا يدرى ماذا يفعل.. لا سيطرة له على أى شىء.. مجبر على المشاهدة والممارسة..

كل شىء حقيقى.. كل شىء ملموس.. ليس هذا بحلم أبدًا أبدًا..

مرة أخرى؟



مرة أخرى؟

متى سينتهي كل هذا؟

ليس هذا حلمًا.. إنه واقع مؤلم مرعب واضح بكل التفاصيل الدقيقة..

كان قد انتهى من انتقاء قطع اللحم من القدم اليمنى بالكامل.. تحولت إلى مجموعة عظام متصلة ببعضها فقط.. كان محترفًا لدرجة أنه لن يمس وريدًا قط.. كان يريدها حية واعية لأطول فترة ممكنة..

ثم انتقل للقدم اليسرى وسط صراخ الفتاة الضعيف المكتوم..

وقف بجوار المنضدة وابتسم، وهو يقول لها في مودة:

- أتعلمين، أحب جدًّا شكل العظام النظيفة بعد انتزاع اللحم.. إنه لمشهد رائع..

وبدا يشق الجلد مرة أخرى.. كان منهمكًا في تقطيع اللحم وفصله عن قدمها، حين سمع فجأة صوت الشاب يصرخ بعدما انزلقت الكمامة عن وجهه:

اقتلها..

من فضلك..

ارحمها..

واقتلني من فضلك..

لاااااا أستطيييع التحمل..

جرى الطبيب نحوه وأعاد الكمامة سريعًا إلى فمه وسط تلويه، ووضع على فمه شريطًا لاصقًا إضافيًّا، ثم ربت على رأسه برفق وقال بلهجة معاتبة:

- لا تخف.. لا بد أن يكون اللحم طازجًا.. هكذا يحبه الزبائن.. وهكذا يجب أن يكون..



ثم اعتدل فى وقفته، ونظر نحو الفتاة وقال:

- أتعلم.. أنا الآن أشعر بالجوع.. سأتناول طعامى ثم أكمل عملى لاحقًا ..

وبخطى ثابتة اتجه نحو الدولاب الخاص، وأخرج شواية كهربائية وضعها على منضدة خاصة، ووضع القابس وتركها ثم توجه نحو منضدة الفتاة، وبدأ يتعامل مع ذراعيها وسط أنينها المذعور.. كانت منهكة تمامًا.. خائرة القوى.. لم تعد قادرة على المقاومة، وكانت شبه مغمى عليها ..

اقتطع قطعًا من اللحم بعناية ووضعها على الشواية مباشرة ليعد لنفسه وجبة تسكت جوعه..

ترك اللحم لينضج، بينما فك قيود الفتاة ليقلبها على ظهرها ليأخذ عدة شرائح من ظهرها، وعلقها فوقها مباشرة لتجف..

وفى النهاية حمل الفتاة التى كانت على وشك الموت.. لم يتبق منها إلا الرأس والرقبة والصدر.. الأربطة التى ربطها ساعدت على الإبقاء عليها.. ولم يمس أيًّا من أعضائها الحيوية.. كان يقتطع العضلات فقط..

سار بها خارجًا من الجراج، والتف حوله إلى الفناء الخلفى، حيث توجد كلابه الثلاثة..

ما إن رأوه، حتى حركوا ذيولهم بفرح، ووقفوا على قوائمهم الخلفية بانتظار ما سيلقيه لهم.. وألقى إليهم الفتاة، ووقف للحظات يراقبهم وهم يجهزون على ما تبقى منها، ثم عاد للداخل ليتفقد اللحم المشوى..

صنع شطيرة كبيرة، واتجه نحو الرجل المقيد فى الركن، وجلس أمام الرجل المقيد يلوك اللحم فى هدوء..

كان الطبيب داخل جسد الجزار يشعر بتقزز رهيب..



طعم اللحم..

لحم بشرى.. طازج..

لا يدرى ماذا يفعل..

كيف سينتهى هذا الموقف؟

لا يستطيع التحمل..

إنه يشعر وكأنه على شفا صدمة عصبية..

وعلى الرغم منه أنهى الشطيرة أمام الرجل، ثم قام من مكانه، وبدأ يجذب الرجل نحو المنضدة، رغم مقاومته وانتفاضاته..

ساعده على جذبه شدة توثيقه للرجل، فلم يستطع المقاومة تقريبًا.. وعلى الرغم من ذلك فقد أنهكه بشدة وضع الرجل على المنضدة وربطه..

وقف جواره يلهث للحظات، ومسح عرقه بكمه، وقال للرجل الممتلئ:

- أتعلم.. يجب أن يكون اللحم طازجًا..

وأحضر حبلًا من أسفل المنضدة، وبدأ يربط فخذ الرجل من الأعلى..

ثم استيقظ من النوم..

فتح عينيه ببطء على الأريكة..

وظل يحدق فى السقف..

كان يتنفس فى بطء وألم..

لا يستطيع الحركة.. يشعر بالدوار..

لم يكن حلمًا..

ما زال يشعر بأثر السكين فى يده..



مذاق اللحم فى فمه..

حاول النهوض.. لكن جسده يرفض الاستجابة..

حاول مرة أخرى..

وبتثاقل نهض..

وضع وجهه بين يديه، وأخذ يرتجف..

مرت لحظات، وفجأة أحس بيد تربت على شعره..

رفع عينيه المفزوعتين، ليجد ذا السواد بنفسه واقفًا أمامه..

اتسعت عيناه عن آخرهما..

ذو السواد؟

ذو السواد !!

ذو السواد!!

توقف نبض قلبه من الذعر..

بينما وضع الشيطان يده على كتفه مشجعًا.. ومد يده إليه بشيء أسود..

لم يتحرك الطبيب..

مد الشيطان يده بما يحمل، ووضعها داخل فمه..

ورغمًا عنه أخذ يلوك ما فى فمه..

طعمها مر.. لكنها حلوة..

ومع ذلك أخذ يقاوم أن يلوك..

ويقاوم..



ويقاوم..

حتى استيقظ حقًّا هذه المرة..

نهض من نومه صارخًا بأعلى صوته، وبصق شيئًا ما كان في فمه..

جلس وأخذ يلهث في عنف..

هذا الطعم المر الغريب في فمه..

نظر إلى حيث بصق.. ووجد شـيئًا أسـود يذوب على سجادته.. يذوب بسرعة فلم يتبق منه إلا بقعة سوداء على طرف السجادة ..

شعر بالدوار يكتنفه..

ما هذا؟

ثم دق جرس باب العيادة..

□□□

◇◇

نهاية الجلسات..



الجزء الثانى

الخلاص



□□□

ما قبل البداية..

وما قبل النهاية..

جلساتى مع الطبيب انتهت.. لم تعد هناك جلسات..

لم يعد هناك وقت..

ولم يعد من الحكمة أن أتوارى فى الظلام؛ لأن الظلام بنفسه يأتى ليبحث عنى..

الآن أحكى بنفسى ما قد حدث.. ولماذا قد حدث..

الباقى جد قليل.. فأنصت إلىَّ جيدًا، وانتبه لكلامى.. قد لا يسعفنى الوقت لكى أنهيه.. ما حدث هو..

■ ■ ■

فى قاعة محاضرات الجمعية العامة للشئون الروحية فى لندن، ارتفع تصفيق الحضور للدكتور (جلال الدين عامر) أخصائى التعامل النفسى، والعالم الدينى المرموق..

توجهت الأنظار إليه بجسده الضئيل، ولحيته البيضاء المنمقة، وشعره الأبيض كالثلج، على الرغم من أنه لم يتجاوز الخمسين عامًا..

ارتفع نظره تجاه المدرج المكتظ بالحضور، وهو يبتسم قائلًا:

ولذلك، فأنا أتحدى أى شيطان أو جنى أن يمسنى بسوء الآن..



ساد الصمت، ثم دوى تصفيق حاد مرة أخرى..

عاد يقول:

- من خـلال الأفلام الوثائقية التى رأيتموها تبـين لكم شىء واضح.. أن الجان والشـياطين وكل هـؤلاء شىء واحد.. اختلفت المسـميات، واختلف تعريف كل شخص لهم..

عند الثقافة المسيحية هم ملائكة سقطوا من السماء، فتحولوا لشياطين..

وعند الثقافة الإسـلامية واليهودية هم (جن).. مخلوق متفرد بذاته لا علاقة له بالملائكة..

وعند بقية الثقافات هى مجرد (أرواح نجسة)..

والواقع أن الجان هم شـعوب وقبائل مثل البشر تمامًا.. منهم المسـلم والمسيحى واليهـودى وغيرهـم.. منهـم من يتبـع إبليس، ومنهـم من يعبد اللـه.. وهم لا يستطيعون الإيذاء المباشر أبدًا..

صمت للحظات، ارتشف رشفة ماء من كوب أمامه، ثم استطرد:

- إنهم يعيشـون فى عالم غير عالمنا.. نستطيع أن نقول إنه عالم موازٍ لنا.. ومنه يوسوسـون لنا.. يلعبون بعواطفنا وعقلنا.. يدفعوننا عقليًّا إلى الشر.. أما الفعل النهـائى فيكون بكامل الإرادة البشرية.. لا سـلطان ولا قوة لهم على الإنسـان مطلقًا.. فقط يوسوسون..

أحيانًا يسـتطيعون العبور إلى عالمنا، ولكن بقوانين صارمة.. إذ إنه كى يعبر إلى عالمنا لا بد أن يتجسد..

يتشكل..

قطًّا أو كلبًا أو ثعبانًا.. أو لو كان قويًّا حقًّا يستطيع أن يتشكل فى صورة إنسان..



وفى حالة التجسد هذه يخضع تمامًا لقوانين عالمنا.. أى أنه يمكن أن يجرح، وينزف، ويقتل..

لذلك هم لا يتجسدون مطلقًا إلا بأسباب معينة.. ويمكن تلخيص هذه الأسباب فى سبب من اثنين:

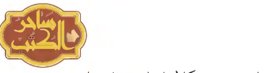
إما لأداء مهمة ما تتطلب التواجد المادى فى عالم الإنسان، وإما كعقوبة لبعض الخارجين عن نظم العشيرة المتواجدين فيها.. فيعيش فترة على مثل معيشة الحيوان.. قط أو كلب مثلًا، كإهانة له، ويكون متابعًا من عشيرته فى هذه الفترة.. طبعًا يكونون فى أقصى حالات غضبهم فى هذه الحالة، يفضل الابتعاد عنهم حتى لا يحاولون إصابة الإنسان بمكروه..

وغالبًا يتابعهم أهلهم من الجن؛ لإرشادهم إلى أماكن الغذاء مثلًا أو أماكن آمنة للمبيت..

ومن هنا نستطيع القول أن أقصى ما يستطيعه الجن هو (الإيحاء) فقط.. وبدرجات متنوعة..

مثلًا، كأن يصدر صوتًا غير مفهوم فى مكان مهجور.. طرقات على نوافذ المنازل.. أحلام سيئة.. عيون الصور والتماثيل مصدر جيد لإثارة الفزع.. أحيانًا يثيرون الحرائق.. ولكن هذا يتطلب جهدًا هائلًا، وقد يموت المتسبب فى هذه الحرائق نفسه.. أى أنها أشبه بالعملية الانتحارية.. وهكذا..

دائمًا ما يتصيدون الإنسان فى أوقات ضعفه ووحدته، فيحاولون إثارة خوفه.. والواقع أن الحالة النفسية للإنسان مهمة جدًّا.. لأن كلما ضعف الإنسان نفسيًّا، استطاع الشيطان التأثير عليه بصورة أقوى.. لذلك يكون دائمًا بداية حالات المس والتلبس الشيطانى هى عند الخوف الشديد أو الغضب الشديد،



خاصـة في الأماكـن التي يكـثر فيهـا وجودهـم، كالحمامـات، والصحارى، والبيوت الفارغة..

أما بالنسبة لموضوع المس، فيجب علينا أن نفهم شيئًا.. لا وجود للمس..

ضجـت القاعة بهمهمـة عالية، فصمـت الدكتـور حتى انتهـت الهمهمة، ثم استطرد:

- نعم.. لا وجود للمس.. والتفسير بسيط للغاية.. كل ما نراه من أناس ملبوسين يصرخون ويتلوون، هو مجرد وهم في عقولهم.. هم مرضى نفسـيون لا أكثر.. ومن صنع هذا المرض النفسي هو أحد أفراد الجن..

دعونا نتخيل هذا الموقف.. شـخص يعيش وحده دخل لينام ليلًا.. وسمع صوتًا أثار رعبه بشده.. نهض مفزوعًا ليرى كوبًا يتحرك من تلقاء نفسه.. هنا اعتصر الرعب قلبه.. ما حالته النفسية الآن؟

بالضبـط.. هـش جدًا.. أسـتطيع الآن أن أجعله يفعـل أي شيء.. ويقتنع بأي شيء.. منهـا أنه ملبوس بالجـن.. فيبدأ عقله بالتعامل على هذا الأسـاس.. وفي الواقـع أنه ليس ملبوسًـا بالجن، إنمـا هو مصاحب للجن.. جن اسـتطاع زرع فكرة برأسـه وتركه ليتعامل على أساسـها.. شيء مثل رواية (د. جيكل ومستر هايد).. تحول نفسي شنيع..

ولو تأمل قليلًا.. ما المخيف في كوب يتحرك من تلقاء نفسه؟

هذا عمل بسـيط جدًا، ولو أراد الجن إيذاءه منذ البداية لفعل.. ولكن يجب أن يدمر حالته النفسـية أولًا.. يقضي عليه نفسـيًّا، وذلك عبر المجهول.. الإنسان يعادي دومًا ما يجهله.. ويخاف مما لا يفهمه، حتى ولو كان كوبًا يتحرك..

أمـا العلاج، فـلا بد من رموز دينيـة، ولا بد من الكثير مـن الصياح والصراخ



وأحيانًا بعض الدماء.. هكذا يرى العقل المريض أنه سوف يتخلص من الجن.. فى هذه الأثناء (جلسة طرد الأرواح الشريرة) يرى الجن عمله ينهار، فيصنع بعض الأعاجيب بالنسبة لنا.. شباك ينفتح مثلًا.. نجفة تتحرك.. صوت عواء..

وهنا لا يكون لأحد القرار إلا صاحب الحالة نفسه.. أو بالمعنى الأدق (عقله اللاواعى).. إما أن يقتنع بأن جلسة طرد الأرواح الشريرة هذه قد نجحت ويعود إلى حالته الطبيعية فورًا، أو لا يقتنع، وفى هذه الحالة يحتاج إلى جلسة ثانية أو ثالثة.. وهو ما يعتمد نوعا ما على براعة وإصرار الذى يقوم بالجلسة..

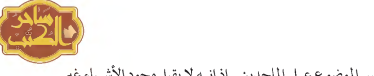
الدليل على ذلك أنى قمت بجلسات لطرد الأرواح الشريرة باستخدام أساليب علمية تمامًا، ومنها التنويم المغناطيسى، أو عقار بنتوثال الصوديوم، والذى جعل الموضوع مسليًا حقًّا.. فهو يريد أن يفعل ما يعتقد أنه سوف يحدث، لكنه لا يستطيع.. جسده مخدر تمامًا..

وهو ما رأيتموه وضحكتم عليه فى الفيديو الأخير..

دعونى أسألكم سؤالًا.. لماذا لا يحدث مس شيطانى إلا للذين يعتقدون فى إمكانية حدوثه فقط؟

وسؤال آخر: لماذا لا يحدث أبدًا أى مس شيطانى لكاهن مسيحى، أو شيخ مسلم، أو كاهن يهودى، أو أى رجل دين عمومًا، أو حتى لأى ملحد؟

إجابة هذا السؤال هى كل ما شرحته منذ قليل، وأضيف عليه اعتقاد كل منهم باستحالة أن يقربه شيطان وهو فى مكانه المقدس.. والعدو الأول لأى شيطان هو قوة المعتقد.. يفسد تمامًا القدرة على الإيذاء النفسى لديه..



وينطبق نفس الموضوع على الملحدين.. إذ إنه لا يقبل وجود الأشياء غير المادية.. ولا يقبل إلا ما يراه فقط.. فلا يقبل وجود الله والملائكة والشياطين.. فلا يستطيع الشيطان إيذاءه إلا فكريًّا فقط، وهو غالبًا ما لن يحدث..

ومع ذلك، فتظل القدرة على التجسد، أو إصدار الأصوات، أو غيرها من المؤثرات الخاصة بهم موجودة أمام رجال الدين والملحدين سواء بسواء.. والتأثير بالطبع يكون مختلفًا..

وإذا تأملنا هذه التأثيرات تجدونها مضحكة للغاية.. كوب يتحرك كما قلت.. ستائر تتحرك.. باب يتحرك ببطء.. ما المخيف هنا؟ بعض الثبات وقت هذه الظواهر يجعل الشيطان يعود خائبًا.. وهذه الظواهر هى أقصى ما يمكنه فعله، بعيدًا عن الأفلام الهوليودية المبالغ فيها..

أما السؤال الذى سأختم به هذه المحاضرة:

لماذا يفعل الجن والشياطين ذلك؟

هناك هدف واحد توضع تحته كل الأهداف.. أن يجر الإنسان للخسارة.. بشتى الطرق.. إنه يكره الإنسان كراهية لا حدود لها.. لا يريده أن يفعل إلا الشر.. أن يهبط لأعماق الجحيم.. ويريد أن يثبت للإنسان قوته، فيخلق لنفسه قوة زائفة من قلب ضعفه..

صمت الدكتور (جلال الدين) ليرى تأثير كلامه على الحضور، ثم قال:

- شكرًا لاستماعكم..وشكرًا لتقبلكم وجودى هنا بينكم..

دوت القاعة بتصفيق حاد جدًّا، ونهض الحضور تدريجيًّا لمغادرة القاعة، بينما غادر الدكتور المدرج من بابه الخلفى فى هدوء، وخرج من المبنى تجاه الفندق الذى نزل فيه..

بعد عدة دقائق كان يجلس في حجرته، ويستعد لطلب خدمة الغرف عندما شعر بشيء غريب.. كأن جو الحجرة امتلأ فجأة بالكهرباء الإستاتيكة، ثم ظهر فجأة أمامه شخصان من قلب العدم..

■ ■ ■

كان الموقف غريبًا.. لم يدر الدكتور ماذا يقول أو يفعل.. ظهر الشخصان بغتة، ووقفا يحدقان حولهما دون كلمة.. ثم تركزت أنظارهما عليه..

نظر نحوهما بتحفز، وكل عضلة في جسده تتوتر وترتجف.. لم يكن يشعر بالخوف، كان يحارب طوال عمره قوى الظلام، وكان يتوقع زيارة غادرة في أي وقت.. لكن مع ذلك شعر برجفة تجتاحه ولم يدر سببها..

تحدث الأول قائلًا بصوت هادئ:

- أأنت الدكتور جلال الدين؟

رد الدكتور بصوت مبحوح:

- نعم..

تحرك الرجلان من مكانهما، وجلسا على الفراش المقابل له.. كانت عيناه تتابع حركاتهما دون أي رد فعل.. كان متعجبًا مما يحدث، وبدأ الشخص الأول يتحدث:

- د/ جلال.. نحن بحاجة لمساعدتك.. بشدة.. فهل توافق؟

انعقد حاجبا الدكتور في دهشة، وسأل الرجلين:

- أي نوع من المساعدة بالضبط؟

قال الرجل الأول في بساطة:

- نريد أن نقتل شيطانًا.. ابن إبليس في الواقع..



ارتفع حاجبا الرجل في دهشة.. لم يدر ماذا يقول.. سألهما:

- أأنتما بشريان؟

- نعم..

- ولماذا تريدان قتله؟ وكيف جئتما إلى هنا بهذه الطريقة الغريبة من الأساس؟

تنهد الرجل الأول وقال:

- حسنًا.. هذه قصة يطول شرحها.. ولكن يكفى أن تعرف أن الشيطان اختارنى لمهمة دموية.. أن أكون قاتلًا متسلسلًا.. يلعب برأسى ويأتينى ويزرع فى عقلى مشاهد مروعة من الماضى والحاضر.. الشياطين يتلاعبون بمن ألجأ إليهم وأطلب منهم المساعدة..

صمت للحظة ثم قال:

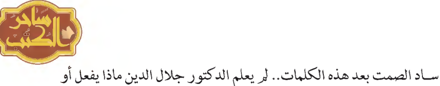
- إنه اختارنى ولن يتركنى.. يترك لى تذكارات شيطانية طوال الوقت.. أعطانى قدرات شيطانية لا أدرى عنها شيئًا.. أستطيع التنقل إلى أى مكان فى العالم بمجرد التفكير.. أعطانى هذا الخاتم..

وأظهر خاتم راؤول للدكتور..

ثم استطرد:

- يترك أتباعه حولى فى كل مكان.. لا مفر ولا مهرب منه.. يأتينى فى الأحلام واليقظة.. استعنت بهذا الطبيب النفسى لأواجه مخاوفى.. اخترته لأنه ملحد ولن يصدق شيئًا.. ظننت أنه الوحيد الذى لن يقربه الشيطان، لكن الشيطان هاجمه وهاجم زوجته..

نعلم أن لك باعًا طويلًا فى محاربة الشياطين.. نعلم أنك قوى.. هل يمكنك أن تساعدنا؟



ساد الصمت بعد هذه الكلمات.. لم يعلم الدكتور جلال الدين ماذا يفعل أو ماذا يقول؟.. كان يشعر بذهول من كل هذه المعلومات.. كان طوال عمره يحارب الخطر والغموض بالعقل والعلم والدين.. لكن الآن يأتيه ما لم يسمع عنه من قبل.. أخيرًا تكلم بصوت مبحوح وقال:

- أنا.. أنا لست.. حسنًا.. سوف أساعدكم قدر المستطاع.. لكن.. هل لديكم فكرة اضحة عن الطريقة التى تريدون منى أن أساعدكم بها؟

- هناك عدة طرق تستطيع بها مساعدتنا.. نحن سنفعل شيئًا لم يفعله إنسان من قبل.. عليك أن تفكر.. إن وجودنا هنا فى حد ذاته خطر عليك أنت.. صدقنى نحن نتعامل مع قوة خارقة للطبيعة.. قوى شريرة تستطيع أن تفعل ما لا تتخيله.. أنا آسف..ولكن وجودى هنا إشارة خطر للشياطين منك.. هم يعلمون من أنت.. قدومى إليك بمثابة إعلان الحرب.. لقد تمردت على الشيطان، وهذا هو موقفى العملى.. يمكننا الذهاب.. يمكننا الاختفاء.. لكنك ربما لن تعيش لتعرف ماذا فعلنا أبدًا..

صدقنى أنت لو ساعدتنا فستنقذ أرواحًا أخرى كثيرة.. وإن لم تساعدنا.. لست أضمن ما سيحدث لك بالضبط.. ليس هذا تهديدًا يا سيدى.. إنما رجاء.. ساعدنا من فضلك..

كان الدكتور جلال يستمع إلى المتحدث، وعيناه متسعتان على آخرهما.. كان يشعر بالدنيا تدور من حوله.. أخذ يفكر.. هذه هجمة لم يكن يتوقعها.. لم يكن لديه زوجة أو أولاد يخشى فقدهم.. ماتوا منذ زمن بعيد فى حادث مؤلم.. لا يوجد لديه ما يخشاه، ليس لديه أحد.. وإن مات فلا بأس.. لربما قابل عائلته لاحقًا..



عند هذه النقطة رفع عينيه إلى المتحدث وقال:

- سأساعدكم.. ولكنى أريد معرفة كافة المعلومات عن هذا الشيطان.. الآن..

ابتسم المتحدث، ثم بدأ يتكلم..

حكى له كل ما يعرفه عن هذا الشيطان.. أخذ يتحدث طوال ثلاث ساعات كاملة، لم يترك فيها معلومة إلا وذكرها..

كان كم المعلومات التى يتلقاها الدكتور جلال كبيرًا وغريبًا عليه.. بعد انتهاء الحكى، قال الدكتور:

- أظن أنى أعرف كيف يمكن مواجهته..

نظر الرجلان لبعضهما، وابتسم الدكتور جلال، ثم قال:

بالتأكيد عندى طريقة..

ثم بدأ يتكلم..

■ ■ ■

قال الدكتور جلال:

أنتما تعرفان أن الشياطين أرواح نجسة خاطئة.. يحاولون دائمًا إقناع البشر بشتى الأفكار الخاطئة..

إبليس كان يتمنى أن يكون ملاكًا..

ارتقى ليعبد الله مع الملائكة، لكنه لم يكن قط ملاكًا..

فقط أقنع بعض البشر أنه ملاك نزل من السماء للأرض..

وأحيانًا يتجسد بشكل جميل للبشر، و يقنعهم أنه ملاك..

أحيانًا يقنع البشر أن كل ما حدث هو مجرد سوء تفاهم..



يريد أن يثبت أن الله أخطأ..

يدفعه لكل ذلك كراهية عمياء لآدم وذريته..

يدفعه يأس أنه داخل إلى الجحيم لا محالة..

فأخذ يقنع البشر أنه صاحب الجحيم..

مالك الجحيم..

الجحيم ملكه، والجنة ملك لله..

أخذ يبث أفكارًا خاطئة للبشر، نراها أحيانًا فى الأفلام..

نرى الملائكة أشرارًا ويخطئون ويقتلون، ويعصون الله..

نراهم يصورون الله بشخص لا يدرك حجم أفعاله، ويخطئ ويندم.. نراهم يصورون الله تعالى فى صورة طفل صغير أحيانًا..

وأحيانًا يتطاول عليه الأنبياء..

نراهم يصورون الله بشخص لا يعلم..

لا يدرك..

ولا يستمع للبشر..

وفى مقابل كل ذلك نراهم غالبًا يصورون الشياطين بطريقة من اثنتين:

إما أنهم يتلبسون البشر ويؤذونهم، ويدفعونهم للموت والقتل بطرق غاية فى الرعب..

أفلام فى غاية الرعب..

وإما أنهم طيبون مرحون يفعلون كل خير للبشر؛ لأنهم يحبون البشر، والخطأ كله عند الله وعند الملائكة..



أصبحت هذه الأفكار الضالة منتشرة بشكل كبير..

ويصبح الشيطان وأتباعه أقوى يومًا بعد يوم..

يقتاتون على الخوف والألم البشرى، لتزيد قوتهم الحقيقية..

الوهم..

قوة الوهم..

عندما يهدمون الإرادة البشرية يصبح الإنسان كلعبة بالية لا فائدة ترجى منها..

لذلك يمكن المواجهة..

مواجهة نفسية..

صراع إرادات..

يمكن المواجهة..

إنه يأتى إلينا دومًا..

فلو أردنا مواجهته يجب أن نذهب إليه..

فى أرضه..

أن نحاربه ونهزمه فى مكانه..

فى عالمه..

كان الدكتور يتحدث، وعيون الرجلين وآذانهم تتابعه فى اهتمام.. فلما صمت، تحدث الطبيب النفسى لأول مرة وقال:

وكيف ذلك؟ نذهب لعالم الشياطين؟

ابتسم الطبيب وقال:

- نعم.. البشر يفعلون ذلك طوال الوقت.. أحيانًا يفعلونها دون حتى أن



يعرفوا.. كل السحرة تقريبًا يعبرون الحاجز ويرجعون.. سنذهب.. سنذهب بأرواحنا فقط.. ولنر ساعتها ماذا سيحدث..

- وكيف سنعبر؟

حدق الدكتور جلال الدين فى الفراغ بعض الوقت.. ثم نهض وأخذ يدور فى الحجرة وهو يفكر.. احترم الرجلان صمته، ولم ينبس أحدهما ببنت شفة طوال عشر دقائق كاملة..

جلس الدكتور أخيرًا، وتنهد فى عمق وهو يقول:

- بعد تفكير.. ليس أمامنا إلا طريق واحد لنسلكه.. المواجهة.. مواجهة فردية بيننا وبينه..

ساد الصمت مرة أخرى، لا يقطعه سوى صوت التنفس الثقيل للرجال.. قطعه الطبيب قائلًا:

- وكيف يمكننا أن نواجهه؟

تنهد الدكتور جلال مرة أخرى، ثم قال لهما:

- أعيرانى انتباهكما جيدًا..

من الطبيعى أن يتجاوز الشيطان عالمه إلى عالمنا أحيانًا.. يعيش معنا بقوانيننا.. قد يكون قويًّا..

أو ضعيفًا..

ولكنه غالبًا ما يكون فى قوة الإنسان العادى، ولا يمكنه التحول من هذه الحالة إلى حالة أخرى من التشكل أو التحول إلا إذا كان بمفرده فى عالمه..

فى عالمه يملك أكبر قوة.. قوة الوهم.. يستطيع أن يدفعك بنفسك للهلاك.. لكن فى عالمنا لا يملك إلا ما يعطيه له عالمنا فقط.. كأى إنسان عادى..



ويجب أن ندفعه للتجسد.. ثم تأتى مرحلة قتله..

سأله الطبيب فى توتر:

- وكيف يمكننا أن نجعله يتجسد؟

تنهد الدكتور جلال الدين للمرة الثالثة، ثم قال:

هذا أصعب ما فى الموضوع.. نحتاج لعزلة فى مكان يقصده الشياطين.. المقابر مثلًا.. ونحتاج لبعض الرموز التى يمكننا أن نستدعى به الجنى أو الشيطان.. ثم ندعوه للتجسد.. أو.. أو التلبس..

قاطعه الأول فى توتر هاتفًا:

- تلبس؟ كيف ذلك؟ ألم تقل أنه لا وجود لشيء مثل ذلك؟

توتر صوت الدكتور جلال أكثر، وهو يقول:

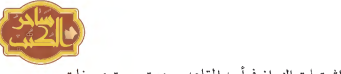
نعم.. لا وجود لشيء مثل ذلك طواعية.. يجب أن يدعو الإنسان الشيطان لسكنى جسده بكامل إرادته، ثم يقبل الشيطان السكن فى قلبه.. يعيش فيه..

صمت للحظة، ثم قال:

- المشكلة الحقيقية ليست فى هذه الأمور.. المشكلة الكبرى أننا نتعرض لأحد أقوى الشياطين.. لذلك تفوق قدرته على صناعة الوهم أقصى ما يمكننا أن نتصوره.. ولست أدرى بالضبط ما الذى يمكن أن يفعله بنا؟..

لم ينبس أحد ببنت شفة بعد ذلك.. كان الطبيب يرتجف وهو ينظر للأرض، والدكتور جلال صامت يراقب الفراغ، أما الأول فكان يضع يده تحت ذقنه ويفكر.. عيناه فيهما تصميم.. ثم نظر للدكتور جلال وقال:

- حسنًا.. لو كنت مستعدًا فأنا مستعد.. لم يكد ينهى كلماته حتى ارتجت الحجرة بأكملها.. رجة عنيفة أصابت كل شيء.. ثم وقعت خزانة الثياب



على الأرض.. وفجأة اشـتعلت النيران فى أحد المقاعد.. ودوت صوت صرخات عالية.. ومن قلب أرضية الحجرة ظهر ما يبدو وكأنه قطة سـوداء تسـير ببطء وخيلاء أمامهم وتموء.. ثم اختفت، واختفى كل شيء..

انعقد حاجبا الدكتور جلال بشـدة، بينما كان الأول يقف بلا حراك وبلا أى تعبـير.. أما الطبيب فقد اتسـعت عيناه على آخرهمـا، وظل ينتفض وينتفض.. وفجأة أجهش بالبكاء ودفن وجهه بين يديه..

كانـت أحاسيسـه فى تلك اللحظـة فى غاية الاضطـراب.. ما يـراه الآن ليس هلوسـة بالتأكيد.. الشـياطين موجودة.. إذًا الله موجود.. كانت صدمته غير كل ما توقعه فى حياته.. طوال الوقت كان يحاول إقناع نفسه مع هذا المريض أنه يخدعه بشكل ما.. ولكن الآن..

لقد رأى الشـيطان بنفسه.. وعلم أن الله موجود.. يوم أن أطعمه الشيطان تلك القطعة السوداء.. عرف الله من خلال الشيطان..

يومهـا آمن.. يومها قـام منتفضًا ليفتح بـاب العيادة ليجد ذلـك المريض واقفًا ينظر إليه بصرامة، منتظرًا ما سيفعله..

ويومها امتلأ قلبه بالإيمان..

ويومها امتلأ قلبه بالرعب والفزع..

الخوف نهش قلبه.. تحول من شخص لا يصدق فى وجود شيء إلى شخص يخاف كل شيء..

عـرف أنه تحدى الله نفسـه أوقاتًا كثيرة.. فارتجف.. هـذا مخلوق من مخلوقاته يثير فزعه ورعبه.. فما بالك بقوة الله نفسه؟

خاف على زوجته من شر الشياطين..



وخاف على نفسه.. ما زال يريد أن يعيش..

يومها صرخ طالبًا من الله الغفران..

تذكر كل ذلك، وهو يبكي و يرتجف أمام الدكتور (جلال الدين)..

انتظره الدكتور حتى أنهى بكاءه، ثم أعطاه منديلًا، وقال له:

- مستعد؟

رفع عينين محمرتين من فرط البكاء، وقال بصوت مرتجف:

- مستعد..

أومأ الدكتور برأسه وقال:

- على بركة الله نبدأ.. هيا بنا..

■ ■ ■

قال الدكتور لرفيقيه:

- الآن نراجع ما سوف نفعله.. سنذهب إلى المقابر ليلًا.. سنختار مقبرة لشخص مقتول؛ لأن الشياطين تحب العيش على آثار الدماء.. هناك سنستدعى قائد الأرواح النجسة..

سنستدعى ابن الشيطان..

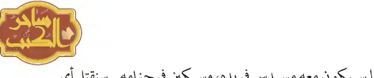
سيحاول المقاومة..

سيدخلنا جميعًا فى أوهام رهيبة..

سيحاول حماية نفسه بشراسة..

لا تستسلموا..

كل ما سيحدث هو مجرد وهم..



كل واحد فينا سيكون معه مسدس في يده، وسكين في حزامه.. سنقتل أى كائن حى يظهر فى المقبرة فورًا.. أى استفسار؟

لم ينبس أحدهم ببنت شفة.. ساروا جميعًا حتى وصلوا إلى السيارة، وركبوها متوجهين إلى المقابر التى على أطراف البلدة..

كان الدكتور جلال يضع فى سيارته بعض التسجيلات الصوتية لقراء القرآن الكريم.. وضعها على وضع التشغيل، وبدأ يسير نحو المقابر..

للمرة الثانية فى حياته شعر الطبيب براحة غريبة مع سماع آيات الذكر الحكيم..

لم يتحدث أحد فيهم حتى اقتربوا من المقابر..ابتسم الدكتور وقال:

- شارفنا على الوصل.. من حسن الحظ أننا سنقوم بهذه العملية فى مقابر إنجلترا البهيجة.. لو كنا فى المقابر المصرية الكئيبة لمتنا رعبًا قبل أن نفعل أى شيء..

هبطوا من السيارة بالقرب من المقابر، وساروا بهدوء نحو منطقة منخفضة نوعًا ما ليكونوا بعيدين عن أعين الفضوليين..

كان الأول يسير بثقة، بينما يسير الطبيب خلفه بخطى مرتجفة.. رغمًا عنه كان يشعر بالرعب يكتنفه.. رعب رهيب لم يشعر به فى حياته من قبل قط.. وفى سره أخذ يذكر الله تعالى.. كان يحاول أن يستمد منه القوة..

كان الجو باردًا.. والسماء تكتنفها الغيوم، وعلى الرغم من ذلك فالقمر يظهر ما بين الحين والآخر من خلفها ثم يعود ليتوارى..

لم تتأثر الإضاءة كثيرًا بسبب أعمدة الإنارة الموزعة فى كل مكان..

لا صوت إلا صوت الأعشاب تتحطم تحت أقدامهم وهم يسيرون نحو النقطة المنشودة..



فجأة توقف الجميع..

فجأة ظهر أمامهم من الفراغ كلب أسود ضخم..

وقف أمامهم فى هدوء دون أدنى حركة..

عيناه الحمراوان كاللهب تحدق فيهم بنظرة مخيفة..

على الفور ارتفع صوت الدكتور جلال بذكر الله تعالى فاختفى الكلب.. ثم أكمل المسير، وهو يقول:

من الآن تبدأ الحرب.. هذا الكلب كان مجرد نذير.. لم يفعل شيئًا بعد..

كان الطبيب النفسى ينظر إليه وهو يتحدث.. الرؤية لم تعد نقية كالسابق.. الدنيا تظلم رويدًا رويدًا..

و فجأة وجد نفسه وحده.. اختفى كل شيء من حوله وساد الظلام..

شعر بالخوف يمزق قلبه..

رفع صوته بالنداء على رفيقيه، ولا من مجيب إلا صدى صوته من بعيد..

فجأة صدر صوت قرقعة وبدأت الأنوار تسطع فى المكان.. إنه جالس يذاكر على كرسيه القديم..

يوم وفاة أمه..

ماذا يحدث؟

نهض من على كرسيه بحذر، وقام ليرى ما حوله.. لا شك.. إنها حجرته القديمة..

بخطى مترددة سار ليخرج من حجرته.. صوت تنفس ثقيل يأتى من حجرة أمه.. معقول؟



سار خطوات حذرة، ثم وجد أمامه أمه نائمة وتعطيه ظهرها..

اغرورقت عيناه بالدموع..

أمى..

أمى..

اندفع بخطى سريعة ليحتضنها..

ببطء التفتت إليه ليجد نفسه يحتضن جثة أمه المحترقة..

تركها وصرخ وعاد خطوة للوراء فى فزع..

فجأة شعر بالنيران تشتعل حوله من كل جانب.. أمه تنهض من فراشها وترفع إصبعًا محروقًا إليه وهى تقول:

- أنت السبب..

- أنت قتلتنى..

أخذ يصرخ ويصرخ، ويتراجع بظهره إلى أن اصطدم بالحائط، وهى تقترب منه..

وفجأة أفاق على صفعة هائلة نزلت على وجهه.. فتح عينيه ليجد نفسه ممددًا على عشب المقابر، وفوقه الدكتور ورفيقه ينظران إليه بتوتر..

سأله رفيقاه عم حدث؟..

أخذ يحدق فيهما ولا يستطيع التحدث.. أخذ جسده ينتفض بشدة.. إنه لا يستطيع التحمل..

لا يستطيع..

لا يستطيع..



ثم سمع صوت زوجته الجميل وهى تنادى باسمه فى عذوبة.. التفت إليها ليجد نفسه فى حجرة نومه.. وزوجته تناديه بعذوبة وهى واقفة أمام شرفته المفتوحة..

ضوء القمر يغمر كل شيء..

شعر بتوتر عنيف..

ماذا يحدث؟..

ماذا يحدث؟

سمع ضحكة زوجته اللعوب وهى تناديه.. حدق إليها وهى تسير ببطء إلى الفراش، ثم تستلقى فوقه فى إغراء، وتشير إليه أن تعال..

شعر بالتوتر يكتنفه..

هناك شيء ما خطأ..

ثم بدأ يشم هذه الرائحة..

رائحة عفونة قوية هجمت عليه فجأة..

رفع عينيه ينظر لزوجته ليجدها أمامها مباشرة..

تستلقى على الفراش، والدود والعفن يغمران جسدها تمامًا.. وتضحك له وتشير له أن تعال..

صرخ مرة أخرى وصرخ ووضع يديه على عينيه.. وفتح عينيه ليجد نفسه مرة أخرى مستلقى على عشب المقابر..

كان بجواره الدكتور جلال واضعًا يده على جبهته، ويلهج بذكر الله تعالى.. وعنما أفاق ساعده الدكتور على الاعتدال قائلًا:



إنه هنا.. بدأ هجومه عليك.. تماسك قليلًا يا بنى.. تماسك.. واستعصم بالله..
سيغرقك فى الأوهام حتى تفقد عقلك أو يتوقف قلبك ذعرًا..
تماسك.. قوى إيمانك..

- إيمانى؟

زلزلته هذه الكلمة حقًّا هذه المرة.. إيمانى؟

هل أنا مؤمن؟

هل يقبلنى الله؟

أكمل الدكتور كلامه، وقال:

- استعن بالله يا ولدى.. قم بنا وهيا لنكمل..

نهض الطبيب وهناك شيء ما متغير من داخله.. لا يدرى لماذا لكنه لم يعد يشعر بالذعر مثلما كان فى السابق..

وكأن الدكتور لمس زرًا سحريًّا داخله أعطاه القدرة على المقاومة..

وصلوا إلى البقعة المنشودة.. وقف الرجال جميعًا فى شكل مثلث.. وفجأة دوت صرخة من بعيد.. تلتها صرخة ثانية.. وثالثة..

قال الدكتور جلال فى حزم:

- لا تلتفتوا.. إنه الشيطان يحاول أن يلهيكم.. إنه..

وقبل أن ينهى كلامه انهارت الأرض بغتة تحت قدميه ليسقط فى قبر تحت الأرض..

□□□



تحذير أخير..

بلغنا المنتهى..

عاش من عاش، ومات من مات..

حذرتكم، وأنذرتكم..

لا تستمعون..

لعمري إنكم لحمقى..

لا أستطيع أن أدافع عنكم بعد..

لن تؤمنوا بالشر حتى يحيط بكم الشر..

لن تصدقوا الخوف حتى يحيط بكم الخوف..

لن..

لن.. ماذا؟

لن تكون النهاية.. بل ستكون البداية..

معك أنت..





□□□

سقط الدكتور (جلال) في قلب قبر عميق..

وجد الأرض تنهار تحت قدميه، وسقط على ظهره مباشرة..

شعر كأنه يسقط من حالق، ومن تحته سمع صوت عظام تتكسر، وشعر بشيء مدبب يخترق جلده مباشرة..

وتلك الرائحة اللعينة..

والظلام.. يحيط به من كل جانب.. ظلام أسود كئيب مخيف..

أصدر آهة عالية لم يدرك أنه يصدرها إلا عندما توقف..

صدره يعلو ويهبط من الرعب.. الغبار الكثيف يخترق صدره، ويجعله يسعل بعنف..

ما هذا الهسيس؟

نهض ببطء من مرقده، وأخذ يبحث عن هاتفه ليضيء ما حوله.. ودعا الله ألا يكون قد تحطم أثناء سقوطه..

وجده..

وأضاء كشافه وسلطه على الظلام من حوله..

قبر..

قبر كئيب مظلم مخيف..

قبر ترقد فيه جثث متحللة..

عظام متناثرة هنا وهناك..



مقبرة جماعية..

المقبرة التى اختارها..

المقبرة التى تحوى جثث المحكوم عليهم بالإعدام..

ما هذا الهسيس؟

وقف صامتًا للحظات لا يدرى ماذا يفعل؟..

يشعر كأن عقله توقف تمامًا عن التفكير..

حتى أحس به..

خطوات من خلفه..

استدار سريعًا، وقلبه يخفق كأشد ما خفق فى حياته..

ووجد أمامه الموتى يقفون..

ذلك الهسيس..

الموتى يقفون فى القبر..

ينظرون إليه بلا حراك..

يسمع صوتًا آخر يأتى من خلفه..

لا يجرؤ على الالتفات، لكنه يلتفت..

الموتى من خلفه ينهضون..

ويقفون دون حراك..

وساد الصمت..

صوت أنفاسه المتلاحقة..

ما الذى يحدث؟

ما الذى سيحدث؟



وفجأة انهاروا جميعًا واقعين على الأرض..

وبدءوا الزحف..

بأيدٍ مرتجفة بدءوا الزحف..

رءوسهم مقلوبة..

عيون سوداء تمامًا..

وأفواههم المفتوحة دون صوت..

ذلك الهسيس..

ارتجف الدكتور جلال..

إنهم حوله من كل جانب..

تراجع خطوتين دون وعي حتى لمس قدمه أحدهم..

أجفل وصرخ صرخة عالية..

وعاد يتراجع للجهة الأخرى..

نظر أمامه لأحد الموتى..

كان ينهض بطريقة مستحيلة..

رأسه مقلوب..

وعيناه..

سواد رهيب..

ثم أصدر الميت صوتًا يشبه التجشؤ..

صوت مقزز مخيف..

صرخ الدكتور جلال رعبًا..

ثم تذكر شيئًا..



صرخ الدكتور جلال: كل هذا وهم.. وهم..

- أعوذ بالله تعالى من الشيطان الرجيم وأتباعه..

صرخت الشياطين واهتز القبر من صوتهم..

صرخ:

- أعوذ بالله من الشيطان وأتباعه..

صرخ الشياطين المتمثلون فى الموتى، وسقطوا على الأرض..

صرخ:

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..

وأفاق فجأة على العشب الذى يكسو المقابر، وفوقه ذلك الرجل يذكر الله بصوت عالٍ فى أذنه مباشرة..

اعتدل قائلًا:

- ماذا حدث؟

أجابه أحدهما:

- لسنا ندرى.. وقعت فجأة على الأرض، وعندما حاولنا الاقتراب منك أخذت تصرخ وتصيح.. فأخذنا نذكر الله لك..

نهض الدكتر جلال فى بطء، وقال:

- حسنًا.. لقد بدأ الحرب.. وهنا نعلن الحرب..

ما كاد يتم كلامه، حتى ارتج المكان كله بضحكة ساخرة..

لم يهتز أحد من ثلاثتهم..

كان كل منهم يشعر بقوة معنوية هائلة..

قوة بجوار قوة خوفهم..



يدركون أن يأسهم كفيل بالقضاء عليهم..

لا تراجع الآن..

لا تراجع..

قال الدكتور جلال لهم:

الآن نجلس، ونقرأ القرآن الكريم..

نمسك بأيدى بعضنا، وترددون ورائى ما سأقول.. فقط..

دون كلمة جلسوا وشبكوا أيدى بعضهم..

وبدأ الدكتور جلال يتلو الآيات بصوت رخيم..

ساد الهدوء فترة، ثم حدث شيء مخيف..

الأعشاب من حولهم بدأت تذوى وتجف، ثم تشتعل..

وتشتعل..

وتشتعل..

النار تمتد حولهم، مع صوت ضحكات ماجنة قاسية تتعالى من كل مكان..

حرارة النيران تلفح وجوههم..

صرخ الدكتور جلال فجأة:

- كل هذا وهم.. لا تستسلموا أبدًا..

ثم بدأ يحترق..

ويتلوى..

ويتألم.. فى نظر الاثنين الآخرين..

وارتفع صوت صراخه عاليًا..

وعلى الرغم من ذلك لم يفلتوا يديه ولا للحظة..



كان هو يراهم يحترقون ويتألمون ويتلوون أيضًا..
لفح النيران يشوي وجوههم شيًّا..
وتتعالى أصوات قرقعة النيران..
ويعلو صوت الدكتور جلال بالقرآن أكثر..
وفجأة ساد الصمت..
مرة أخرى..
لا أعشاب محترقة..
ولا أحد مصاب بأذى..
ولا نيران..
ومن بجوار كل واحد منهما سمع زئيرًا غاضبًا مخيفًا..
كان ذو السواد غاضبًا..
لا يفلح الوهم معهم..
صاح الدكتور جلال بأعلى صوته:
- أين أنت أيها الجبان؟
هل هذا كل ما لديك؟
أنا أتحداك أن تظهر.. أتحداك أمام قومك وعشيرتك.. أتحداك أمام أبيك..
صدر صوت صرخة عالية مرة أخرى..
صرخ الدكتور جلال هذه المرة بكلام غير مفهوم للرجلين..
وفجأة بدأت الرياح الساخنة تعصف..
وتزداد حدة الرياح مع كل حرف ينطق به..
وصراخه يتعالى..



والهواء يكاد يقتلعهم من مكانهم اقتلاعًا..

وفجأة ساد الصمت مرة أخرى..

عندها قال الدكتور:

- بعزة الله وبكماله وجلاله أظهر لنا عدونا يا ألله..

بعزة لا إله إلا الله أظهر يا..

- كفى..

صـدرت هذه الصرخـة الهائلة من قلب العدم، وظهر ضـوء أبيض قوى أغشى نظر الرجلين..

ومن قلب النور ظهر..

ذو السواد..

واقفًا أمامهم..

عيناه غضب مجسد..

وقفته تثير الفزع والرعب..

ملامح وجهه وحشية مخيفة على الرغم من وسامته..

وبصوت عميق رهيب زأر كالضباع، وقال بتمهل :

- ها .. أنا .. ذا..

جئت إليكم..

■ ■ ■

نظر الكل إليه بفزع..

الخوف سيطر على قلوبهم كما لم يسيطر من قبل..

ذو السواد أمامهم..



ابن إبليس نفسه متجسد أمامهم..

قاتل ملايين البشر متجسد أمامهم..

هبت رياح تحمل رائحة شديدة العفونة من ناحيته تجاههم..

رفع إصبعًا نحو المريض وقال بصوته الرهيب:

- خنتني.. أعطيتك القوة وخاتمي..

بصوت مرتجف رد عليه:

- أنا لم أطلب منك شيئًا..

رفع الشيطان رأسه إلى السماء وفتح فمه على اتساعه وصرخ..

مع صرخته نهض الثلاثة، واستخرجوا أسلحتهم النارية، وأخذوا يطلقون عليه النار..

صوت صراخه يتعالى..

وكأن ألف شيطان يصرخ..

حتى نفدت ذخيرتهم..

كان واقفًا كما هو..

وكل الرصاصات ملقاة تحت قدميه..

لم يمسه شيء..

ثم بدأت الأرض في الاهتزاز..

وبدأ الموتى يخرجون من تحت الأرض..

وصرخ الطبيب:

- هل هذا وهم أيضًا؟

صرخ فيه الدكتور أنه لا يعرف..



اختلط عليه كل شيء..

ولكن..

مهلًا..

الموتى لا يعودون للحياة إلا بإذن ربهم..

أغمض عينيه وصرخ بأعلى صوته:

- وهم..

وهم..

كل هذا وهم..

لا حول ولا قوة إلا بالله.. نعوذ بالله من همزات الشياطين وأتباعه..

وفتح عينيه ليجد نفسه ساقطًا على العشب ومعه زميلاه..

ولا موتى..

وأمامهم ابن الشيطان..

متجسد..

ويغلي من الغضب..

لحظات من الصمت لم يحدث فيها شيء..

ثم جاءت الشياطين..

فجأة امتلأ الجو بما يشبه الكهرباء الإستاتيكية، وبدأ صوت يشبه صوت القرقعة.. وكأن ملايين الناس يتجشأون بصوت بشع مقزز..

وبدأت أشكال رهيبة مفزعة في الظهور حولهم..

شياطين..

كأبشع ما يكون المشهد ظهروا..



كأسوأ ما تكون المخاوف برزوا..

وكأقوى ما خاف منه إنسان يومًا..

بدأوا يتجمعون حولهم..

وأمامهم واقف ذو السواد بغضب رهيب..

كان الثلاثة يرتجفون من الفزع والرعب..

ما حولهم شياطين..

ولكن..

ولكن..

الخوف..

إنهم يتغذون على الخوف..

صاح الدكتور جلال:

- إنهم يخيفونكم.. لا تدعوهم يخيفونكم.. لا تسمحوا لهم بـ..

ولم يستطع أن يكمل.. خرجت نبراته مرتعشة مرتجفة لا تستطيع إقناع أحد..

واقترب منهم الشياطين أكثر وأكثر.. الدائرة تضيق..

الرائحة البشعة تملأ الجو..

زئير هؤلاء الشياطين وصراخهم..

بدأ الدكتور جلال في قراءة القرآن..

بنبرة مرتجفة بدأ يقرأ..

ومع صوته الرخيم توقف كل شيء..

كأنها صورة جامدة..

لا حركة..



لا صوت..

الشياطين تحدق فيهم بعيون نارية..

والدكتور جلال يكمل تلاوته..

صوته مرتجف..

وارتفع صوت آخر..

الطبيب النفسى..

بصوت عالٍ يتلو ما يتذكره من آيات الله..

يتلوه بحزم..

نظر رفيقاه إليه بدهشة، وجداه واقفًا وكل ملامحه تصميم وقوة..

يتلو و يعيد التلاوة..

ثم استعاذ بالله من شر الشياطين..

صرخت الجموع حولهم..

والظلام الذى يكتنفهم بدأ فى الانقشاع..

الشيطان الابن يصرخ فى غضب..

الشياطين تضع يدها على أذنيها وتتلوى راجعة..

بعضها يختفى..

ووجد المريض الفرصة سانحة لعمل جنونى..

استخدام قدراته الشيطانية فى الظهور والاختفاء الآن قد تعنى موتًا محققًا..

ولكن..

اتخذ القرار أن يذهب لذى السواد و يطعنه..

نهض من رقدته هو الآخر وسط تلاوة زميليه، وبدأ يفكر فى الانتقال..



لا شيء يحدث..

حاول التفكير مرة أخرى..

ولا شيء يحدث..

صراخ الشياطين من حوله يتعالى..

أدرك حقيقة أنه لا يمكن له أن يستعمل قدراته الآن..

هناك شيء ما يمنعه..

نظر أمامه..

هناك شيء ما غريب..

الرؤية تبدو مشوشة..

الظلام يتزايد..

صراخ الشياطين يتعالى..

الرؤية من حوله تخفت سريعًا..

صوت التلاوتين يتعالى أمام صوت الشياطين..

وفجأة ساد الظلام والصمت..

وجد نفسه في ظلام مطبق دامس، وصمت رهيب..

ومن قلب الظلام ظهرت العينان..

عينان حمراوان مضيئتان، ومن وراءهما ظهر جسد ذي السواد يتقدم ببطء..

كان يبدو بشع الخلقة إلى درجة لا توصف..

وبصوت عميق تكلم..

لأول مرة يسمعه يتكلم..

- «خنتني يا بن آدم»..



يتقدم أكثر، وجسد المريض يرتجف..

يرتجف من الغضب هذه المرة..

- «وعدتك بالقوة.. وعدتك بالخلود.. أن يخشى الناس اسمك..»

ويتقدم..

وجد المريض ينتصب في قوة ويقول:

- لم أطلب شيئًا..

رغمًا عنه اهتز صوته..

إنه أمام ابن إبليس نفسه رغم كل شيء..

كان يشعر بمزيج عجيب من الغضب والتوتر..

وكان يوقن بقرب الهلاك..

ولو كتب عليه الموت فليمت وهو رجل..

وهو سليل من سجد له الملائكة..

وهو سليل آدم..

فجأة صرخ وانقض على الشيطان..

كانت الحركة مفاجأة للشيطان..

تراجع خطوة واحدة، وما لبث الجسدان أن امتزجا..

شعر المريض بشعور رهيب..

كأن جسده يشتعل نارًا..

وقف وصرخ مكانه مرة أخرى صرخة معذبة طويلة..

مع صراخه كان الشيطان قد بدأ يتلبسه..

قوة شديدة اندفعت إلى عروقه وجسده..



يتلبسه..

كان يشعر بالذهول.. كيف؟

كيف؟

أتاه الصوت الرهيب من داخله:

- أنا ابن إبليس..

أنا ابن الشيطان..

وأنت.. طين قذر..

لم يستطع جوابًا هذه المرة..

صمت رغمًا عنه..

اختفى الظلام، وظهر رفيقاه بجواره واقفين يلهثان في عنف في ضوء القمر..

كان كل شيء انتهى وتوقف بالنسبة إليهما منذ دقائق..

ولم ينتبه أحدهما للتغيير الذي يحدث للمريض..

رأى المريض نفسه ينحني ليلتقط خنجرًا..

ويسير بهدوء إلى رفيقيه..

من وراء الدكتور جلال رفع يدًا، وتركها تهوى على مؤخرة عنقه..

وتفجر الدم من موضع الجرح..

صرخ الدكتور جلال، وهو ينظر نحوي في ذهول، ثم في رعب..

عينا الطبيب متسعتان في رعب..

إنهما يتراجعان.. وأتقدم أنا..

أضحك..

أتحدث في صوت بشع..



لا أدرى ماذا أقول..

أحاول السيطرة على جسدى.. لا شىء..

مثل الأحلام تمامًا..

ولكنها حقيقة هذه المرة..

حقيقة..

ولكنه داخلى..

فلو مت لمات..

لو مات أنا..

لمات هو..

يموت بموتى..

وانطلقت منى الصرخة مدوية:

- اقتلنيييييييى..

ثم صراخ الشيطان يمزق حنجرتى..

انتفـض الطبيب، ونهض جاريًا نحو خنجره.. وبأسرع ما أمكنه جرى وأولج الخنجر حتى مقبضه..

فى صدرى مباشرة..

■ ■ ■

تجمد الموقف لثوانٍ عند هذه النقطة..

ثم صراخ طويل من جوفى.. كأن ألف شيطان يصرخون فى آن واحد..

وبدأت أشعر بارتياح..

لو مت أنا لمات هو..



وأنا الآن..

أموت..

سقطت على الأرض، وصوت صفير يملأ أذنى..

الدنيا تظلم ببطء..

ثم أغلق جفونى..

■ ■ ■

فتحت عينى فى المستشفى.. ألم رهيب فى صدرى..

نظرت بجوارى، فإذا بضابط شرطة يجلس جوارى..

- ماذا حدث؟

سألته وأنا أتأوه..

رد علي وهو يبتسم:

- أنت نجوت بأعجوبة.. معتوه حاول أن يقتلكما فى المقابر..

حاول أن تستريح، ثم ستعرف كل شيء لاحقًا..

ثم نهض ليبلغ عن استيقاظى..

لا أستوعب ما حدث..

كل شيء سار بسرعة فائقة..

هل انتهى كل شيء؟

هل مات ابن إبليس؟

بهذه البساطة؟

وماذا حدث للطبيب والدكتور جلال؟

كنت أشعر بإرهاق شديد.. فتركت نفسى أنزلق بهدوء إلى النوم..



وبدأت أحلم..

كنت أسير فى شارع مظلم طويل.. وفى نهايته منزل..

أسير بخطى واجفة متجهًا نحو المنزل..

منزل كئيب مظلم.. على الرغم من ذلك دخلت إليه بهدوء..

وفى الداخل تحول المشـهد تمامًا.. أنوار ساطعة.. وجاءت أمى العزيزة لتمسك بيدى وتدخل بى إلى الداخل..

وهناك كان يوجد طعام شهى كثيرًا.. أشارت إلى أن أتناوله..

مددت يدى إلى طبق كبير من الجيلى..

ومن أول ملعقة أحسست بشىء غريب.. هذا ليس جيلى..

هذا دم..

صرخت وتراجعت لأصطدم بوجه أمى المحترق..

صرخت ونهضت نومى مفزوعًا..

ما هذا؟ لم تمت أمى محترقة.. إنها أم الطبيب..

كابوس..

أنا فى المستشفى.. أزيز الأجهزة الرتيب يريح أعصابى..

تراجعت فى نومى، وغبت فى سبات عميق..

بلا أحلام هذه المرة..

■ ■ ■

بعد هذا اليوم بعدة أسابيع:

كنت جالسًا مع الدكتور جلال الدين، وذلك الطبيب النفسى..

أول لقاء لنا بعد هذا اليوم..



كان الدكتور جلال تنازل عن الإبلاغ عن أى فرد بمهاجمته.. وكذلك أنا.. فلم يعد هناك مبرر لحفظ الطبيب فى الحجز..

وتعافيت وخرجت من المستشفى..

لست أصدق أن كل شيء انتهى.. الأمور سارت بأسرع مما ينبغى..

الطبيب تحول تمامًا.. أطلق لحية صغيرة، وظهرت له علامة صغيرة من التى تظهر للمصلين !!

تقابلنا، وتحادثنا.. كلاهما يؤكد لى أن الموضوع انتهى..

ولكن..

هناك شيء فى قلبى..

كما أن هناك فقدان ذاكرة جزئيًا يعود إلىّ تدريجيًا..

أخبرنى الأطباء أن هذا أمر طبيعى..

لا بأس..

تركتهما وعدت إلى حجرتى بالفندق لأستعد للعودة لبلادى.. بالطائرة هذه المرة..

وفى حجرتى بالفندق انتهيت من جمع أشياء قليلة فى حقيبة؛ استعدادًا للعودة..

ربما انتهى كل شيء بالفعل.. منذ هذه الليلة والأمور هادئة تمامًا.. لا أحلام.. لا كوابيس.. لا شياطين.. لا شيء..

وقفت لأسرح شعرى أمام المرآة.. لأجدنى أحدق فى..

وجه زوجتى الحبيبة..

التفت إليها بكل دهشتى لأتلقفها فى حضنى..

كيف جاءت؟ أخذت تضحك وأنا أحملها بين يدى، وأدور بها فى الحجرة..



ثم وضعتها برقة على الفراش..

سألتها:

- كيف جئتِ إلى هنا؟ وكيف عرفتِ مكانى؟

- حلمت بك..

نظرت نحوها بدهشة، وقلت:

حلمتِ بى؟

قالت:

- نعـم.. رأيت رجلًا وسـيمًا يرتدى ملابس سـوداء، أرشـدنى لمكانك مباشرة.. بالتفصيـل.. وطلب مـنى أن أعطيك هديـة.. الغريبة أنى وجـدت الهدية على الفراش بجوارى..

انتصب على ساعدى الشعر.. أحسست بأنى سأفقد الوعى..

هناك شيء ما خطأ.. أنا قتلت زوجتى يومًا ما..

الآن أتذكر..

وهى تمد يدها إلىّ بذلك الخاتم.. أتذكر..

خاتم راؤول..

زوجتى الميتة..

الظلام يتكاثف فجأة..

رائحة مقيتة تزكم أنفى فجأة..

ومن خلفى يظهر شبح طويل يحمل خنجرًا أسود..

صوت ضحكات تشبه ضحكات الضباع..

عينان تلمعان فى الظلام..

خنجر يرتفع فى الهواء، ثم يهوى فى سرعة مصدرا صفيرا ضعيفا ..

ويخف دوى الضحكات تدريجيًّا..

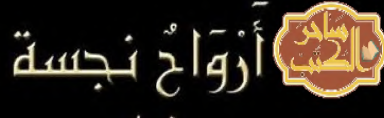
ثم ساد الصمت..

❑❑❑



◇◇

(تمت)



تحذير

هذه الأحداث مبنية بالكامل على أحداث حقيقية

ولكنها لا تناسب ذوى المشاعر المرهفة ، ولا تناسب ذوى المشاعر القاسية أيضا . .

فى الواقع هى لا تناسب أى مشاعر على الإطلاق . .

المشكلة أن من قرأ هذه الأحداث سابقا بدأ يعانى من . . .

حسنا . . أنت تعرف هذه الأمور . .

أنا فقط أخلى مسئوليتى قبل القراءة . .

بالفعل يوجد هنا الكثير من كل شىء . .

وهو ينعكس على حياتك بشكل ما . .

إنهم لا يحبون أن يكتب عنهم أحد ، ولا أن يقرأ عنهم أحد . . ربما تجد أنى خائف أكثر من اللازم

ربما تجد البشاعة فى الرواية أكثر من اللازم . . وربما تجد أنى بالغت وأن كل هذا هراء



تصميم الغلاف : محفوظ احمد

ارواح نجسة

احمد زكي

الصقر للنشر والتوزيع



تحذير

هذة الأحداث مبنية بالكامل على أحداث حقيقية ..
ولكنها لا تناسب ذوي المشاعر المرهفه
ولا تناسب ذوي المشاعر القاسية ايضاً
في الواقع هي لا تناسب
اي مشاعر على الإطلاق
المشكلة أن من قرأ هذة الأحداث سابقاً
بدأ يعاني من ..
حسناً أنت تعرف هذة الأمور ..
أنا فقط أخلي مسؤليتي قبل القراءة
بالفعل يوجد هنا الكثير من كل شئ
وهو ينعكس على حياتك بشكل ما
إنهم لا يحبون
ان يكتب عنهم احد
ولا ان يقرأ عنهم احد
....
ربما تجدني خائف أكثر من اللازم ..
ربما تجد البشاعة في الرواية
اكثر من اللازم ..
وربما تجد اني بالغت
وأن كل هذا هراء.

رواية
أرواح نجسة
أحمد زكي



